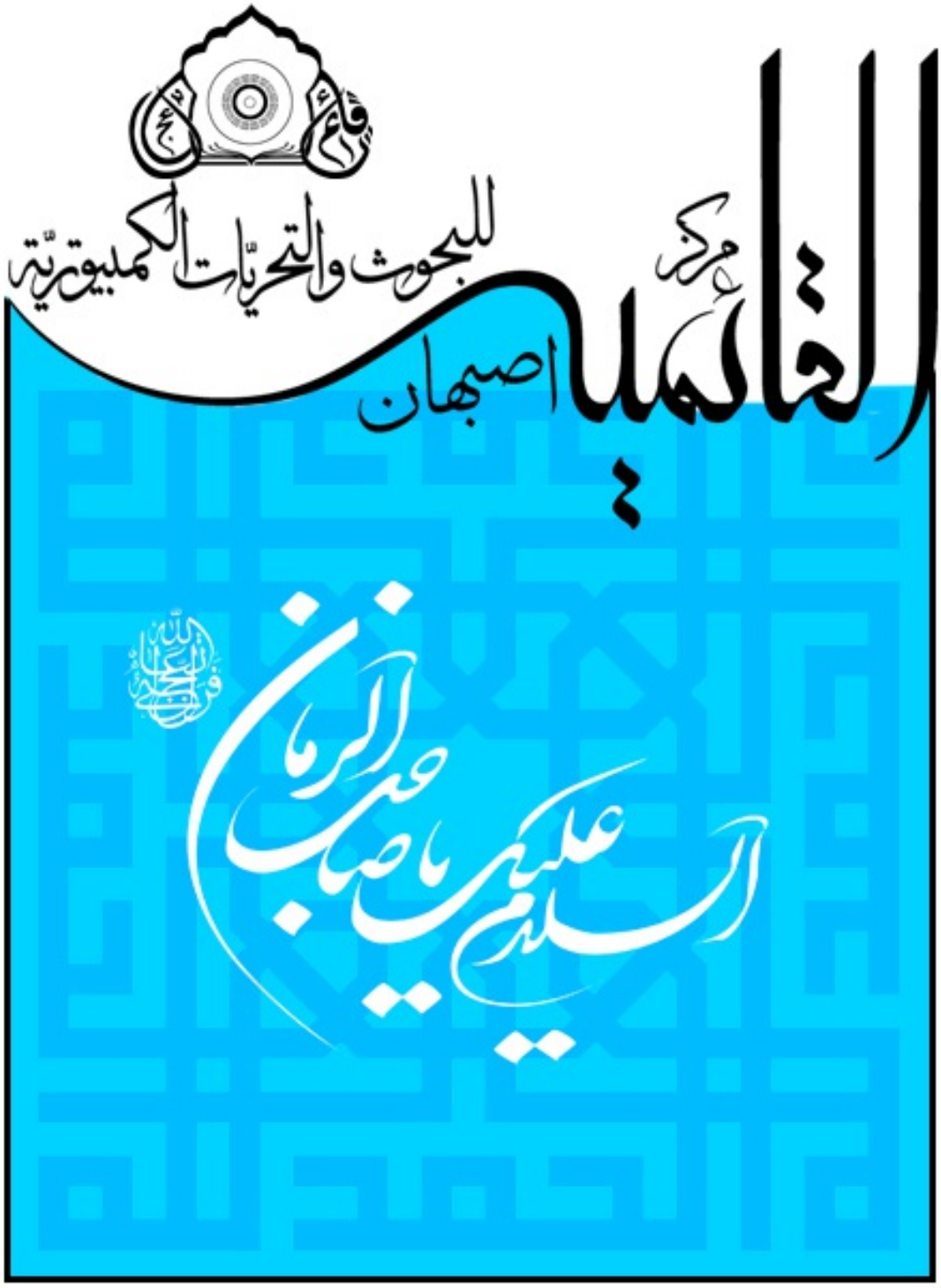

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

الرحلة المرعينية

1938

ماء العينين بن العتيق

حققها وقدم لها: د. محمد الفريف

بسم الله الرحمن الرحيم

الرحلة المعينية

نویسنده:

ماء العينين ابن العتيق

ناشر چاپی:

الموسسة العربية للدراسات و النشر- دار السويدى

ناشر دیجیتالی:

مرکز تحقیقات رایانه‌ای قائمیه اصفهان

الفهرس

الفهرس ----- ۵
الرحلة المعينية ----- ۱۲
اشارة ----- ۱۲
[تمهيد] ----- ۱۲
استهلال ----- ۱۳
المقدّمة ----- ۱۴
اشارة ----- ۱۴
التعريف بالمؤلف ----- ۱۷
و من أبرز مؤلفاته، غير «الرحلة المعينية»: ----- ۱۹
مسار الرحلة ----- ۲۲
الرموز المستعملة فی إخراج الرحلة ----- ۲۴
نصّ الرّحلة ----- ۲۵
النصف الأول بدء الرحلة من خروج المؤلف من طنطان فی ۱۶ شوال ۱۳۵۷ ه- دجنبر ۱۹۳۹ م إلی مغادرته مکة فی ۱۸ ذی الحجة ۱۳۵۷ ه- فبراير ۹‘
اشارة ----- ۲۵
مطلب فی بعض الآثار الواردة فی فضل الحج و زيارة قبره صلّی اللّه عليه و سلم ----- ۲۵
تاريخ ولادة شيخنا الشيخ ماء العينين و وفاته رضی اللّه عنه ----- ۲۶
مطلب فی بيان أسلوب المديحيات التی فتح الله بها علی صاحب الرحلة و تاريخها ----- ۲۷
القصيدتان الأوليان من المديحات المذكورة و القصيدة الأخيرة منهن ----- ۲۸
القصيدة الأولی : ----- ۲۸
القصيدة الثانية : ----- ۲۹
القصيدة الأخيرة : ----- ۳۰
اشارة ----- ۳۰
بعض فوائد هذه القصيدة الأخيرة ----- ۳۱

تاریخ قدوم صاحب الرحلة علی الشیخ مربیه ربه فی الطفایة إذ تعاهدا فی الحج مرافقة ----- ۳۱
تاریخ حجة الشیخ مربیه ربه الأولی و قصیدة لصاحب الرحلة فی مدحه و تهنئته بحجته ----- ۳۱
تبشیر الشیخ مربیه ربه لصاحب الرحلة بتیسیر الحج عام حجهما ----- ۳۳
تاریخ نزول صاحب الرحلة قریة الطنطان بأهله ----- ۳۳
قدوم الشیخ عبداتی علی الطانطان و صحبته کتاب أخیه الشیخ مربیه ربه لصاحب الرحلة لیقدم لسفر الحج ----- ۳۳
۲۱ قصیدة فی مدحه صلی اللّه علیه و سلم لصاحب الرحلة أنشأها أیام تهیئه للحج ----- ۳۴
تاریخ خروج صاحب الرحلة من عند أهله بقریة الطنطان للحج ----- ۳۶
خطبة الشیخ مربیه ربه فی نصیحة و وعظ وفده وقت استعدادهم للحج ----- ۳۷
رکوب جل الوفد البحر من الطرفایة إلی کناری و تاریخه مسافرین إلی الحج ----- ۳۸
مطلب نزول الشیخ مربیه ربه من الطیارة عندنا فی کناری و رکوب الجمیع البحر إلی سبتة ----- ۴۰
دخولنا مدینة تطوان و خطبة الشیخ مربیه ربه أول لیلة بها ----- ۴۰
صلاتنا للجمعة بتطوان و ملاقاتنا للخلیفة بالمسجد ----- ۴۱
ذکر بعض الأعیان الذین زارونا بتطوان و مذاکرتنا مع بعض أهل الوحدة ----- ۴۱
قدوم الشیخ محمد الإمام و وفده علینا بتطوان و تسمیة جمیع الوفد و نسبته وعدته ----- ۴۲
دعوة رجال الوحدة المغربیة لوفدنا و ما جری بیننا و بینهم تلک اللیلة من الأشعار و الخطب ----- ۴۳
زیارة وزیر الأحباس و التماسه الإجازة من صاحب الرحلة و ما کتب له فیها ----- ۴۷
قدوم الطبیب علینا لتلقیح وفد الحاج ----- ۴۸
قدوم السید عبد القادر الفکیکی تلمیذ شیخنا و زیارة بعض الأحبة لنا ----- ۴۸
زیارة قائد المشور و أخیه لنا و صحبتهم بعض التحف لنا ----- ۴۹
ذکر مسیرنا من تطوان إلی سبتة لرکوب باخرة الحج ----- ۴۹
مطلب فی کون الشیخ مربیه ربه هو رئیس الحاج الدینی فی الباخرة و بعض أحوالها هی و أهلها ----- ۴۹
کیفیة قراءة الحزب علی سنن شیخنا الیخ ماء العینین ----- ۵۰
قصیدة لصاحب الرحلة فی ذکر سند أشیاخه فی القرآن العظیم إلی النبی صلی اللّه علیه و سلم ----- ۵۱
نص الإجازة فی القرآن الذی کتبه لصاحب الرحلة شیخه نثرا ----- ۵۳

سنن المغاربة فی قراءة الحزب الراتب ----- ۵۴
ذکر المصلیات التی فی الباخرة و أسماء اسمتها و بعض الأعیان الذین فی الباخرة ----- ۵۴
مطلب فی ذکر وصولنا لأرض طرابلس و بعض ما جری لنا فیها ----- ۵۵
زیارتنا لقبر الصحابی الذی فی طرابلس و تسمیته ----- ۵۵
اجتماعنا بقاضی طرابلس و جلسائه، و فیهم مؤلف «ملخص الأحکام الشرعیة» و مذاکراتنا معهم ----- ۵۶
مطلب فی موضوع «ملخص الأحکام الشرعیة» و أنه هو جل اعتماد صاحب الرحلة فی ألفیته فیما یقع بین اثنین و بعض ترجمة تلک الألفیة - ۵۷
صلاتنا للجمعة فی مدینة طرابلس و مذاکرتنا مع بعض علمائها ----- ۵۸
أول من افتتح طرابلس ----- ۵۹
قدومنا علی بور سعید من أرض مصر و مسیرنا مع القنال إلی البحر الأحمر و تاریخ حفر القنال ----- ۵۹
قدوم ولد الخلیفة علینا هو و قومه بالباخرة ----- ۵۹
وصولنا لمقابلة رابغ و إحرامنا ----- ۵۹
مطلب فی کوننا أهللنا بالعمرة، و حدیث جابر الدال علی فضلیة ذلک ----- ۶۰
مقدمنا لجدة و بعض من لقینا فیها ----- ۶۲
دخولنا مکة المشرفة ----- ۶۲
بعض التعریف بالشیخ أحمد بن الشمس الذی نزلنا عند مریده بمکة ----- ۶۳
بعض الأعیان الذین اجتمعنا بهم بمکة من الشناجطة و غیرهم، و اجتماعنا بسادن الکعبة و دخولنا لها ----- ۶۴
مطلب فی کون دخول الکعبة و الصلاة فیها من سنته صلی اللّه علیه و سلم ----- ۶۷
خروجنا من مکة المشرفة للحج و کیفیة حجنا ----- ۶۷
فائدة فی ذرع الکعبة و قدر المسجد الحرام بالقدم ----- ۶۹
حکایة شیخنا الشیخ ماء العینین مع النفر الذین لقیهم بمکة ----- ۷۰
فائدة فی قدر المسجد الحرام أذرعا و فی عدد ما فیه من الأساطین و القنادیل ----- ۷۱
فائدة فی بعض المکتوب علی لباس الکعبة الشریفة و فی بعض فوائد ماء زمزم ----- ۷۲
عدد أبواب المسجد الحرام و مناراته و أسماء الجمیع و کیفیة کسوة الکعبة ----- ۷۲
فائدة فی بعض ما ورد فی فضل الطواف و فی الأوقات التی تنبغی المثابرة علی الطواف بها ----- ۷۵

مدة إقامتنا بمكة المشرفة ---- ۷۶
قصيدة للشيخ مربيه ربه حسنة رتب فيها مناسك الحج على سبيل الدعاء ---- ۷۶
النصف الثانى استمرار الرحلة من دخول المؤلف إلى المدينة المنورة فى ۱۸ ذى الحجة ۱۳۵۷ ه فبراير ۱۹۳۹ م إلى رجوعه إلى طنطان فى ۲۹ محرم ،
اشارة ---- ۷۹
خروجنا من مكة المشرفة إلى المدينة المنورة لزيارته صلى اللّه عليه و سلم ---- ۷۹
مطلب ذكر بعض أحوال أهل البلد و الذين بمكة و المدينة ---- ۷۹
أبيات بين الشيخ محمد الإمام و جامع الرحلة فى الحث على الصدقة ---- ۸۰
دخولنا المدينة المنورة ---- ۸۱
دخولنا المسجد النبوى و زيارتنا منه صلّى اللّه عليه و سلم ---- ۸۱
أبيات أنشأها جامع الرحلة عند زيارته صلّى الله عليه سلم ---- ۸۱
زيارتنا لأهل البقيع رحمهم الله ---- ۸۲
زيارتنا لشهداء أحد و مسيرتنا لزيارة مسجد قباء ---- ۸۲
تنبيه فى ذكر تخميسنا لمديحية الشيخ أحمد الهيبة و تاريخ وفاته و ذكر التخميس تماما فى مدحه صلّى اللّه عليه و سلم ---- ۸۳
مطلب كونه صلى اللّه عليه و سلم يشفع فيمن مدحه و لو ببيت ---- ۹۴
قصيدة فى مدحه صلى اللّه عليه و سلم للشيخ مربيه ربه ---- ۹۵
قصيدة للشيخ محمد الإمام فى مدحه صلى اللّه عليه و سلم ---- ۱۰۰
نزولنا عند ابن الشيخ محمد الخضر بالمدينة المنورة و إحسانه إلينا هو و من هناك من الشناجطة جزوا خيرا ---- ۱۰۲
خروجنا من المدينة المنورة على ساكنها السلام و أبيات لجامع الرحلة أنشأها و قتئذ ---- ۱۰۴
مرسى الباخرة بنا افتتاح عام ۱۳۵۸ بجبل الطور ---- ۱۰۴
مرسى الباخرة بنا فى السويس و طلوع العلامة الشيخ محمد حبيب الله بن مايابى إلينا فيها هو و من معه، و ما جرى بيننا و بينهم ---- ۱۰۵
قطعة امتدح بها الشيخ محمد حبيب الله سيادة الشيخ مربيه ربه ---- ۱۰۵
قصيدة للشيخ المختار الجكنى امتدح بها أيضا سيادة الشيخ مربيه ربه. ---- ۱۰۵
بيتان لجامع الرحلة يخاطب بهما المركب لما أعجبه سيره و آخران يخاطب بهما البحر لما هاج ---- ۱۰۶
مقدمنا على مدينة طرابلس، و مسيرنا منها: ---- ۱۰۶

اشارة ----- ۱۰۶
لطیفة ----- ۱۰۷
وصولنا لمدینة ملیلیة و ابتهاج أهلها بمقدمنا ----- ۱۰۷
أبیات لجامع الرحلة لما فرح الناس بعضهم ببعض ----- ۱۰۷
نزولنا بمدینة سبتة و احتفال أهلها لنا ----- ۱۰۸
مقدمنا علی مدینة تطوان و تلقی أهلها لنا بالإکرام ----- ۱۰۸
مطلب فی ذکر المجلس الذی عقده الخلیفة لاستقلال الأوقاف، و إرساله للشیخ مربیه ربه أنه کان ینتظره به، و استدعائه لنا آل الشیخ ماء العینین خ
قصیدة لجامع الرحلة افتتح بها الکلام فی المجلس یمدح بها الخلیفة و یهنئه بحفلته بارتجاع الأوقاف إلی سنتها الأول ----- ۱۰۹
الأعیان الذین ألقوا خطبا فی المجلس فی مقتضی الحال ----- ۱۱۰
قیام أهل المجلس إلی المأدبة التی أعدها لهم الخلیفة بعد انقضاء المجلس ----- ۱۱۰
زیارة بعض أعیان تطوان لسیادة الشیخ مربیه ربه ----- ۱۱۱
تذکرة فی کون الوالد العتیق و الشیخ حسن توفیا فی طریق الحج، و ذکر فضیلة من توفی فیها ----- ۱۱۱
مطلب تاریخ سفر الشیخ حسّن بنیة الحج إلی فاس من عند أهله و أین ترکهم ----- ۱۱۱
مطلب تاریخ وفاته رضی اللّه عنه بفاس و محل مدفنه ----- ۱۱۱
مطلب تاریخ سفر والدنا العتیق بنیة الحج إلی فاس من عند أهله و أین ترکهم ----- ۱۱۱
کتابه إلی السلطان المولی الحسن و القصیدة التی أودعها فی مدحه و استدعائه إلی إسعافه بما قدم له من أمر الحج ----- ۱۱۲
مطلب تاریخ وفاة الوالد رضی اللّه عنه بفاس و محل مدفنه ----- ۱۱۳
مطلب تاریخ وفاة الوالد رضی اللّه عنه بفاس و محل مدفنه ----- ۱۱۳
مطلب ذکر السید محمد بن جعفر الکتانی لوالدنا المرحوم بالله فی تألیفه «سلوة الأنفاس بمن أقبر من العلماء و الصلحاء بفاس» ----- ۱۱۴
تاریخ سفر صاحب الرحلة لزیارة قبری والده و الشیخ حسن بفاس ----- ۱۱۴
مطلب اجتماع جامع الرحلة بالسلطان سیدی محمد بن المولی یوسف لیلة عید المولد الشریف بالرباط و ذکر القصیدة التی أنشأها حینئذ فی مدحه
مطلب اجتماعنا تلک اللیلة بالنقیب ابن زیدان، و ذکر کتابه الذی بعث لنا قبل ذلک و صحبته الأجزاء المطبوعة من تألیف الإتحاف، و ذکر جوابنا له
سفرنا من مدینة تطوان و توادعنا نحن و الشیخ محمد الإمام و من معه فیها ----- ۱۱۸
وصولنا لمدینة اشبیلیة و بعض صفة جامعها و وادیها الکبیر و رکوبنا منها متوجهین کنارى ----- ۱۱۸

وصولنا إلی جزیرة کناری ----- ۱۱۹
ذکر رکوب الشیخ مربیه ربه من عندنا فی کناری و أبیات خاطبنی بها قبل رکوبه ----- ۱۱۹
مخاطبات شعریة أدبیة بین سیادة الشیخ مربیه ربه و جامع الرحلة و منها ما هو للشیخ محمد الإمام ----- ۱۱۹
مخاطبات شعریة أدبیة بین الشیخ محمد الإمام و جامع الرحلة ----- ۱۲۷
ذکر مسائل فقهیة ----- ۱۳۰
اشارة ----- ۱۳۰
المسألة الأولی: هل یحل أکل ذبائح النصاری أم لا؟ و الجواب عن ذلک ----- ۱۳۰
اشارة ----- ۱۳۰
تنبیه فی حکم صید الکتابی ----- ۱۳۲
المسألة الثانیة، هل یباح نکاح نساء النصاری أم لا؟ و الجواب علی ذلک ----- ۱۳۲
المسألة الثالثة، هل تجوز رقیا مرضاهم؟ و الجواب عن ذلک و الکلام فی حکم الحرز ----- ۱۳۳
مطلب بعض ما یرقی به و فیه الکلام علی الاکتواء و الحقنة و زیادة کلام علی التمائم و الحروز و نحوها ----- ۱۳۴
ذکر حدیث الرهط عن أصحابه صلی اللّه علیه و سلم مع رئیس الحی الملدوغ و ما دل علیه من الحکم ----- ۱۳۵
قضیة عمر رضی اللّه عنه مع قیصر ملک الروم ----- ۱۳۶
مطلب جواز الرقیا للیهود و قضیة الوالد العتیق مع علماء فاس فی مقتضی ذلک ----- ۱۳۶
تنبیه فی جواز رقیة الکتابی للمسلم إذا کانت بکتاب الله و نحوه ----- ۱۳۷
مطلب مدة إقامتنا بکناری بعد الشیخ مربیه ربه و رکوبنا منها و نزولنا بطرفایة ----- ۱۳۸
مطلب ذکر الآیات المشاهدة فی الحرم المذکورة فی قوله تعالی «فیه آیات بینات» ----- ۱۳۸
تودیع جامع الرحلة لمن من الأهلین بالطرفایة و رکوبه و نزوله عند أهله بحمد الله فی الطنطان ----- ۱۳۹
کرامة شیخنا الشیخ ماء العینین فی کونه هو أول من حج من قبیلته و رجع إلی أهله سالما، و فی کون ذلک صار سببا لرجوع من حج منهم بعد ذلک
ذکر طرف منخبر قبیلتنا آل الجیه المختار حسبما أورده الشیخ محمد الإمام فی کتابه المسمی «الجوهر المنتخب»، و الکلام علی موضوع کتابه الم
مطلب کلام المؤرخ ابن خلدون و السجلماسی علی أجدادنا الإدریسیین و سبب انتقالهم من وطنهم ----- ۱۴۰
قصیدة العلمی فی سلسلة نسبنا من شیخنا ماء العینین إلی رسول الله صلی علیه و سلم ----- ۱۴۰
قصیدة رقیقة بدیعة للشیخ محمد الإمام فی مدح السادات قبیلتنا آل الجیه المختار ----- ۱۴۲

مطلب ذکر محل سکن جدنا الجیه بعد تنقلاته و موضع وفاته فی بلاد تکانت رضی اللّه عنه ---- ۱۴۴
ذکر سبب توطن آل الجیه بعده بلاد الحوض و انتقالهم إلیه ---- ۱۴۴
مطلب سبب توطن شیخنا الشیخ ماء العینین بلاد الساحل و أخیه الشیخ سعد بوه القبلة ---- ۱۴۴
قضیة من سئل عن شیخنا الشیخ ماء العینین من أی القبائل، و کیف کان جوابه ---- ۱۴۴
قصیدة لجامع الرحلة ماء العینین بن العتیق فی سلسلة نسبنا الشریف بدءأ من الشیخ مربیه ربه إلی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و علی آله و صح
ملحق کلمة ---- ۱۴۶
کشاف حضاری و فهارس ---- ۱۴۸
اشارة ---- ۱۴۸
فهرس الآیات القرآنیة ---- ۱۴۸
فهرس الأحادیث النبویة ---- ۱۴۸
فهرس الأعلام البشریة ---- ۱۵۰
فهرس القبائل و البلدان ---- ۱۶۳
فهرس القوافی ---- ۱۶۶
درباره مرکز تحقیقات رایانه‌ای قائمیه اصفهان ---- ۱۷۶

الرحلة المعينية

اشارة

نام كتاب: الرحلة المعينية

نويسنده: ابن العتيق، ماء العينين

موضوع: سفرنامه

زبان: عربى

تعداد جلد: ۱

ناشر: الموسسة العربية للدراسات و النشر- دار السويدى

مكان چاپ: بيروت- ابوظبى

سال چاپ: ۲۰۰۴ م

نوبت چاپ: اول

alrhlah alma'iniah

تأليف: ماء العينين بن العتيق تاريخ النشر: ۰۱/۱۲/۲۰۰۴

تقديم: محمد الظريف

ترجمة، تحقيق: محمد الظريف

الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر

النوع: ورقى غلاف عادى، حجم: ۲۴×۱۷، عدد الصفحات: ۳۹۵ صفحة الطبعة: ۱ مجلدات: ۱

اللغة: عربى

[تمهيد]

و بمجرد وصولنا إلى هذه الحجرة و جلوسنا فيها، قد أتت عدّة نساء و أحضرن أمام كل واحد منا خوانا صغيرا لأجل وضع الأكل عليه، فجلسنا على هذه المقاعد متربعين كالعادة العربية. ثم أحضروا لنا الأكل، فأوّلا قد أحضروا لنا المرقة المعروفة بالشربة و لم يحضروا لنا ملاعق لأجلها، بل إنهم من غريب أمرهم أنهم قد استعاضوا عنه بكاسات صغيرة يشربونها بها. و بعد ذلك أحضروا لنا نوعا من السمك حسن الصنع، و عدة من أنواع الخضراوات و الأرز. و كان الأكل بواسطة خشبتين صغيرتين يقبضهما الإنسان و يجعلهما شبه (الكماشة) ثم يأكل بهما، و كل شخص له آنية مخصوصة ...

من نص الرحلة ص ۶۰ و فى اليوم التالى قد أصبح الهواء معتدلا و الجو رائقا و السماء مصحية، فرأينا أن هذه الفرصة لزيارة المعبد الذى على قمة الجبل. و لما أخبرونا أن هذا المعبد فى محل فى غاية الارتفاع و أن الواصل إليه لا بد أن يجتاز ۰۰۰، ۲۰ (ألف) درجة حتّى يصل إليه، رأينا أن هذا أمر صعب و تعب كثير، فأخبرونا أن هناك رجالا يحملون الإنسان و هو جالس على كرسى من الخيزران حتّى يوصلوه إليه و سهلوا لنا الأمر، فتوجهنا إليه و وجدنا هذه الكراسى يجلس فيها و يحمل كل واحد منها أربعة رجال، كل اثنين من جهة. و الذى يظهر فى الأمر أنها سهلة، و لكنها فى الحقيقة متعبة تعبا كثيرا ...

من نص الرحلة ص ۸۹

الرحلة المعينية، ص: ۷

استهلال

تهدف هذه السّلسلة بعث واحد من أعرق ألوان الكتابة فى ثقافتنا العربية، من خلال تقديم كلاسيكيّات أدب الرّحلة، إلى جانب الكشف عن نصوص مجهولة لكتاب و رحّالة عرب و مسلمين جابوا العالم و دوّنوا يوميّاتهم و انطباعاتهم، و نقلوا صورا لما شاهدوه و خبروه فى أقاليمه، قريبة و بعيدة، لا سيما فى القرنين الماضيين اللذين شهدا ولادة الاهتمام بالتجربة الغربية لدى النّخب العربية المثقفة، و محاولة التعرّف على المجتمعات و النّاس فى الغرب، و الواقع أنه لا يمكن عزل هذا الاهتمام العربى بالآخر عن ظاهرة الاستشراق و المستشرقين الذين ملأوا دروب الشّرق، و رسموا له صورا ستملأ مجلدات لا تحصى عددا، خصوصا فى اللغات الإنكليزية و الفرنسية و الألمانية و الإيطالية، و ذلك من موقعهم القوى على خارطة العالم و العلم، و من منطلق المستأثر بالأشياء، و المتهيء لترويج صور عن «شرق ألف ليلة و ليلة» تغذّى أذهان الغربيين و مخيّلاتهم، و تمهّد الرأى العام، تاليا، للغزو الفكرى و العسكرى لهذا الشرق. و لعل حملة نابليون على مصر، بكل تداعياتها العسكرية و الفكرية فى ثقافتنا العربية، هى النموذج الأتمّ لذلك.

فقد دخلت المطبعة العربية إلى مصر مقطورة وراء عربة المدفع الفرنسى لتؤسس للظاهرة الاستعمارية بوجهيها العسكرى و الفكرى.

الرحلة المعينية، ص: ۸

على أن الظّاهرة الغربية فى قراءة الآخر و تأويله، كانت دافعا و محرضا بالنسبة إلى النخب العربية المثقفة التى وجدت نفسها فى مواجهة صور غربيّة لمجتمعاتها جديدة عليها، و هو ما استفز فيها العصب الحضارى، لتجد نفسها تملك، بدورها، الدوافع و الأسباب لتشدّ الرحال نحو الآخر، بحثا و استكشافا، و تعود و معها ما تنقله و تعرضه و تقوله فى حضارته، و نمط عيشه و أوضاعه، ضاربة بذلك الأمثال للناس، و لينبعث فى المجتمعات العربية، و للمرة الأولى، صراع فكرى حاد تستقطب إليه القوى الحيّة فى المجتمع بين مؤيد للغرب موال له و متحمّس لأفكاره و صياغاته، و بين معاد للغرب، رافض له، و مستعدّ لمقاتلته.

و إذا كان أدب الرحلة الغربى قد تمكن من تنميط الشرق و الشرقيين، عبر رسم صور دنيا لهم، بواسطة مخيّلة جائعة إلى السّحرى و الأيروسىّ و العجائبىّ، فإن أدب الرحلة العربى إلى الغرب و العالم، كما سيتّضح من خلال نصوص هذه السلسلة، ركّز، أساسا، على تتبع ملامح النهضة العلميّة و الصناعيّة، و تطوّر العمران، و مظاهر العصرنة ممثلة فى التطور الحادث فى نمط العيش و البناء و الاجتماع و الحقوق. لقد انصرف الرّحالة العرب إلى تكحيل عيونهم بصور النهضة الحديثة فى تلك المجتمعات، مدفوعين، غالبا، بشغف البحث عن الجديد، و بالرغبة العميقة الجارفة لا فى الاستكشاف فقط، من باب الفضول المعرفى، و إنما، أساسا، من باب طلب العلم، و استلهام التجارب، و محاولة الأخذ بمعطيات التطور الحديث، و اقتفاء أثر الآخر للخروج من حالة الشّلل الحضارىّ التى وجد العرب أنفسهم فريسة لها. هنا، على هذا المنقلب، نجد أحد المصادر الأساسية المؤسّسة للنظرة الشرقية المندهشة بالغرب و حضارته، و هى نظرة المتطلّع إلى المدنيّة و حداثتها من موقعه الأدنى على هامش الحضارة الحديثة، المتحسّر على ماضيه التليد، و التّائق إلى العودة إلى قلب الفاعلية الحضارية.

إن أحد أهداف هذه السّلسلة من كتب الرحلات العربية إلى العالم، هو

الرحلة المعينية، ص: ۹

الكشف عن طبيعة الوعى بالآخر الذى تشكّل عن طريق الرحلة، و الأفكار التى تسرّبت عبر سطور الرّحالة، و الانتباهات التى ميّزت نظرتهم إلى الدول و الناس و الأفكار. فأدب الرحلة، على هذا الصعيد، يشكّل ثروة معرفيّة كبيرة، و مخزنا للقصص و الظواهر و الأفكار، فضلا عن كونه مادة سرديّة شائقة تحتوى على الطريف و الغريب و المدهش مما التقطته عيون تتجوّل و أنفس تنفعل بما ترى، و وعى يلمّ بالأشياء و يحلّلها و يراقب الظواهر و يتفكّر بها.

أخيرا، لابد من الإشارة إلى أن هذه السّلسلة التى قد تبلغ المائة كتاب من شأنها أن تؤسس، و للمرة الأولى، لمكتبة عربية مستقلّة مؤلّفة

من نصوص ثريّة تكشف عن همّة العربيّ فى ارتياد الآفاق، و استعداده للمغامرة من باب نيل المعرفة مقرونة بالمتعة، و هى إلى هذا و ذاك تغطى المعمور فى أربع جهات الأرض و فى قارّاته الخمس، و تجمع إلى نشدان معرفة الآخر و عالمه، البحث عن مكونات الذات الحضارية للعرب و المسلمين من خلال تلك الرحلات التى قام بها الأدباء و المفكرون و المتصوفة و الحجاج و العلماء، و غيرهم من الرّحالة العرب فى أرجاء ديارهم العربية و الإسلامية.

محمد أحمد السويدى

الرحلة المعينية، ص: ۱۱

المقدّمة

اشارة

يشكل تراث الصحراء المغربية جزءا هاما من التراث المغربى، و رافدا متميزا من روافده الثرة، و كان هذا التراث و حتى بداية القرن الماضى معروفا فى سائر المراكز الثقافية المغربية، و خاصة فى مراكش و الرباط و مكناس و تطوان، يتداوله العلماء و المهتمون، تقريظا و تذييلا و تهميشا، و يتنافس رجال المطابع و المكتبات فى طبعه و إخراج متونه، و خاصة مؤلفات علماء مدرسة السمارة.

و قد حاول المستعمر القضاء على هذا التراث فى إطار سياسته القائمة على ضرب مقومات وحدة الشعوب المستعمرة، فقام بإحراق خزانة الشيخ ماء العينين خلال الهجوم الفرنسى على مدينة السمارة سنة ۱۹۱۳، و خرب و نهب العديد من الذخائر العلمية و المآثر التاريخية، لكن قوة و أصالة هذا التراث، و تشبث المغاربة به، و حرصهم على صيانته و المحافظة عليه جعله يتخطى كل التحديات، و يواصل فعاليته الإشعاعية.

و بعد استرجاع المغرب لأقاليمه الصحراوية، قامت حركة علمية نشيطة للتعرف بهذا التراث و إبراز قيمته العلمية، فأنجزت بعض الدراسات القيمة

الرحلة المعينية، ص: ۱۲

التى حاولت إعادة الاعتبار له و نفض الغبار عن بعض ذخائره العلمية، لكن هذه الدراسات رغم أهميتها، لم تصل بعد إلى الإلمام بهذا التراث و الإحاطة بجوانبه المتنوعة ..

من هنا جاء الاهتمام بإخراج هذا العمل الذى بادر مشروع ارتياد الآفاق إلى إعادة طبعه و تعميم الاستفادة منه، رغبة منه فى التعريف بالتراث الجغرافى العربى، و حرصا منها على إبراز قيمته العلمية.

و قد حظيت الرحلة المعينية بهذا الاهتمام قبل غيرها من النصوص التراثية الصحراوية لعدة اعتبارات منها:

۱. قيمتها العلمية، فهى تقدم للملتقى مادة متنوعة قلما يجدها مجتمعة فى كتاب واحد، من أحاديث و أخبار و أشعار و بيانات جغرافية و بيليوغرافية و تاريخية و اجتماعية و غيرها، و تحلق به فى فضاءات ثقافية مختلفة قلما يحصلها فى رحلة واحدة، فينتقل بين طرفاية و طنطان و سيدى إفنى و تطوان و الأندلس و طرابلس و مصر و مكة و المدينة و غيرها، و يتعرف على عدد من العلماء، و الأدباء و الشعراء و رجال الفكر و السياسة، و يقف على المآثر التاريخية و العمرانية و الأشعار و الإجازات و الرسائل، و غيرها من العناصر التى تشكل مادتها و تساهم فى بنائها.

و تتضاعف القيمة العلمية لهذه الرحلة و تزداد قبولا عند الباحثين و العلماء بما تحتوى عليه من شهادات و نصوص شعرية و فتاوى فقهية و إفادات اجتماعية و ثقافية ضاعت مصادرها الأصلية، و لم يبق لها أثر فى الخزانات العامة و الخاصة، فهى تتضمن نقولا من كتب أصبحت فى حكم المفقود، كما هو الشأن بالنسبة لرحلة الشيخ ماء العينين، و أشعارا لا أثر لها فيما تبقى من الدواوين و

المختارات، كقصيدة العتيق بن محمد فاضل بن احمد الملقب بالليل، والد المؤلف فى مدح

الرحلة المعينية، ص: ۱۳

السلطان مولاى الحسن، و قصيدة المؤلف نفسه فى تخميس رائية الشيخ أحمد الهيبة فى مدح الرسول صلى اللّه عليه و سلم، و بعض أشعار الشيخ مربيه ربه و الشيخ محمد الإمام و إبراهيم الإلغى و إدريس الجاى، و غيرها من الأشعار و الرسائل و الإجازات، و تحيل على بعض المصادر التى لم يعد لها أثر فى فهارس الخزانات العامة و لا فى دلائل المكتبات الخاصة، مثل كتاب المؤلف الذى يجمع بعض مساجلاته الشعرية و مذكراته العلمية مع أدباء فاس و مكناس وسلا و الرباط و الدار البيضاء و مراكش و فتاويه الفقهية فى أكل ذبائح النصارى و نكاح نسائهم و رقى مرضاهم ، و غيرها من الكتب و المصادر التى تحيل عليها و تلفت الانتباه إلى وجودها.

۲. مكانة صاحبها، فمؤلفها ماء العينين بن العتيق- كما يبدو من خلالها، و كما عرف به غير واحد من العلماء- يعد مثالا للمشاركة العلمية و الالتزام الدينى و الوطنى، و نموذجا حيا لعلماء الصحراء، تأليفا و صرامة و بديهة و قرظا للشعر.

و يكفى أنه سبط الشيخ ماء العينين و خريج مدرسة السمارة.

۳. قيمتها الوحدوية: فهى تمثل مظهرا بارزا من مظاهر التواصل بين شمال المغرب و جنوبه من جهة و بين المغرب و باقى بلدان العالم الإسلامى من جهة ثانية، و من الصور التى تعكس هذا البعد الوحدوى الذى يميزها، قول المؤلف فى وصف اجتماع أعضاء المركز العام لبيت الوحدة الغربية بتطوان بوفد الحجاج الصحراويين المتوجهين إلى الديار المقدسة عبر المنطقة الخليفية بشمال المغرب:

«و مما زارنا أقوام أدباء من أهل الوحدة المغربية، منهم الشيخ أحمد بن محمد معنينو السلوى، و رئيس المركز العام للوحدة المغربية و مدير جريدتها السيد عبد السلام بن المقدم، و الحاج احمد التمسمانى، و صنوه القائد السيد الحاج محمد بن المقدم، و السيد الحاج المختار بن الصادق أحرضان الطنجى، و الكاتب السيد محمد بن الفقيه و السيد محمد الزواق التطوانى، و الشاب الشاعر الشريف عبد

الرحلة المعينية، ص: ۱۴

الوهاب بن عبد الرحمان بنمنصور ... و الأستاذ الجليل مؤسس الوحدة المغربية الشيخ المكى الناصرى ... فقام الشاب الأديب عبد الوهاب بنمنصور، و ألقى خطبة حسنة مشتملة على الترحيب بنا و على الاستبشار و الفرح بمقدمنا، و على أن لهم محبة زائدة بجنابنا، و أنشد بعد الخطبة هذه الأبيات:

إن جيد العلى بكم قد تحلىو شعاع الصلاح منكم تجلى

و غرام فى الله يجمعنا اليوم وحب الإله من شهد أحلى

أيها الزائرون شرفتمونامرحبا بالكرام أهلا و سهلا

فأجزنى يا إبن العتيق أجزنىإنكم فى الشعر أسمى و أعلى

فأجازه ابن العتيق، و ألقى خطبة تقتضى جواب الخطب التى ألقيت فى هذا الاجتماع، و أنشد ارتجالا:

يا إخوة المجد يا أعلام سبسبهو النازلين بأعلى ذروة الرتب

لله إيخاؤكم هذا فبينكمآخت لبان العلى و العلم و الأدب

قد سرنا اليوم ما ألقيتموه لناتبارك الله من شعر و من خطب

ثم قام الأديب إبراهيم الإلغى السوسى، و أنشد قصيدة فى الترحيب بسائر الوفد، يقول فى مطلعها:

خطر النسيم مبشرا بالأسعدويد الصباح تبل وجه الأنجد

الرحلة المعينية، ص: ۱۵

إلى أن يقول:

فاليوم لاحظت السعادة خلسةبعيونها قلب الغريب المبعد

من قبل كان البين فرق بيننافالآن أمسينا كعقد منضد

إن صح ترحيب الغريب بمثلهفأنا أرحب بالوفود الورد

هذه الوفود النازلات برحبنالبّت نداء الله دون تردد

و يتكرر مثل هذا اللقاء الوحدوى الذى شهدته تطوان بين رجال الحركة الوطنية المغربية فى شمال المغرب و جنوبه بصور أخرى فى طرابلس و السويس و مكة و المدينة فيشمل أطراف الأمة الإسلامية كلها شرقا و غربا و شمالا و جنوبا. و من الصور التى تجسده قول المؤلف فى ذكر أعلام الفكر و السياسة الذين اجتمع بهم فى مكة: «و من الأعيان و الرؤساء الذين أتونا زائرين بمكة المشرفة للتبرك بالشيخ و وفده، و اجتمعنا بهم، و تذاكرنا مع بعضهم، و استمد بعضهم من سيادة الشيخ، الأمير شكيب أرسلان ... الشيخ محمد خليل بن عبد القادر اطيبة، الشيخ جعفر بن صالح الكثيرى من أرض حضر موت، الشيخ محمد بن أمير جان بن غلام جان بن أمير الله، من الأفغان، و ناصر السنة الشيخ مصطفى المحامى المصرى، مدرس و خطيب فى مقام السيدة زينب، الشيخ السيد محمد زبارة، أمير من أمراء اليمن، السيد عبد القيوم ولد سبائبة حيدراباد، من الهند، خلف الله الصالح من سودان مصر ...»

و هذا البعد الوحدوى يخرج بهذه الرحلة من إطارها التاريخى و الجغرافى المحددين و يزيدها عمقا و اتساعا، فلا يشعر القارئ و هو يتبع مراحل هذه الرحلة الممتدة بين طنطان و المدينة المنورة بأنه ينتقل من كيان إلى كيان آخر مختلف عنه، أو يحس

الرحلة المعينية، ص: ۱۶

بوجود شروخ فاصلة بين الفضاءات المكونة لها أو ينتابه شعور بالغربة و هو يجوبها و يذاكر أهلها و يساجلهم، و لكنه يشعر بالاطمئنان و الانسجام و التناغم معها، و لعل هذا البعد الوحدوى الذى يميز هذه الرحلة و غيرها من الرحلات الحجازية راجع بالإضافة إلى نوعية هذه الرحلات و مقاصدها، إلى نظرة الإسلام إلى الذات و إلى الكيان الإسلامى بصفة عامة، و هى نظرة تقوم عل مبدإ وحدة كيان الأمة الإسلامية على الرغم من تعدد ألسنتها و اختلاف شعوبها و قبائلها، و هو مبدأ ظل حاضرا فى اللاشعور الجمعى الإسلامى، على الرغم من التشرذم الذى أصاب هذه الأمة على امتداد التاريخ، و سيظل أفق انتظار واعد لنهضتها و تطلعات شعوبها.

۴. قيمتها الجمالية: و تتمثل فى كيفية حوارها للفضاءات الزمانية و المكانية التى تتحرك داخلها، و أسلوب عرضها لشريط الذكريات التى عاشها المؤلف و هو ينتقل داخل هذه الفضاءات، فهى تتعامل مع المكان كخلفية مؤطرة لأمكنة تحرك رحلة الشيخ مربيه ربه و مرافقيه من جهة، و تضفى على هذه الأمكنة جمالية من جهة أخرى، و هذا الأمر جعلها تتحرك داخل ثنائيات مكانية و زمانية متعددة تحمل دلالات رمزية تحكمها قيم الاتساع و الضيق و الحرية و السجن، و المقدس الخالد و العرضى الزائل، و المألوف و الغريب و الشرعى و العرفى، و غيرها من الثنائيات التى تتقابل داخلها، و رغم هذا التعدد الزمانى و المكانى الذى يميزها فإن السياق الوحدوى العام الذى يؤطرها أهل صاحبها لتحويل المطلق الزمانى و المكانى إلى تحديدات مكانية قابلة للرؤية البصرية، فهو لا يكاد يذكر مغادرة أو وصولا أو لقاء أو واقعة دون ذكر السنة و اليوم أو الليلة و الشهر و السنة التى حصل فيها ذلك، و هى سمة لازمة فى جميع مؤلفاته

لهذه الاعتبارات و غيرها استقر العزم على إخراج هذه الرحلة، لتساهم ضمن غيرها من الأعمال الجغرافية فى إكمال الصورة العامة للأدب الجغرافى المغربى بصفة خاصة و العربى بصفة عامة.

و لم يكن إنجاز هذه المهمة سهلا، و ذلك لأسباب كثيرة، منها:

الرحلة المعينية، ص: ۱۷

۱- صعوبة التحقيق أساسا، فهو عمل علمى شاق، يقتضى الأمانة و الدقة و الصبر، و هى أمور عزت فى هذا الزمان.

۲- اختلاف الأصول المعتمدة فى إخراج هذه الرحلة، فقد انتهت إلينا منها نسختان مختلفتان فى الحجم و المادة، الأولى مصورة على شريط ميكرو فيلم مستخرج من نسخة أصلية مكتوبة بخط مؤلفها. و تتألف من قسمين، الأول يتكون من ۹۳ ورقة من الحجم المتوسط،

و الثانی یتکون من ۱۱۵ ورقة من نفس الحجم، و هی ملیئة بالأشعار و الأخبار و أسماء الرجال و الإجازات و النقول و الرسائل و الإفادات الفقهیة و الأدبیة، و مکتوبة بخط مغربی صحراوی واضح، لکن إخراجها من المکرو فیلم، قراءة أو تصویرا لا یتأتی بسهولة، و قد استخرجت منها صورة توجد بالخزانة الحسنیة بالرباط. و یبدو أنها أقدم النسخ و أسلمها و أکملها و أقربها إلی تاریخ إنجازها. فقد انتهی المؤلف من نسخها- کما جاء فی آخر ورقة منها- فی متم صفر ۱۳۵۸ ه، أی بعد شهر من عودته من الدیار المقدسة، و لذلک اعتمدتها فی هذا الإخراج، و اعتبرتها النسخة الأم. و یوجد هذا الشریط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ۸۰.

الثانیة، بخط مؤلفها أیضا، و تتکون فی مجموعها من ۶۷ ورقة من الحجم الکبیر. و تخلو ممّا فی النسخة الأولی من أشعار و إجازات و فوائد علمیة و أدبیة، و مع ذلک توجد بها بعض الإفادات التی لا توجد فی النسخة الأولی. و یبدو من خلال ورقتها الأخیرة أنها کتبت فی رمضان سنة ۱۳۵۸ ه، أی بعد ستة أشهر من کتابة النسخة الأولی، و لذلک اعتبرتها نسخة تکمیلیة. و قد استخرج منها المرحوم علی مربیه ربه سنة ۱۹۶۳ نسخة مرقونة فی ۵۳ صفحة، و زودنی بها- جازاه الله خیرا- سنة ۱۹۸۳. و توجد بخزانة الأستاذ شیبة ماء العینین.

و یبدو أنها ملخص للنسخة الأم.

۳- خلو المتن المخطوط من علامات الترقیم، من نقط و فواصل و أقواس، مما یجعل التمییز بین کلام المؤلف و النصوص المستشهد بها صعبا فی کثیر من الأحیان.

۴- کثرة أسماء أعلام الرحلة و اختلاف درجاتهم و مستویاتهم و أماکنهم، و عدم وجود مصادر لتراجم الکثیر منهم، و خاصة الأعلام المغمورین الذین وردت أسماؤهم

الرحلة المعینیة، ص: ۱۸

فی الرحلة لمجرد مشارکتهم فیها، أو لالتقاء المؤلف بهم عرضا فی تطوان و طرابلس و الحجاز.

۵- کثرة النصوص الشواهد فی الرحلة و تنوعها، فقد جمع فیها صاحبها أنواعا مختلفة من الشواهد و فنون القول من آیات قرآنیة و أحادیث نبویة و أشعار و رسائل و إجازات و فوائد فقهیة و تاریخیة و جغرافیة، و کثیرا ما یهمل ذکر أصحابها و مظانها، مما یجعل توثیقها صعبا، و یضیع الکثیر من الجهد فی البحث عن مصادرها.

و قد تمکنت بعون الله و قوته من تخطی کل هذه الصعوبات، فاعتمدت النسخة الأولی أساسا فی إخراج هذا العمل، و أکملتها بما ینقصها مما ورد فی النسخة الثانیة من إفادات، و أضفت عناوین للفقرات المهمة اعتمادا علی فهرس الموضوعات الذی أثبته المؤلف فی نهایة هذه الرحلة، و حاولت التعریف ببعض الأعلام الذین ذکرت أسماؤهم فیها اعتمادا علی ما توافر لی من مصادر شفویة و مخطوطة، مثل کتاب «الأبحر المعینیة» للشیخ محمد الغیث النعمة، و «سحر البیان» للمؤلف نفسه، و کتاب «النفحة الأحمدیة» للشیخ أحمد بن الشمس، و مرددات و محفوظات بعض الصحراویین، ما عدا الأعلام الذین لم یترکوا أثرا یذکر، أو الذین لم تحفظ الروایة الشفویة أو کتب التراجم أخبارهم.

کما قمت بتخریج الآیات القرآنیة و الأحادیث النبویة التی لم یذکر المؤلف مصادرها، و الأشعار التی تتخللها، و حاولت ضبط أوزانها، و شرح بعض غوامضها و شکل بعض کلماتها، و قدمت لذلک بمقدمة مرکزة حاولت فیها التعریف بصاحبها و تلخیص محتویاتها، فجاء العمل- کما یبدو فی صورته المطبوعة- متکاملا یجمع بین کمال النسخة الأم و إضافات النسخة الفرع.

التعریف بالمؤلف

تمثل حیاة ابن العتیق سجلا حافلا بالعطاءات، جامعا للمزایا، مثیرا للدهشة، فقد جمعت سیرته کل صفات النبل و الکمال، من تواضع و نزاهة علمیة و التزام دینی

الرحلة المعینیة، ص: ۱۹

و وطنی.

ولد سنة ۱۳۰۷ ه- ۱۸۸۷ م. بالساقیة الحمراء، و ما کاد یتجاوز سن الرضاع حتی توفی والده، فکفله جده الشیخ ماء العینین، و تولی تربیته بنفسه. قضی معظم شبابه بالسمارة ینعم بطیبها، و ینهل من معارفها إلی أن دعی داعی البین إلی مغادرتها إلی تزنیت سنة ۱۹۱۰، بعد اشتداد الضغط الأجنبی علیها. بعد وفاة جده الشیخ ماء العینین، لازم خالیه الشیخ أحمد الهیبة و الشیخ مربیه ربه و آزرهما فیما اضطلعا به من أمور الجهاد فی الحوز و سوس، فکان یشجعهما و یشید ببطولاتهما، و یتصل بالعلماء و أهل الحل و العقد من أهل سوس لمساندتهما إلی أن تم تطویق المقاومة فی الجنوب و تصفیة آخر معاقلها سنة ۱۹۳۴، فعاد إلی الصحراء مرة ثانیة و اشتغل فیها بالقضاء بمدینة طانطان و نواحیها.

فی سنة ۱۳۵۷ ه- ۱۹۷ م. قام بزیارة الدیار المقدسة علی نفقة المخزن المغربی ضمن الوفد الصحراوی الذی ترأسه الشیخ مربیه ربه، التقی خلالها بعدد من العلماء و رجال الفکر و السیاسة فی تطوان و طرابلس و السویس و الحجاز و أشبیلیة و غیرها، مثل عبد الوهاب بنمنصور و المکی الناصری و أحمد معنینو و شکیب أرسلان و ابن مایابا الجکنی و غیرهم.

بعد استقلال الجزء الشمالی من المغرب، توجه ضمن أول وفد صحراوی لتجدید البیعة و الولاء للسلطان محمد الخامس و تهنئته بالعودة من المنفی و تکسیر قیود الحمایة.

فی أواخر سنة ۱۹۵۶ عین أستاذا بالکلیة الیوسفیة بمراکش، و ظل یدرس بها إلی أن توفی سنة ۱۳۷۶ ه- ۱۹۵۷ م. بعد سبعین سنة من العطاء و المساهمة فی بناء الوطن.

و یمکن أن نمیز فی حیاته ثلاث محطات بارزة، أشاد بها معظم الذین عاصروه أو ترجموا له.

المحطة الأولی: تتعلق بنسبه، فهو ینتمی إلی أسرة شریفة طبقت شهرتها الآفاق هی أسرة الطالب المختار، فأبوه هو العتیق محمد فاضل بن محمد اللیل ابن محمد بن أحمد الطالب المختار، وجدته لأبیه هی الرحمة بنت الشیخ محمد فاضل بن مامین،

الرحلة المعینیة، ص: ۲۰

و أمه هی العالی أمّ ابنة الشیخ ماء العینین.

و قد حظیت هذه الأسرة باحترام کبیر داخل الصحراء و خارجها، و تمیز أبناؤها بالنبوغ و المشارکة العلمیة و الغیرة الوطنیة، فجده الشیخ ماء العینین کان من العلماء العاملین الذین ذاع صیتهم فی المشرق و المغرب، و قصده القریب و البعید، فکانت زاویته بالسمارة منارا للعلم و قلعة للجهاد، و قد جعله ملوک المغرب نائبا عنهم فی الأقالیم الصحراویة منذ عهد المولی عبد الرحمان، و کلفوه بتعمیرها و حمایتها مما کان یهددها من أخطار أجنبیة، و شهرته تغنی عن التعریف به.

و أبوه العتیق- کما ذکر صاحب سلوة الأنفاس و غیره ممن ترجم له- کان من العلماء المشارکین و الشعراء المفلقین، شارک فی معرکة الداخلة سنة ۱۳۰۲ ه- ۱۸۸۴ م، و أبلی فیها بلاء حسنا، و له فیها قصیدة ینتصر فیها للحق، و یدعو إلی مقاومة المستعمر ، و قد حظی بلقاء السلطان مولای الحسن سنة ۱۳۰۹ ه- ۱۸۹۱ م بفاس، و مدحه بقصیدة یقول فی بعض أبیاتها:

أمیرنا و أری الأوصاف توضحهما یوضح الموضحان الإسم و اللقب

من هو ملجأ أهل الأرض یلجئهالبابه الملجئان الخوف و الرغب

فللضعیف عطوف منحن أبداکأنه المشفقان أمه و الأب

و فی الحروب إذا نار الوغی اشتعلت کأنه الحارقان الجمر و اللهب

و کان ینوی الحج، و یتهیأ للخروج إلیه من فاس، لکنه أصیب بالجذری و توفی

الرحلة المعینیة، ص: ۲۱

بسبه سنة ۱۹۱۰ ه- ۱۸۹۲ م، فحضر جنازته السلطان مولای الحسن و أعیان الدولة و القضاء و العلماء و دفن بزاویة الشیخ عبد القادر

الجيلالى .

و قد ساهم هذا النسب بدور كبير فى تشكيل ملامح شخصيته و تحديد مسار حياته، فلم يسلك مسلك البسطاء من سائر أبناء حسان و الزوايا، و لم يخض فيما كان يشغلهم من هموم و مشاغل عابرة، بل اتبع نهج أسلافه فى الحياة، و اقتفى أثرهم فى العلم و الاستقامة، فكانت حياته مجمعا للمثل و سجلا حافلا بالعطاءات.

المحطة الثانية، تتصل بتربيته و تعليمه، فقد تلقى تربية متكاملة تقوم على الجمع بين علوم الظاهر و الباطن، و تولى تربيته مجموعة من علماء السمارة، فأخذ مبادئ الفقه و العربية على يد أمه العالى، و التصوف و علم الحديث و الكلام على يد جده الشيخ ماء العينين، و القرآن على يد الفقيه زين، و الأدب على يد خاليه الشيخ النّعمة و الشيخ أحمد الهيبة، و النحو على يد الشيخ محمد بن سيدين و علم الأصول على يد الشيخ محمد العاقب بن مايا با الجكنى.

و ترتبط بتعليمه الأولى حكاية مثيرة يتداولها أبناؤه و كثير من العارفين بأحواله، فبعد أن آنست منه أسرته القدرة على التحصيل، بادرت بإرساله إلى العلامة ابن انبالة، أحد أساتذة مدرسة السمارة، لكن هذا المربى ما كاد يستأنس به و يطمئن إليه حتى أرجعه إلى بيته يائسا من تعليمه، فارتاعت أمه لهذا الأمر و ثارت ثائرتها، و أسرعت به إلى والدها الشيخ ماء العينين، و دخلت عليه، و هو فى مجلسه و رمت به إليه، «و كلها أمل فى أن يكون الولد فى المستوى الذى تريده له ». فما كان من والدها إلا أن طمأنها و هدأ من روعها قائلا: دعيه هنا، فسترين ما يسرك، و كلفها بالسهر على تكوينه، فكان ما كان من نبوغه و انقداح عين بصيرته .

و كان الشيخ ماء العينين يوليه عناية خاصة و «يرجو من اللّه أن يجعله له مثل أبيه

الرحلة المعينية، ص: ۲۲

العتيق، بل فوقه فى العلم و غيره من حفظ و نجابة» . و قد تحققت آمال جده فيه، فنبغ فى مختلف علوم عصره من فقه و أصول و تاريخ و تصوف و أدب، و غيرها. و أجازه مجموعة من العلماء منهم، الشيخ ماء العينين الذى أجازه فى القرآن الكريم رسما و قراءة، و زين بن البكاى الذى أجازه فى قراءة نافع و رواية ورش و قالون، و ابن مايابا الذى أجازه فى علم الأصول، و غيرهم. و قد نظم بعض هذه الإجازات، و أورد بعضها فى رحلته، منها قوله فى نظم إجازة العلامة زين:

هذا و ذى سلسلتى منظومفى سند الإجازة المعلوم

أسندها إلى النبى الهادىروايةً موصولة الإسناد

فيما روى ورش و قالون عنشيخنا أب رويم المدنى

أجازنى فى المقرإ المذكورلنافع بأخذه المشهور

أستاذى المدعو زين القلقمىإلى محمد الأمين القلقمى

و هو عن الأستاذ شيخنا الكبيرماء العيون القدوة القطب الشهير

و منذ أن نال هذه الإجازة سنة ۱۳۱۹ ه- ۱۹۰۲ م . كلفه جده الشيخ ماء العينين بقراءة الحزب على يمينه، فدوام على ذلك إلى أن توفى سنة ۱۳۲۸ ه، كما

الرحلة المعينية، ص: ۲۳

أسند إليه التدريس بمدرسة السمارة، فكان لذلك أثره فى اختبار معارفه، و تعميق ما حصله من علوم.

المحطة الثالثة، تتعلق بإنتاجه العلمى و الأدبى، و هو إنتاج يتميز بالغنى و التنوع و العمق فقد ألف فى علوم مختلفة و فنون كثيرة، من فقه و تصوف و رحلات و مناقب، و غيرها و تعتبر مؤلفاته مصدرا أساسيا من مصادر الحركة الفكرية فى الصحراء المغربية، و صورة حية لما تميز به علماء الصحراء من نبوغ و مشاركة علمية.

و من أبرز مؤلفاته، غير «الرحلة المعينية»:

۱. «بحور البدائع المحتوية على درر الأشعار المصطفوية» و هو ديوان يضم بعض منتخبات الشيخ مربيه ربه فى عدد من فنون الشعر العربى، و يحتوى على مقدمة و ثمانية أبواب و خاتمة.

الباب لأول: فى الثناء على الله من شعر محمد المصطفى مربيه ربه.

الباب الثانى: فى أمداحه لنبوية.

الباب الثالث: فى مدحه لوالده الشيخ ماء العينين.

الباب الرابع: فى مخاطبته لإخوانه.

الباب الخامس: فى مخاطبته لمعاصريه.

الباب السادس: فى النسيب.

الباب السابع: فى الحكم و الفوائد.

الباب الثامن: فى التضرع إلى الله.

الخاتمة: فى قصائد الذين مدحوه من الصحراويين و من السوسيين.

۲. «البغية من ملخص الأحكام الشرعية على المستمد من مذهب المالكية»، و هى منظومة فقهية تتألف من ۹۸۰ بيت، توخى فيها تجديد الأساليب المتبعة فى

الرحلة المعينية، ص: ۲۴

الإفتاء و تدبير الأمور القضائية، و تتألف من أربعة أقسام.

الأول: يتعلق بالقضاء و متعلقاته.

و الثانى: يتعلق بالحقوق العائلية و الأحوال الشخصية.

و الثالث: يتعلق بالمعاملات و النزاعات.

و الرابع: يتناول الدماء و الحدود و المواريث.

و قد انتهى من تأليفها فى ۲۶ من شعبان ۱۳۵۹ ه- ۱۹۳۹ م.

۳. «تحفة المكاتب بقراءة شيخنا الشيخ ماء العينين لحزبه الراتب» . و هو كتاب استوعب فيه أحوال الشيخ ماء العينين كلها، العادية و العبادية، و خاصة كيفية قراءته للحزب.

۴. ديوانه الكبير، و هو ديوان ضخم يتجاوز ثلاثة آلاف بيت، تتناول مختلف أغراض الشعر العربى، و المعروف أن الشاعر قد ترك هذا الديوان مجموعا، و يبدو أنه كان من الكتب التى انتقلت إلى خزانة الشيخ محمد الإمام بعد وفاة صاحبه. و قد اشتغلت بجمعه منذ سنوات، و سيتم إخراجه قريبا إن شاء الله.

۵. سحر البيان فى شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان» و هو كتاب ضخم فى مناقب الشيخ ماء العينين، و يتألف من خطبة و مقدمة و ثمانية أبواب.

الأول: فى أوصاف الشيخ ماء العينين و أخلاقه و علومه الوهبية و الكسبية.

الباب الثانى: فى ذكر مؤلفاته، و ما أثر عنه من كلمات حكمية.

الباب الثالث: فى سيرته العادية.

الباب الرابع: فى بعض ما منحه الله من الكرامات الظاهرة و خوارق العادة الباهرة.

الباب الخامس: فى جملة أحواله مدة حياته من يوم مولده إلى وقت وفاته،

الباب السادس: فی نسبه الشریف و سلسلهٔ أشیاخه فی الطریقهٔ الصوفیهٔ.

الباب السابع: فی ذکر أولاده و بعض صفاتهم.

الرحلهٔ المعینیهٔ، ص: ۲۵

الباب الثامن: فی ذکر من وصل علی یده من المریدین.

و تنتهی هذه الأبواب بخاتمهٔ تتضمن عددا من القصائد الشعریهٔ التی صدرت عن مشاهیر العلماء و الأدباء فی مدح الشیخ ماء العینین و تأکید ولایته، و قد انتهی تحریره فی ربیع النبوی من سنهٔ ۱۳۷۵ ه. و توجد منه مجموعهٔ من النسخ المخطوطهٔ.

۶. کتاب محاضرات المؤلف و مساجلاته مع بعض علماء و شعراء فاس و مکناس و مراکش و سلا و الرباط و الدار البیضاء .

۷. مجموعهٔ من الفتاوی الفقهیهٔ و الرسائل و الإجازات و المنظومات .

۸. مسرح الأفکار بسیرهٔ النبی المختار» و هی منظومهٔ فی السیرهٔ النبویهٔ فی مائتین و اثنین و سبعین بیتا، استعرض فیها المؤلف سیرهٔ الرسول صلی اللّه علیه و سلم من بعثته إلی وفاته، کما تطرق فیها إلی أخبار الخلفاء الراشدین و أنسابهم و مآثرهم و وفیاتهم، و هی لا تزال مخطوطهٔ أیضا .

۹. «مطالع الأنوار فی مدیح المختار» و هو دیوان فی ثمانیهٔ و عشرین قصیدهٔ فی مدح الرسول صلی اللّه علیه و سلم، مرتبهٔ علی الحروف الهجائیهٔ .

۱۰. منظومهٔ فی سیرهٔ فقهاء المدینهٔ و أعیان المذهب، و هی لمع مقتضبهٔ فی تاریخ بعض أعیان الفقه الإسلامی کالإمام أبی حنیفهٔ و الشافعی و مالک و ابن حنبل و شعبهٔ بن المسیب و عروهٔ و ابن یسار، و غیرهم .

و لم تنحصر اهتمامات ابن العتیق فی التألیف و قرض الشعر فقط، و لکنها شملت مجالات أخری أکثر أهمیهٔ و اتصالا بالحیاهٔ. فساهم بدور فعال فی مقاومهٔ المستعمر و الدفاع عن وحدهٔ المغرب و سیادته، و له قصائد کثیرهٔ فی ذلک منها قوله فی الحث علی المقاومهٔ:

الرحلهٔ المعینیهٔ، ص: ۲۶ کفی المرء غیا للغواهٔ صغاره‌کذا بکبار الإثم تغری صغاره

و یوشک أن یغشی الحمی الراتع الذی‌رعی حوله و الجار یعدیه جاره

و إن الرضی بالذنب ذنب، و إن یقع‌عذاب یعم الفقرتین تباره

و دین المهدی للشرک ضد، فمن یرم‌مقارنهٔ الضدین یبدو ابتهاره

و من لیس یبدی نصرهٔ الدین مخطئ‌فکیف بباد للنصاری انتصاره

فیا إخوهٔ الإیمان، دعوهٔ مشفق‌نصوح دجا مما دهاکم نهاره

إلا هل لدین الله منکم مشیدفقد کاد أن ینقض أصلا جداره

و من ذلک أیضا قوله فی الإشارهٔ بجیش التحریر و التغنی ببطولاته:

بزغت علینا أنجم التحریرفتباشر الأوطان بالتطهیر

من رجس الاستعمار بعد مبشرفی الغرب، بل فی سائر المعمور

لازال جیشهم المطهر ناصراأعلام عرش إمامنا المنصور

الرحلهٔ المعینیهٔ، ص: ۲۷

و من ذلک أیضا قوله فی تهنئهٔ السلطان محمد الخامس بالعودهٔ من المنفی و عید الاستقلال و عید الفطر:

تتابعت البشائر و الخیوربحمد الله و اتصل السرور

و صبح السعد لاح له ضیاءو روض الفوز فاح له عبیر

إمام العصر محمود السجایامحمد ابن یوسف الشهیر

إلى أن يقول:

ألا فاهنأ قرير العين أن لاتفارقك المسرة و الحبور

بأعياد ثلاثة استهلت أهلتها بأفقك تستنير

بعيد الفطر شعبك مستقل و عيد العود لله الشكور

و عصرك كله أيام عيدبك اغتبطت سعادتها العصور

كما شاركك فى الإصلاح الاجتماعى و الدينى، فأبدى فيما أسند إليه من مسؤوليات قضائية و تربوية «من الرفق بالضعفاء و العمل على الأخذ بأيدى المساكين و المظلومين و إنصافهم من المعتدين، و الشدة فى الدين و الورع و الزهد و إعطاء كل ذى حقه، و محاربة أهل الفساد و القضاء على الرشوة و التشهير بمتناوليها و آخذيها ما يعلمه

الرحلة المعينية، ص: ۲۸

الخاص و العام» .

و له أشعار فى ذلك تدل على صرامته و غيرته الدينية، منها قوله فى إدانة الرشوة و التحذير من عواقب السقوط فى حبائلها:

يقول الناس مالك حيث تقضى تحامى ما به الأوطار تقضى

فقلت إن استجبت لما عرضتم فما جوابى يوم عرضى

أفى عرض من الدنيا دنيئ أبيع ديانتى و أبيح عرضى

معاذ الله أن ينتاط إلا بإصر الحق إبرامى و نقضى

و ما يغنى رضى المخلوق فيما إلى سخط من الخلاق يفضى

و أرجو الله إصلاحى و رشدى و توفيقى لما إياه يرضى

و قد انعكس ذلك على إنتاجه العلمى و الأدبى، و طبعه بطابع خاص ميزه عن غيره، فجاء متنوعا، غنيا، يجمع بين عبقريته الفذة و خصوصيات الفضاء الثقافى الذى عاش فيه و ترعرع فى أجوائه.

الرحلة المعينية، ص: ۲۹

مسار الرحلة

تندرج الرحلة المعينية ضمن الرحلات الحجازية، و هى كما يدل على ذلك على عنوانها تسجل رحلة ما العينين بن العتيق إلى الحجاز ضمن الوفد الصحراوى الذى أدى فريضة الحد سنة ۱۹۳۸ برئاسة الشيخ مربيه ربه، على نفقة المخزن. و قد استغرقت هذه الرحلة ثلاثة أشهر و نصف تبتدئ من خروج المؤلف من طنطان، يوم الجمعة ۱۶ شوال ۱۳۵۷ ه ۹ دجنبر ۱۹۳۸ م، و تنتهى بعودته إلى أهله بالطنطان أيضا يوم الثلاثاء ۲۹، ۲ حرم ۱۳۵۸ ه ۱۹۳۹ م ..

و يمكن تلخيص المسار العام لهذه الرحلة فى اللحظات التالية:

۱- انطلاق ركب حجاج الساقية الحمراء بحرا من ميناء طرفاية نحو مدينة «لاص بالماص» بجزر الكنارى فى ۲۲ شوال ۱۳۵۷ ه، ۱۵ دجنبر ۱۹۳۸.

۲- توجه الركب نحو مدينة قادس على ظهر سفينة إسبانية تسمى «باركو سيبى» بعد وصول الشيخ مربيه ربه إلى أرض «لاص بالماص» من طرفاية جوا.

۳- توجه الركب برا إلى الجزيرة الخضراء، ثم ركوب البحر إلى سبتة على متن سفينة إسبانية تسمى «سيوداد سبتة» فى ۲۸ من شوال ۱۳۵۷ ه، ۲۱ دجنبر ۱۹۳۸ م.

۴- توجه الركب إلى تطوان برا و الإقامة بها فى ضيافة المخزن لمدة اثنين و عشرين يوما و زيارة مآثرها و تجديد أواصر المحبة و الأخوة مع أعيانها و علمائها.

۵- توجه الركب برا إلى سبتة بع وصول وفد حجاج سيدى أفنى و أيت بعمران

الرحلة المعينية، ص: ۳۰

برئاسة الشيخ محمد الإمام، و وفد وادى الذهب برئاسة سيداتى بن الشيخ الولى فى ۱۷ من ذى القعدة ۱۳۵۷ ه.

۶- رسو الباخرة بميناء طرابلس لمدة ثلاثة أيام، و زيارة أضرحتها و مآثرها التاريخية و الاجتماع ببعض علمائها و أعيانها فى ۲۰ من ذى القعدة ۱۳۵۷ ه.

۷- توقف الباخرة ببور سعيد ثم السويس فى ۲۷ من ذى القعدة، و لقاء ولى عهد الخليفة السلطانى و من كان معه من رجال الوحدة المغربية بمصر لطلب العلم.

۸- الإقامة بمكة لمدة سبعة عشر يوما، و أداء مناسك الحج بها و زيارة مساجدها و قبور الصحابة بها، و الاجتماع ببعض علماء و قادة الدول الإسلامية بها.

۹- التوجه إلى المدينة المنورة عبر جدة بواسطة السيارات يوم الجمعة ۲۰ من ذى الحجة ۱۳۵۷ و الإقامة بها مدة ثمانية أيام، و زيارة مساجدها و رياضها و قبور أبطال الإسلام بها.

۱۰- رجوع الركب إلى جدة لركوب الباخرة فى ۲۹ من ذى الحجة.

۱۱- عودة الباخرة إلى سبتة بعد رسوها عند جبل الطور و السويس و بور سعيد و طرابلس و مليلية.

۱۲- توجه الركب إلى تطوان لحضور مجلس افتتحه الخليفة السلطانى لأمر الأوقاف و استقلال أحوالها فى ۱۶ محرم ۱۳۵۸ ه.

۱۳- رجوع الركب إلى سبتة ثم الجزيرة الخضراء، ثم أشبيلية، و زيارة المآثر الإسلامية بها فى ۱۹ محرم ۱۳۵۸.

۱۴- عودة ركب الحجاج إلى جزر الكنارى يوم الثلاثاء ۲۲ محرم ۱۳۵۸ ه.

۱۵- عودة الركب إلى طرفاية جوا يوم الأحد ۲۷ محرم ۱۳۵۸ ه.

۱۶- عودة المؤلف إلى أهله بطنطان يوم ۲۹ محرم ۱۳۵۸ ه، بعد اجتماعه بالشيخ مربيه ربه و بعض إخوانه.

و تتخلل هذه اللحظات مجموعة من الفوائد التى سجلها المؤلف طيلة هذه الرحلة، كأخبار الذين شاركوا فيها و أسمائهم و قبائلهم و مراتبهم و الأنشطة التى قاموا بها، و اللقاءات التى أجروها مع عدد من العلماء و رجال الفكر و السياسة فى شمال المغرب و ليبيا و مصر و الحجاز مثل، الفقيه محمد بن عبد القادر ابن موسى، وزير الأحباس

الرحلة المعينية، ص: ۳۱

فى المنطقة الخليفية فى الشمال و القائد محمد المصطفى ابن ادريس بن يعيش و أخيه الباشا محمد فاضل بن يعيش، و رئيس الحزب الإصلاحى الوطنى السيد عبد الخالق الطريس، و عبد الوهاب بنمنصور، مؤرخ المملكة حاليا، و المكى الناصرى و ادريس الجاى و إبراهيم بن على الدرقاوى، و غيرهم من رجال الفكر و السياسة بتطوان، و الشيخ محمد بن محمد بن برخيص قاضى طرابلس، و الشيخ أحمد الشارف الحاكم بالمحكمة الشرعية بها، و الشاعر أحمد بن محمد فقيه حسن، و الشيخ محمد بن عامر من بنغازى، و غيرهم من علماء و أدباء ليبيا، و الأمير شكيب أرسلان و الشيخ جعفر بن صالح الكثيرى من أرض حضر موت و الشيخ محمد بن أمير جان ابن غلام بن أمير الله، من الأفغان، و الشيخ محمد زباره من أمراء اليمن، و الشيخ عبد القيوم ولد الحاج سائبة حيدر أباد من السند، و الشيخ أمين الكتيبى، و غيرهم من الأعيان و الرؤساء الذين اجتمعوا بهم فى مكة و المدينة.

و تندرج ضمنها أيضا مجموعة من الإجازات و الرسائل و المساجلات و الفوائد الفقهية و الجغرافية و التاريخية التى تطول أحيانا حتى تقطع التسلسل الكرونولوجى للأحداث، كبعض قصائد المؤلف، و قصائد الشيخ مربيه ربه و قصائد الشيخ محمد الإمام، و إجازة

المؤلف فی القرآن، و إجازته لأبن موسی، و رسائله إلی عبد الرحمان ابن زیدان و خالیه الشیخ مربیه ربه و الشیخ محمد الإمام، و تقاریره حول الکعبة و قیاساتها و أساطینها، و لباسها، و ماء زمزم و خواصه و فوائده، و أبواب مسجد الله الحرام و مناراته، و غیر ذلک من النصوص و الفوائد.

کما تتخللها أیضا قصائد و مقتطفات من بعض الکتب التی عبثت بها ید الضیاع، مثل رحلة الشیخ ماء العینین و رائیة المؤلف فی تخمیس رائیة الشیخ أحمد الهیبة، و کتابه الذی یضم مساجلاته مع أدباء و شعراء الأقالیم المغربیة الشمالیة، و غیرها من الآثار النادرة التی تمیزها عن غیرها من الرحلات الحجازیة التی کتبت فی بدایة القرن الماضی، و تجعلها رحلة علم و أدب و وحدة، فضلا عن مقاصدها الدینیة.

الرحلة المعینیة، ص: ۳۲

الرموز المستعملة فی إخراج الرحلة

أ: النسخة الأصلیة

ب: النسخة الفرعیة

و: ورقة

م، خ: مخطوط خاص

[]: أشیر بهما إلی أن ما بداخلها لیس موجودا فی النسخة الأصلیة، مع التنصیص فی الهامش علی مصدر الإضافة.

«»: أشیر بهما إلی ما بداخلهما من النصوص المستشهد بها فی الرحلة.

(): أشیر بهما إلی عناوین الکتب المعتمدة فی الرحلة.

(): أشیر بهما إلی أن ما بداخلهما یوجد بهامش المخطوطة.

و لا یسعنی فی نهایة هذه المقدمة إلا أن أتوجه بالشکر الجزیل إلی الأستاذ ماء العینین مربیه ربه الذی کان وراء اهتمامی بإخراج هذا العمل، فقد شجعنی علی الاشتغال به وهیأ لی ظروف تحقیقه، و لم یبخل علی بما أنشده فی بیته من معلومات ضالة، و فوائد شاردة، فقرب لی کل بعید، و سهل علی کل صعب شرید، و لم یکتف بذلک، بل تفضل جازاه الله خیرا بکتابة کلمة لهذه الرحلة باعتبار جده الشیخ مربیه ربه رئیسها الدینی و واحدا من أعلامها البارزین و شاهدا علی ما تجسده فی تاریخنا الحدیث من عمق فکری و وطنی تمتد جذوره فی أعماق التاریخ، کما أتوجه بالشکر بصفة خاصة إلی أستاذنا الفاضل الدکور عباس الجراری الذی یعود إلیه فضل الریادة فی الاهتمام بتراث أقالیم المغرب الجنوبیة و توجیه الباحثین إلی الاعتناء به بصفة عامة، و تشجیعه لی بصفة خاصة علی تعمیق هذا الاهتمام، بعد أن ألقی بذوره الأولی فی أعماقی، و رعاه بعلمه الغزیر و أخلاقه العالیة. کما أتوجه بالشکر إلی الأستاذ الفاضل سید القوم حفید المؤلف و کذا المرحوم الأستاذ سعید الفاضلی و غیرهم من الباحثین الذین ساهموا من قریب أو بعید فی إخراج هذا العمل

الرحلة المعینیة، ص: ۳۳

ضبطا و تصحیحا.

کما أتوجه بالشکر أیضا إلی المشروع الجغرافی العربی «ارتیاد الآفاق» علی إخراجه لهذا العمل و رعایته له، متمنیا للقائمین علیه المزید من التوفیق و النجاح لتحقیق الأهداف النبیلة التی أسس من أجلها.

د. محمد الظریف ۲۰۰۴

الرحلة المعینیة، ص: ۳۵

نصّ الرّحلة

النصف الأول بـدء الرحلة من خروج المؤلف من طنطان فى ۱۶ شوال ۱۳۵۷ ه- دجنبر ۱۹۳۹ م إلى مغادرته مكة فى ۱۸ ذى الحجة ۱۳۵۷ ه- فبراير ۱۹۳۹ م

اشارة

بسم الله الرحمن الرحيم،

و على سيدنا محمد و آله أزكى صلاة و سلم.

حسبى الله، لا إله إلا هو، عليه توكلت، و هو رب العرش العظيم، و لا حول و لا قوة إلا بالله العلى العظيم.

«إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبارَكاً وَ هُدىً لِلْعالَمِينَ فِيهِ آياتٌ بَيِّناتٌ مَقامُ إِبْراهِيمَ وَ مَنْ دَخَلَهُ كانَ آمِناً وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ» . «وَ إِذْ بَوَّأْنا

الرحلة المعينية، ص: ۳۶

لِإِبْراهِيمَ مَكانَ الْبَيْتِ أَنْ لا تُشْرِكْ بِى شَيْئاً وَ طَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّائِفِينَ وَ الْقائِمِينَ وَ الرُّكَّعِ السُّجُودِ وَ أَذِّنْ فِى النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجالًا وَ عَلى كُلِّ ضامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِيَشْهَدُوا مَنافِعَ لَهُمْ وَ يَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِى أَيَّامٍ مَعْلُوماتٍ عَلى ما رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعامِ فَكُلُوا مِنْها وَ أَطْعِمُوا الْبائِسَ الْفَقِيرَ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَ لْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَ لْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ذلِكَ وَ مَنْ يُعَظِّمْ حُرُماتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ» .

الحمد لله الذى أنعم علينا بالإسلام و الإيمان و الإحسان، فشرف بتلك النعم على أجناس مخلوقاته الإنسان، و شرع من الدين ما وصى به نوحا و إبراهيم، فجلى بأنواره عنا غياهب ليل الشرك البهيم، ببعثة خاتم النبيئين و إمام المرسلين، شفيع المذنبين و قائد الغر المحجلين، معدن الشرف، و مظهر الفضل و الكرم صفوة العرب و إنسان عين الحرم، سيدنا محمد الطاهرة ملته من الأدناس، الوارد فى أمته، «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ» فأظهر به شعائر الدين، و شيد قواعده، و أعلى يده و قوى عضده و شد ساعده، فكان أعدل من نهى و أمر، و أفضل من حج بيته و اعتمر، و صل الله عليه و سلم تسليما ما قضيت به أمته الحاج، و ما تيمم من كل فج عميق بيت الله الحرام الحاج.

مطلب فى بعض الآثار الواردة فى فضل الحج و زيارة قبره صلّى اللّه عليه و سلم

و بعد فيقول أسير ذنبه، أفقر العبيد إلى ربه، ما العينين بن العتيق بن محمد فاضل، وقاهم الله شر المخاوف و المعاضل، الحسنى الإدريسى القلقمى نسبا، الشنجيطى إقليما، المالكى مذهبا، خديم شيخه الشيخ ماء العينين و مريده و سميه و ابن عمه و حفيده:

إنه مما لا يخفى أن الرحلة لبيت الله الحرام من أعظم القربات التى تؤذن بنيل المرام، و ذلك لمن استطاع إليه سبيلا، و سقى من أكوس العناية سلسبيلا، ليؤدى

الرحلة المعينية، ص: ۳۷

فريضة الحج و سنة العمرة، فإن المتابعة بينهما تزيد رزقه و عمره.

قال صلّى اللّه عليه و سلم: «تابعوا بين الحج و العمرة، فإن متابعة ما بينهما تزيد فى العمر و الرزق، و تنفى الذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد» . و قال صلّى اللّه عليه و سلم: «الحجاج و العمار وفد الله و زواره، إن سألوه أعطاهم، و إن استغفروه غفر لهم، و إن دعوا استجيب لهم، و إن تشفعوا شفعوا» . و قال عليه الصلاة و السلام: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، و الحج المبرور ليس له جزاء إلا

الجنة» ، و قال صلّى اللّه عليه و سلم: «من حج هذا البيت فلم يرفث، و لم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» . و فى صحيح مسلم من حديث عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه، أنه صلّى اللّه عليه و سلم قال له: أما علمت أن الإسلام يهدم ما قبله، و أن الهجرة تهدم ما كان قبلها، و أن الحج يهدم ما كان قبله، إلى غير ذلك مما يطول جلبه و تطيب به نفس الحاج و يطمئن قلبه، و ناهيك من رحلة لم يبعث لها إلا حج بيته تعالى الحرام، و زيارة قبر نبيه عليه الصلاة و السلام التى تتأكد مشروعيتها و قربها من درجة الوجوب حتى أطلقه بعضهم عليها، و على كل حال فمفروضيتها من مذهب محبته صلّى اللّه عليه و سلم واضحة لمن نظر إليها، قال صاحب (وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى) فى الباب الثامن فى زيارة النبى صلّى اللّه عليه و سلم: روى الدارقطنى و الطبرانى فى الكبير و الأوسط و غيرهما من طريق حفص بن داوود القارئ عن ليث عن مجاهد عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما، قال: قال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلم: «من حج فزار قبرى بعد وفاتى كان كمن زارنى فى حياتى» . و فيه أيضا عن ابن عمر رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلم: «من حج البيت و لم يزرنى فقد

الرحلة المعينية، ص: ۳۸

جفانى»، و فيه عن ابن عمر رضى الله عنهما، عن النبى صلّى اللّه عليه و سلم، قال: «من زار قبرى، حلت له شفاعتى» . و فى رواية عنه رضى اللّه عنه: «من زار قبرى وجبت له شفاعتى». و فيه عن على رضى اللّه عنه، قال: قال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلم: «من زار قبرى بعد موتى، فكأنما زارنى فى حياتى، و من لم يزرنى، فقد جفانى»، إلى غير ذلك مما هو كثر، و دليله النقلى و العقلى شهير. و قال عياض رحمه الله تعالى: زيارة قبره صلّى اللّه عليه و سلم سنة بين المسلمين يجمع عليها، و فضيلة مرغب فيها، و قال أبو عمران المالكى: زيارة قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلم واجبة. قال عبد الحق: يعنى من السنن الواجبة، و يستدل أيضا بقوله تعالى: «وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ» الآية، على مشروعية السفر للزيارة وشد الرحال إليها. و إذا ثبت أن الزيارة قربة، فالسفر إليها كذلك، و قد ثبت خروج النبى صلّى اللّه عليه و سلم من المدينة لزيارة قبور الشهداء، فإذا جاز الخروج للقريب، جاز للبعيد، و حينئذ فقبره صلّى اللّه عليه و سلم أولى، و قد انعقد الإجماع على ذلك لإطباق السلف و الخلف عليه. نرجوه تعالى أن يسعدنا بزيارته دنيا و أخرى، و أن يجعل الاعتصام بحبل سنته صلّى اللّه عليه و سلم لنا ذخرا.

تاريخ ولادة شيخنا الشيخ ماء العينين و وفاته رضى اللّه عنه

و لحب الحج و الزيارة، ما زلت من عنفوان شبابى، و إن كنت فى وطنى بين أقربائى و أترابى و أحبابى معلق البال بالرحلة إلى الحرمين، على أن العوائق إذ ذاك تصرخ بأن حديث النفس بها عين، لكونى لا إرادة لى و لا عزم و لا همة مع أستاذ الأساتذة و إمام الأئمة، قطب المشارق و المغارب، المعد لقضاء الحوائج و المشارب، مجمع مراشد الطرائق، مركز الشرائع و الحقائق، مجدد القرن الرابع عشر، المعترف بأفضليته جميع البشر، المخصوص بكمال الخلافة النبوية، الجارى على جادة السنة النبوية، من عجزت عن كنه محامده الأفهام و الأحلام، و ضاقت عن جمع مدائحه القراطيس

الرحلة المعينية، ص: ۳۹

و الأقلام، أستاذنا و ملاذنا و معاذنا شيخنا الشيخ ماء العينين، المعلوم علمه، الطائر صيته فى كلا الكونين. و رحم الله والدنا العتيق، حيث يقول من قصيدة فى مدحه:

[الطويل]

هو الشيخ ماء العينين و اللبس هاهنالعمرى مأمون لفقد المجانس

فقد نشأت بحمد الله فى حجره و كفالته، لا تعدو عيناى عن شمس خيبته و جلالته، ملقى فى يديه عنان نفسى و زمامها، مبتهجة بأن ليس فى الوجود سواه إمامها، متمسكة به تمسك الأعمى بقائده، مغمورة فى فيوض إفادته و فوائده، بل لا يمكن أن يسع غيره

صدری متیقنا بأنه یدری من حالی ما لا أدری، و کیف لا و هی عین جلالة قلبی من کل رین و غین، و لا أستطیع الصبر عنه و لا طرفة عین، به غذاء جسمی و روحی و روعی، و أقلده غایة التقلید فی معتادی و مشروعی، فما صح فی حیاته رضی اللّه عنه تخلفی عن جنابه المحترم، و لو کانت تعترینی بعض الساعات أشواق الحرم، مع أن شیخنا یری أن فریضة الحج ساقطة لأسباب عدیدة فی تلک المدة عن أکثر الشناقطة، إلی أن قضی تعالی بقبضه إلیه، و إیثاره بما من الأفضال و الإکرام اعتمد علیه، و ذلک فی منتصف لیلة الثلاثاء الحادیة و العشرین من شوال عام ألف و ثلاثمائة و ثمانیة و عشرین من هجرته صلّی اللّه علیه و سلم بمدینة تیزنیت إحدی قری السوس الأقصی، و عمره رضی اللّه عنه و أرضاه إثنان و ثمانون سنة و ثلاثة و خمسون یوما، لأن میلاده وقت المقیل یوم الثلاثاء السابع و العشرین من شعبان الأبرک عام ستة و أربعین بعد المائتین و الألف، کما نظمه رضی اللّه عنه بقوله:

فی عام رومش بشهر شعبانفی یوم زک مولدی و ذا استبان

الرحلة المعینیة، ص: ۴۰ یوم الثلاثاء مقیلا و الشکورأشکر لنعمتی مدی الدّهور

و ذیّلهما جامعه بهاذین البیتین فی تاریخ وفاته رضی اللّه عنه:

و قد توفی بلا احتمالفی الحادی و العشرین من شوال

فی عام حکسش لدی انتصافلیل الثلاثاء بلا خلاف

قدس الله روحه و رضی عنه و أرضاه و جعل فی أعلی الفرادیس مثواه، «ثم شاء الله أن زالت تلک الأسباب الشنیعة التی کان یری شیخنا أنها سقوط الحج ذریعة» فتزایدت یومئذ أشواقی و توالت تباریحی و أتواقی إلی مزار البقاع الطاهرات، و مشاهدة الحضرات الباهرات، لکن لم تزل کثرة العوائق مانعة، و نوائب الدهر العظام دافعة، و إنما أعلل نفسی بعسی و لعل، و الأمر لله فما شاء فعل، و أنشد بیتین فی المعنی:

هوّن علیک فإن کلّ مقدّرسیکون کیف تغالب الأقدار

و ارم الأزمّة للمکوّن تسترحفلکل شیء عنده مقدار

الرحلة المعینیة، ص: ۴۱

مطلب فی بیان أسلوب المدیحیات التی فتح الله بها علی صاحب الرحلة و تاریخها

فلما کانت سنة تسع و أربعین و ثلاثمائة و ألف ۱۳۴۹، فتح الله تعالی علی بقصائد خدمت بها جانب النبی صلّی اللّه علیه و سلم الکریم فی بعض المستطاع، من مدائح قدره العظیم، نظمتها علی أسلوب لم أر من سبقنی إلیه مراعاة للتفنن فی أسالیب، الثناء علیه، و ذلک أنی جعلت فی کل قصیدة منها ثمانیة و عشرین بعدد الحروف، و کل بیت من القصیدة افتتحته بحرف علی سبیل الترتیب المعروف، فجعلت عدة القصائد ثمانیة و عشرین کذلک، و کل واحدة تخص برویها من الحروف علی المتابعة کما هناک، و أفتتح بالحرف الذی هو روی القصیدة بیتها الأول ثم أتابع من لدنه سرد الحروف حتی تستکمل، إلی أن أختم بالحرف الذی قبل الحرف المفتتح به، کما وصف، و التزمت فی کل بحر قصیدة تیامنا بکمال الأرب حتی اکتملت البحور الخمسة عشر التی استعملتها العرب. ثم أعدت بعد ذلک ما دعت له القریحة منها، و جعلت آخر قصیدة منها فی بعض أوصاف ذاته صلّی اللّه علیه و سلم الشریفة، و سمیتها (مطالع الأنوار فی مدائح المختار) . فلما من الله علی بإتمامها و النفس فی غایة شوقها و غرامها، رجوت من الله و بجاهه صلّی اللّه علیه و سلم أن ییسر لی إنشادها عنده فی مدینته المنورة، فحست نفسی بفضل الله عند ذلک بالإجابة و بلوغ الأمنیة من برکة مدیحه صلّی اللّه علیه و سلم و اطمأنت بأن الفرج حصل. و من ذلک الوقت لم أشکّ بحمد الله فی أن الله ییسر لی فضلا منه زیارة نبیه علیه السلام، و حج بیته الحرام، لکن لکل أجل کتاب، و لیس علی من غلبه الشوق عتاب.

و لا بأس بذکر القصیدتین الأولیین و القصیدة الأخیرة من هذه القصائد المذکورة هاهنا لیتبین للسامع حالها، و یزول عنه إشکالها، و

للتبرک و التيامن بمدحه صلّى اللّه عليه و سلم.

الرحلة المعينية، ص: ۴۲

القصيدتان الأوليان من المديحات المذكورة و القصيدة الأخيرة منهن

القصيدة الأولى :

[الطويل]

أثار الهوى بعد الحبيب أداؤهفوجدى به حقّ علىّ أداؤه

بأن أبكى الرّبع المحيل بجنبهفحتما على عين المعنّى بكاؤه

تعاوره أيدى العواصف فانجلىبلبس جديدات السّوافى عفاؤه

ثوت فيه إذ بانت شبيهاتها المهاعلى أنه بين الضّلوع ثواؤه

جنحت له رعيا لعهد الألى بهعهدت و إن هاج اشتياقى انتحاؤه

حقوق الهوى أرعى، فلا أرعوى و منيراعى الهوى يصعب عليه إرعواؤه

خسرت إذا إن لم يجرنى محمدفكلّ خسار بالنّبىّ اتّقاؤه

الرحلة المعينية، ص: ۴۳ دعوت رسول الله و الداء معضلو من يدعه يذهب على الفور داؤه

ذنوبى منها بالشفّع أحتمىو من يستجر يغفر بطه خطاؤه

رسول حباه الله بالحمد و الورىوراء ثناء الله كيف ثناؤه؟

زعيم النبيئين المتاح بيمنهلسائر خلق الله منه عطاؤه

سراج منير لا يلوح بذرّةمن الكون إلا نوره و ضياؤه

شفيع إذا لم يلف فى الحشر شافعو لولاه لم تشفع به شفعاؤه

صراط الهدى منه استنار و لم يجزسوى من به فوق الصراط اهتداؤه

ضمير الليالى ضاق عنه فبشّرتبه كلّ وقت قومها أنبياؤه

طريقته المثلى نفت كلّ ملّةفلم ينج إلا من حماه اقتفاؤه

ظماء غد مورودها العذب حوضهو آية فوز العبد منه ارتواؤه

عوائده فضل، و جزل كلامهو أحكامه فضل و عدل قضاؤه

غلوّ النصارى فى المسيح ضلالةفذرها و قل ما فى علاه تشاؤه

الرحلة المعينية، ص: ۴۴ فغاية أسنى المرسلين افتتاحهو كل سناء مبتداه سناؤه

قد اصطنع الله البرايا لأجلهعموما، فعمّ العالمين غناؤه

كفاه من الآى الكتاب و حسبهمن المدح، ما تتلوا به علماؤه

لكلّ نبىّ دعوة مستجابةدعاها، و للميعاد يرجى دعاؤه

مدى الدهر محمود المقام مقامهو أمّا لواء الحمد فهو لواؤه

نبى تنى الأفكار دون خلالهو حسبك ما منها جلت خلفاؤه

هم أبوا بكر و حفص و صهرهعلى و عثمان المهيب حياؤه

و باقی الصّحاب المصطفین، فکلهممن المصطفی إذ صاحبوه اصطفاؤه

یصلی علی المختار و الصحب ربّهو یوتی به للمرتجیه رجاؤه

القصیدة الثانیة :

[البسیط]

بادی الهوی لم تفد نجوی مؤنّبهو الدمع یوضح سرّ المستکنّ به

الرحلة المعینیة، ص: ۴۵ تری اللّحاة الهوی للّوم داعیهو الحب ما لهم علم بموجبه

ثرّب أو اعذر فما تجدی عذول و فی‌أذن المتیّم وقر عن مثرّ به

جیل المحبّة أشتات مذاهبهو المهتدی منه ینحو بمذهبه

حبّ النبی فجنّب غیر جانبهولذ به، و تباعد عن مجنّبه

خیر النبئین من مدّوا بأبحرهفما لهم مشرب إلا بمشربه

دانوا له و رعایاهم لأمتهدانوا و دانت مبانیهم لیثربه

ذلّت لدعوته الأملاک و اعتصموابظهره حین أصماهم بمنکبه

رامت معارضة التنزیل فصهم‌أولوا النهی، فتناهوا دون معجبه

زواجر الحقّ بالآیات من فمه‌تهدی بالبیض من راحات موکبه

الرحلة المعینیة، ص: ۴۶ سل إخوة الحرب عن مرهوب صارمهو إخوة السلم عن مسکوب صیّبه

شاء المکوّن إیجاد المکوّن من‌نور النبی، فکان العالمون به

صبح الظهور به عمّ العصور، فمن‌یعشو بمشرقه عنه و مغربه

ضوء به حالک الجهل انجلی به‌لیل العمی انکشفت عمیاء غیهبه

طوبی لمن نال تقبیلا لأخمصهو عفّر الوجه فی موطوء تیربه

ظلّ ظلیل أظلته السّحاب و هونور، فکیف یری ظلّ لکوکبه؟

عروجه لشهود القرب کان مکان القاب فیه أو أدنی من مقرّبه

غاضت لمیلاده الأنهار و انطفأ النیران، و الشرک ساه غیر منتبه

فبان إذ ذاک و الإیوان منصدع‌فی دولة الکفر صدع غیر مشتبه

الرحلة المعینیة، ص: ۴۷ قال الهواتف و الکهان حان أوان الهاشمی کریم الأصل طیبه

کذلک الحقّ لا تخفی دلائلهو لو طغت ضلة عینا مکذّبه

لا تال جهدک فی مدح النبی، فمن‌یقصد به مأربا یظفر بمأربه

ما القصد إحصاؤه إذ لا سبیل له‌فموجز القول فی هذا کمطنبه

نهدی المدیح إلی الهادی الأمین علی‌مقدار طاقتنا لا قدر منصبه

هل یختشی العلة الراجی بحرمته‌برءا أو الشدة اللاجی لمهربه؟

وا رحمتا منه لی فهو الرحیم، و هل‌سوی رحیم الوری یرثی لمذنبه؟

یا ربّ صلّ علی الماحی و الآل و الاعلام‌الألی خلفوه من بنی أبه

أبا بکر و حفص و الحسین‌و عبد الله و المقتفی آثار نیسبه

الرحلة المعينية، ص: ۴۸

القصيدة الأخيرة:

اشارة

[الوافر]

يحار لنعت ما اشتمل النبيّ‌عليه من الجمال اليلمعيّ

أما و من اصطفى وصفيه ما إنله فى الخلق و الأخلاق سيّ

بهيج الوجه، فى تدوير حسن‌لشمس الضّحو منظره البهيّ

ثناياه مفلجة، سناهاينسّى البرق ساطعه السنيّ

جليل مشاش، أبيض مشرب، بادن، متماسك، لين قوى

حلاوة نطقه الصهباء ذامت‌و ذمّ لطيبه الروض النّديّ

خميص الأخمصين أزجّ أقنى‌كحيل الجفن فى دعج حييّ

دقيق أنيق مسربه، و منه‌سواها البطن عار و التّديّ

الرحلة المعينية، ص: ۴۹ ذريع المشى فى قصد و قلع‌كأن لخطاه من صبب هويّ

رحيب الرّاح، شتن الكفّ ما بين منكبه و منكبه قصيّ

زرى جيد الدّمى منه و أزرى‌بصافى الفضّة العنق النقيّ

سواء صدره و البطن فيه‌جميل الخلق، معتدل سويّ

شعاع الجسم عنه الظلّ حسانفى و أحاط منه المعنويّ

صبيح أزهر اللون ابتلاجارخيم صوته، حسن شهيّ

ضليع فم، أسيل الخدّ، طلق‌كثير الخفض ناظره العليّ

طويل زنده، ضخم كراديسه،و جبينه فسح، وضيّ

الرحلة المعينية، ص: ۵۰ ظهارة حسنه الأوصاف عنهاتكلّ فكيف باطنه الخفيّ؟

عظيم الرأس، و الأطراف منه‌سوائل، و الحجا يقظ ذكيّ

غسيل القلب من دنس، و كم من‌عظيم فيه صبّ، و هو صبيّ

فصيح أهدب الأشفار رجل‌مليح كثّ لحيه، أحوديّ

قسامة ذاته الحسناء أنّى‌يقاس بها الجمال اليوسفيّ

كساها ذو الجلال حلى جلال‌له نسى الجلال الموسويّ

لقد كملت مبالغ كلّ فكرو ما بلغ الكمال الأحمديّ

محمدنا إليك المدح نهدى‌و إنّك عن مدائحنا غنيّ

نؤمّل ما يومّل منك أياو بالمامول ما دحك الحريّ

الرحلة المعينية، ص: ۵۱ همت ديم الصلاة عليك تتراو مدرار السلام السّرمديّ

و دام على صحابتك التّرضّىو أولانا رضاه بك الولىّ

بعض فوائد هذه القصيدة الأخيرة

و هـذه القصـيدة مشـتملة على جل نعوت ذاته صـلى اللّه عليه و سـلم الشـريفة. و أوصافه صـلى اللّه عليه و سـلم مجربة لنيل الحوائج و الحفـظ من المكـاره لمن حفظهـا نظمـا أو نـثرا، و كـذلك من جعلهـا فى موضع يـأمن من الحرق و الغرق و السـرقة و النهب، إلى غير ذلك. و هذه القصـيدة من رجائنا فى الله أن من حفظها أو جعلها فى محله، ينال ذلك و أكثر، و الأمر كذلك إن شاء الله، و كيف لا، و بركاته صلى اللّه عليه و سلم لا نهاية لها، و إنما الشأن فى الاعتقاد، و الله يوفى المراد.

تاريخ قدوم صاحب الرحلة على الشيخ مربيه ربه فى الطفاية إذ تعاهدا فى الحج مرافقة

ثم لما كانت سـنة أربع و خمسـين بعـد ثلاثمائـة و ألف، قـدمت على الإمام الأسـتاذ العلامة، القدوة الملاذ، جامع الشـريعة و الحقيقة، المتحافظ على سلوك أقوم طريقة، كامل الفتوة و المروءة و الأبوة، سيدنا الشيخ مربيه ربه بن شيخنا الشيخ ماء العينين

الرحلة المعينية، ص: ۵۲

- دام عزه و علاه- فى مدينة الطرفاية، و وجدته منبعث الهمة إلى الحج، عازما عليه تلك السـنة، إن ساعدته المقادير، و قال لى: كنت أود مجيئك هذا و أتمناه لمرافقة فى الرحلة إلى الحج، فسـررت بذلك غاية السرور، و حمدت الله عليه. و كان مقدمى عليه فى رجب من السـنة المذكورة، فأقمت عنده إلى يوم عيد النحر، و قد بذل جهده فى توجهنا إلى الحج هذه السنة، فلم يساعد الحال فى ذلك، و كل شـىء عنده بمقدار، ثم رجعت إلى الأهل بأحياء العرب الصـحراوية بعد ما عاهدنى الشـيخ قدس الله روحه أنه متى تيسـر له السفر إلى الحج يبعث لى للمرافقة، مع أنه لا يال جهدا فى الحال التى يتيسر بها بحول الله.

تاريخ حجة الشيخ مربيه ربه الأولى و قصيدة لصاحب الرحلة فى مدحه و تهنئته بحجته

فلما كانت سنة ست و خمسين، يسر الله بفضله للشيخ مربيه ربه الرحلة إلى الحج، فبعث إلى حسبما عاهدنى رغبة منه فى صحبتى إياه، و إحسانا و إفضالا على فيما هو الغايـة القصوى و المنيـة العظمى، فلم يبلغنى رسوله، لأنا تلك الأيام، قادنا المرعى إلى صـحراء بعيدة، فلم يمكن الرسول بلوغنا، و لم نعلم بحـج الشـيخ إلا بعـد إيابه، فمسـنى حزن من الأسف و النـدم على ما فاتنى من مرافقته- أعزه الله- إلى الحرم، فقلت: إنا لله و إنا إليه راجعون، سيجعل الله بعد عسر يسرا.

فلما كانت السنة القابلة، سنة سبع و خمسين، قدمت على الشيخ- أعزه الله- بمدينة الطرفاية فى جمادى الأولى للسلام عليه و الزيارة منه و تهنئته بالحج و زيارة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و أنشدته هذه القصيدة فى مدحه و تهنئته، و هى :

الرحلة المعينية، ص: ۵۳

[الطويل]

هو الشّعر للأكفاء شهدته تحلوإذا صاغه من كنز باعثه الفحل

فينساغ عذبا للفهوم كأنمابأثنائه تلقى مجاحتها النحل

و أبلغه ما ليس فيه تكلّفعلى حسن سبك فهو ممتنع سهل

و أبياته يستوعب الظرف نسجهاإذا من سداها حيك فى غزل غزل

و يزدان بالدّر المديحى نظمهاكما زان أطراف الخدلجة الحجل

فينفث فى الألباب سحرا سماعهاكما تنفث السحر المباسم و النجل

فصدّر و أوجز فى النسيب و بعدهتخلّص و أطنب فى المديح و لا تغلو

و لم يغل من لبّى دعايهٔ موجبلإنشائه الأمداح فيمن لها أهل

و لا بدع أن جادت ببكر قريحهٔتزفّ عروسا، و الجواد لها بعل

و أى جواد كالمربّيه ربّهإذا ضاقت الأحلام و اتسع المحل

فتى لم يجب إن سيل سيبا لسانهبغير نعم، و القول يصحبه الفعل

الرحلهٔ المعينيهٔ، ص: ۵۴ به تضرب الأمثال فى كل مدحهٔو ما فى ضروب المكرمات له مثل

بسنّهٔ طه و الكتاب اعتصامههما الحبل حبل الله، يا حبّذا الحبل

بناديه لا ينفكّ يتلوهما معافلهجته تتلو، و منهجه يتلو

و كم جعلت للمرملين إلى الغنىيداه سبيلا حيث تنقطع السّبل

تظاهر بين اللّثم و البذل كفّهفظاهرها لثم و باطنها بذل

و يفرق بين الحق و البطل هديهفماموره حقّ و منهيه بطل

إذا ما خصال المجد عدّت، فإنماله قصبات السبق منهنّ و الخصل

بنو فاضل سادوا، و قد ساد فيهمو من ساد فى مامين حقّ له الفضل

هم الحكماء الحاكمون على الورىو لكن عليهم يحكم الفضل و العدل

إذا رغبوا لا يستفزّهم الهوىو إن غضبوا لا يستخفّهم الجهل

و إن خطبوا لا يستربّهم الخطاو إن وهبوا لا يستميلهم المطل

الرحلهٔ المعينيهٔ، ص: ۵۵ بنيت أبا الأمجاد فى العز ما بنواو حسبك ما الأسلاف يبنون من قبل

حكيت أباك اسما و وسما و منظراو لا عجب إن شابه الأسد الشبل

و هيّأت أسباب المكارم للألىقفوك فلم يبرح بها لهم شغل

و من صادف المعراج من حيث شاءهإلى رتب العلياء من أين لا يعلو؟

و أنسيت معنى فى السماح و كيف لاو جودك معنى تاه فى وصفه العقل؟

فواضل لو أنّ ابن يحى استبانهابيمناك لا ستزرى فواضله الفضل

أذا ما أخذنا فى مديحك ساعدتعذارى المعانى فيه و المقول الجزل

و مهما تكلّفنا تماديح غيرهيكون على الأفكار من دونها قفل

ليهنك حجّ البيت أدّيت فرضهو قدما يؤدّى عندك الفرض و النّفل

قدمت له تقضى المناسك ساعياعلى قدم هام الملوك لها نعل

الرحلهٔ المعينيهٔ، ص: ۵۶ بذلت له لله نفسك مخلصاو دأبك فى المعروف و الطاعهٔ البذل

فلو سئل العام الحجيج لأدّنتبأن حجّ فيها البدر تعنيك و الوبل

و أن طاف بالبيت السكينهٔ و التّقىو صرف المزايا و الإنابهٔ و النّبل

حججت و أنت الحح تاوى لكك الورىوفودا كما ياوى إلى أمّه الطفل

و لله يوم عند طيبهٔ ألقيتعصا سيرك المبرور و استنزل الرحل

و زرت رسول الله و الطرف مطرقو عبرته من هيبهٔ القرب تنهل

و رحت قرير العين منشرح الحجاأن التأم الفرع المشوق و الأصل
هنيئا لك الوصل الذى أنت أهلهلمن لا يشوق الدهر إلا له الوصل
لئن زرته فى عالم الحسّ زورةفمن زوره فى عالم الغيب لا تخلو
أدام له الرحمان أحلى تحيّةو دام بمحيّاك الزمان لنا يحلو

تبشير الشيخ مربيه ربه لصاحب الرحلة بتيسير الحج عام حجهما

فلما فرغت من إنشادها ارتاح لها، أعزه الله أى ارتياح، و قال: و الله إنها لأشهى من تعاطى الراح، و دعا بكثير من الدعاء، نرجوه تعالى إجابته، و أظهر من التأسف على عدم حجى معه فى العام الماضى أكثر مما وقع لى، ثم قال لى: لكن أبشرك، سنحج هذا

الرحلة المعينية، ص: ۵۷

العام، إن شاء الله معا، لأن الدولة الإسبانيولية عهدت إلى أنى أحج ثانيا فى الباخرة التى حججت فيها العام الماضى، و أن تحج معى رفقة أكثر من رفقائى الماضين، و قالوا لى: سم من شئت منهم لنا كتابة، و أول من كتبت إسمك، و إذا وصل وقت السفر سأعلمك، إن شاء الله، أينما كنت، فتضاعف سرورى بذلك و حمدت الله عليه، و دعوت للشيخ أعزه الله على هذه التكرمة، و علمت أن الأمر إن يكن من عند الله يمضه، و أن الفضل بيد الله يوتيه من يشاء، و الله ذو الفضل الكريم، نرجوه تعالى أن يقابلنا بمحض فضله و جوده و كرمه، و يجازى عنا الفضل العظيم، نرجوه تعالى أن يقابلنا بمحض فضله و جوده و كرمه، و يجازى عنا سيدنا الشيخ المربيه ربه أحسن جزاء.

تاريخ نزول صاحب الرحلة قرية الطنطان بأهله

ثم لبثت عنده أياما قلائل، و رجعت إلى الأهل فارتحلنا و نزلنا قرية الطنطان فاتح جمادى الآخرة من السنة المذكورة، فتتابعت زفراتى و أنينى و كثر اشتياقى و حنينى، و صار الحرم كأنه نصب عينى، و كأن ليس شىء بينه و بينى، و لا شغل لى إلا التشوق و التوق إلى مشاهدة ما يبرى غلة الشوق. ورءانى يوما بعض الأحبة ذاهل القلب، غير مبال بشىء من أحوال المتعلقات، فسألنى، ما سبب هذا الحال الذى أنا فيه، فجرى على لسانى هذان البيتان ارتجالا، و هما:

نبذت الشّغل خلف الظّهر لّماغدا حرما تهامة نصب عينى
فبالى قد أبى لى أن أبالىبحال حال بينهما و بينى

قدوم الشيخ عبداتى على الطانطان و صحبته كتاب أخيه الشيخ مربيه ربه لصاحب الرحلة ليقدم لسفر الحج

و لم تزل رسائل الشيخ أعزه الله تترا على مبشرة بأن الحال على حاله، و المرجو من

الرحلة المعينية، ص: ۵۸

الله تعالى أن ينعم بكماله، فأتسلى بكتاباته المفرحة، و إن كانت تثير كوامن الأشواق المبرحة، إلى أن قدم علينا الأستاذ القدوة، الشيخ عبدات ابن شيخنا الشيخ ماء العينين فى الثانى عشر من شوال فى العام المذكور الذى هو عام ۱۳۵۷ و صحبته كتاب من عند أخيه سيدنا الشيخ مربيه ربه، بعثه إلى متضمنا استقدامى على حضرته الشريفة بالطرفاية، و مخبرا بأن حان الوقت المنتظر، و أنى آخذ فى أهبة السفر، فتكاملت بحمد الله أفراحى، و ذهبت أحزانى و أتراحى، و حمدته تعالى حق حمده على ما أنعم به من فضله مما لم أكن له أهلا، و رجوته أن يجعل بفضله كل صعب لنا سهلا، و أن يتولاها، و يتولانا، و يوفقنا فى جميع الأحوال، و يبلغنا جميع المئارب و الآمال و تيامنت بإتمام هذا الأمر على الوجه الأحسن الأتم لمجيء الكتاب بعد أن أتممت قصيدة كنت أنشئها فى مدحه صلى اللّه

عليه و سلم، و هى :

۲۱ قصيدة فى مدحه صلى اللّه عليه و سلم لصاحب الرحلة أنشأها أيام تهيئه للحج

[الطويل]

ألا من لعين عز وجدا هجودهاو هان عليها بالمدامع جودها

تفيض لذكر الفيضتين بعبرةكأنى إذا كفكفتها أستزيدها

الرحلة المعينية، ص: ۵۹ و من لحجا أذكى به الشوق شعلةتشبّ استعارا، إذ يرام خمودها

و أنى على نار الغرام تجلّدو ما غير حبات القلوب وقدها

سلا سلمات المهر أين ترحّلتمهارى اللوائى بارحتها وقودها

و هل ذكرت أيّامها أو تنوسيتو هل دعيت، أم هل أضيعت عهودها؟

و هل سمرات الدّيس غودرن ذبّلاأم اخضرّ لّما أدبر الصيف عودها

تمور على أوساطها الهيف وشحهاو تشكو براها حشوها و برودها

حنانا لخلخال أغصّته سوقهاو رحما لقلب أخرسته زنودها

تهادى على كثب تنوء بمثلهاإلى فىء أفنان حكتها قدودها

تعاقب فى ذاك المطاف مطافلاأعيرت لها أجفانها و جيودها

الرحلة المعينية، ص: ۶۰ و هل جاد أرجاء المزرّب صيّبفبثّ زرابىّ النبات مجودها

فسامت به الأنعام حتى كأنّماو سامته غضّا أتيحت جلودها

و هل لركايا أمّ مدلس أم إلىبقايا إضاء الرّيشتين ورودها

و هل بربى الوادى مهاة مربّةتنازعها كأس الوداد أسودها

أم انتشرت روّادها فتحمّلتتقاذفها فى لامع الآل بيدها

هوادجها تكسو جمالا جمالهاو تجمل فوق الناجيات قتودها

فما برحت تنساق طوع حداتهاإلى حيث تحدوا المدجنات رعودها

فتفترّ عن برق خفيف مذيلةمدارف من عين بطىء جمودها

فتكسو محيّا الأرض أردية الحيافتشرق بالأنوار منها خدودها

الرحلة المعينية، ص: ۶۱ فأحبب بها أرضا إلىّ و شدّ ماتشوّقنى أن شاقت القلب غيدها

و لكن هوى أرض الحجاز استمالنىفلمّا يشقنى اليوم إلا شهودها

و ليس كدائى من غرام كدائهاو قد كاد يودى بالفؤاد كديدها

فخذ نحوها باليعملات، فإنمالطيبة عندى يستطاب و خيدها

تخيّلها الأشواق لى فأخالهاتدانى على شحط المزار بعيدها

تواعدنى الهمّات أن سأزورهاو أين من الإنجاز تجرى وعودها؟

مزار البقاع الطاهرات تودّهحشاشة نفسى و الخطوب تزودها

فحتّى م تثنيها النوائب و النّوىو برح الجوى يستاقها و يقودها

ألا يا رسول الله حبّك حبّبتإلىّ به وهدانها و نجودها

فما غير أرض أنت فيها ميمّملنيل المنى من كل وجه صعيدها

الرحلة المعينية، ص: ۶۲ و هل جنة الدنيا سوى الأربع التىحوتك، و هل إلا ربيعك غيدها

بميلادك الأقطار نارت و أصبحتمحلّى بتقصار السعادة جيدها

و أمسى الليالى ساقطا دبرانهاو طالعة فى الخافقين سعودها

دعوت إلى التوحيد وحدك أمّةتطاول فى ليل الظلال رقودها

و ما ألفت إلا الأباطل ملةتواصت بها أنجالها و جدودها

فما صدك الإيذاء منها و لا الهوىو لا عن هداك المستبين صدودها

و لم تكثرت منها بكثرة عدّةو لا عدد، إذ حاربتك جنودها

إلى أن أجابت عن رجاء و رهبةو من شرك الإشراك حلّت قيودها

فقيد إلى الإيمان طوعا منيبهاو سيق له بالهندوان عنيدها

و بلّغتها الذّكر الحكيم تحدّياو لا نوع من نسج البديع يؤودها

الرحلة المعينية، ص: ۶۳ فأعلن بالعجز اعترافا خطيبهاو ناثرها عن مثله و مجيدها

به لم يجد للطّعن وجها بليغهاو لم يجد شيئا بالطعان حسودها

و ما لنبىّ دام وجدان آيةو آيته الكبرى استمرّ وجودها

فلا حدّ معلوم لغاية حسنهاو لا تعتدى فى العالمين حدودها

و تمكين دين المصطفى و كمالهبه بشّرتنا نورها و عقودها

و أثنى على أخلاقه الله كمّلاو ما زال فى أوج الكمال يزيدها

و فى ليلة المعراج أسرى بذاتهو لم يدر إلا الله كيف صعودها

إلى حضرات لم تسعها عبارةو عن دركها الإفهام كلّ حديدها

و إخوانه الرسل الكرام قلادةبها أزدان جيد الدهر و هو فريدها

بنى الله للعبدان قبة دينهفكانوا لها الأطناب و هو عمودها

و ما أرسلوا إلا خلائق قبلهإلى الأمم الأولى ليهدى رشيدها

الرحلة المعينية، ص: ۶۴ تلاشت به نصرا لهود و صالحبسوط عذاب عادها و ثمودها

و أعطت على تصديقه أىّ موثقلعيسى نصاراها و موسى يهودها

ببعثته كانوا مقربين قبلهافأنى لهم عند العيان جحودها

و كيف عموا عن نوره بعد ما لهمبيّن ماضى آيه و جديدها

بماذا أحسّت نار فارس إذ خبتو غارت سواقيها و خرّ مشيدها

و ماذا بدا للنخل إذ حنّ جذعهاو إذ عاد عضبا فى يديه طريدها

و للسحب إذ ما شاء سحّت و أقلعتو إذ خيّمت ظلا عليه بنودها

و للجن إذ للرّشد يهدى سفيرهاو إذ برجوم الشّهب يرمى مريدها

و للعرب العرباء إذ ريض شمسهاو إذ أقبلت من كل فجّ وفودها

فسائل قريشا عنه إذ بين والدو عمّ تصدّى للبراز وليدها

و إذ باتت النيران توقد حولهافآذن بالحرب ابن حرب وقيدها

و يوم كسا ثوب الهوان هوازنافأعتق رعيا للرّضاع عبيدها

الرحلة المعينية، ص: ۶۵ و سل يوم سلت لليهود سيوفهمعاشر يجليها و أخرى يبيدها

و زينبها إذ سمّت الشاة ما رأتو فى سحره ماذا رآه لبيدها

و حسبك ما عنه الجمادات أفصحتوفاه به ظبى الفلاة و سيدها

محامد لا يمدد لإحصائها يدافقد يعجز العدّ الطويل مديدها

و ما نعت أوصاف مدائحها أتتمن الله و الرّوح الأمين بريدها

و ماذا به نثنى عليه و إنمانعوث الثنا من وصفه نستزيدها

مقاصد تستدعى الفصيح لنظمهاو يفصح عن نيل المرام قصيدها

شفت شفتى مما يشفّ و فكرتىمدائحه إنشاؤها و نشيدها

شمائل بالتكرار تحلو فتشتهىمناطقنا أن لا تزال تعيدها

و أمته قدها من الفخر أنهاغدا شهداء الناس و هو شهيدها

محجّلة غرا، جلاها و ضوءهاو غادر سيمى فى الوجوه سجودها

الرحلة المعينية، ص: ۶۶ تدين لها فى فضلها كلّ أمةو ترهبها شمّ الملوك و صيدها

فصدّيقها نعم الخليفة بعدهمئاثره لا يستطاع عديدها

و فاروقها، أعدل به من خليفةكفى أنه بعد العتيق عميدها

و عثمانها ذو النّور، و النور خنصرإذا عدّ محمود الفعال سديدها

و أمّا علىّ صهر طه ابن عمهأخوه أبو سبطيه فهو وحيدها

و طلحتها، من مثله و زبيرهاو كيف يجارى سعدها و سعيدها

و هل من حكى زهريها و أمينهابل الكلّ مشكور المساعى حميدها

و حمزة و العبّاس عمّاه عمّهاطريف المزايا منهما و تليدها

و ممّا روينا أنّ طوبى شبابهاكلا الحسنين السيدين يسودها

هما أبوا الأشراف قرباه من دعاإلى ودّها التنزيل أنى ودودها

نفى الله عنهما مطلق الرّجس فالورىعروض لدى التشبيه و هى نقودها

الرحلة المعينية، ص: ۶۷ بآبائها الأبناء فى المجد تقتدىو يربو على هدى الجدود حفيدها

فما أكثر الأمجاد فى خير أمةو لكنما بيت الرسول مجيدها

فياربّ بالمختار و الآل عافنىفبى حلّ من نوب الزمان شديدها

و بيّض بهم وجهى و وجه أحبتىإذا ميّزت بيض الوجوه و سودها

و كن ناظرى فضلا بعين عنايةتيسّر لى ما من أمور أريدها

و صلّ على نور الختام محمّدصلاة بها الأسواء عنا تحيدها

تاريخ خروج صاحب الرحلة من عند أهله بقرية الطنطان للحج

ثم لما كان سحر يوم الجمعة السادس عشر من شوال عام ۱۳۵۷ سبعة و خمسين بعد ثلاثمائة و ألف هجرية موافق تسعة من دجنبر سنة ۱۹۳۸ ثمان و ثلاثين و تسعمائة و ألف مسيحية، ودّعت الأهل و الأقارب و الأحبة و الجيران، فاحترقت الأحشاء من و شك البين، و

فاضت العبرات من كلا الجانبين، فقلت لهم: مهلا مهلا، و سهلوا الأمر يكن بحول الله سهلا، فلله در القائل:

[الطويل]

سيجمع الله الشّتيتين بعد مايظنّان كلّ الظنّ أن لا تلاقيا

الرحلة المعينية، ص: ۶۸

و لله در القائل:

أحبّة قلبى لا ضرار و لا ضررو لكنّنا نرضى بما ساقه القدر

سأنفعكم فى غيبتى بالدعاء فىمواقف حجّى حيث أصفو من الكدر

و لست بناس عهدكم و ودادكمو إن طالت الأيام و اتصل السفر

و الحمد لله على ما حقق من رجائنا و أحاط بفضله و كرمه من دعائنا، ثم قرأت من الآيات و الأذكار ما وردت بالأمر به عند الخروج الآثار، و استقبلت المسجد فصليت فيه صلاة الصبح، و جعلت آخر عهدى به امتثالا للسنة، فخرج معنا الأستاذ الشيخ عبدات و من هناك من الإخوان و الأحباء مشيعين و مودعين، و داعين رافعين إلى الله أيديهم بوجوه ضارعة، و ألسنة متضرعة و قلوب خاشعة، بتيسير المطالب و قضاء المئارب، و جمع الشمل فى السرور بعد تيسير الحج المبرور، حتى وصلنا سيارة أعدها حاكم البلد لركوبنا، فركبنا وقت طلوع الشمس من الغد، و كان معى فى السيارة السيد الأديب أبو بكر الصديق بن الشيخ مربيه ربه، و كان عندى منذ شهور، بعثه والده أعزه الله إلىّ لأعلمه، و مريد الشيخ محمد الأغظف بن شيخنا الشيخ ماء العينين، الحاج باب احمد بن محمد يحظيه

الرحلة المعينية، ص: ۶۹

الزركى الشتوكى ، فتوجهنا مدينة الطرفاية، و وصلنا وقت العصر من يومنا، و نزلنا عند دار الإمام الأستاذ الشيخ مربيه ربه، فتلقانا هو و من هناك من الأهلين بما لا مزيد عليه من الإكرام و الإعظام، و أظهروا الفرح و السرور بمقدمنا، و وجدناه أعزه الله، قد أخد هو و من معه من ركب الحجيج أهبة السفر للحج و الزيارة.

خطبة الشيخ مربيه ربه فى نصيحة و وعظ وفده وقت استعدادهم للحج

فلما كانت ليلة الخميس القابلة، جمع الإمام سيدنا الشيخ مربيه ربه من بالمدينة من ركب الحجيج المتوجه من الجهة الجنوبية الصحراوية فى داره، و أفاض عليهم ملاذّ الطعام و الشراب، ثم وعظهم و ذّكرهم بما يجبعليهم من الطاعات و القيام بأداء ما افترض عليهم، و أرشدهم إلى المواظبة على الأذكار و الأوراد و ترك مالا يعنى من سفاسف الأمور، و الاشتغال بتعلم أحكام قواعد الدين، خصوصا مناسك الحج الذى هم بصدده، و ذكّرهم بعض ما ورد من الآثار الدالة على فضله و كثرة أجره، و حضهم على الإخلاص فيه و فى غيره من العبادات، و على تقوى الله العظيم فى السر و العلانية، قال أعزه الله: و اعلموا أنه لا ينال خير لا دنيويا و لا آخرويا إلا بالتقوى، قال صلى اللّه عليه و سلم: «التقوى رأس كل حكمة» ، ثم قال أعزه الله: هذا حديث صحيح مفتتح بحرف الألف، و لا بأس أن أذكر لكم أحاديثه، كل واحد منها مفتتح بحرف من حروف المعجم على الترتيب، زيادة فى تعليمكم، و حرصا على إفادتكم، نفعنى الله و إياكم بها و سائر العلوم، فقال أعزه الله:

الرحلة المعينية، ص: ۷۰

مطلب فى ذكر ۹۲ حديثا مبدوءة بالحروف على الترتيب ذكرها الشيخ فى خطبته التقوى رأس كل حكمة.

بيوت الله المساجد .

تحت كل شعرة جنابة .

ثمن الكلب و الخنزير حرام .

جعلت لى الأرض مسجدا و طهورا

حساب أمتى كركعتى الفجر.

خيركم من علم القرآن و تعلمه.

داووا مرضاكم بالصدقة فإن البلاء لا يتعداها .

ذو الوجهين لا يكون وجيها عند الله .

رحم الله امرءا تكلم بخير أو صمت .

زرغبا تزدد حبا .

سيد الأيام يوم الجمعة .

شرّ الطعام الوليمة تأكله الأغنياء و تشتهيه الفقراء .

الرحلة المعينية، ص: ۷۱

صلاة بسواك أفضل من سبعين صلاة بلا سواك .

ضغطات القبر أشد من أربعين ضربة بالسيف .

طلب العلم فريضة على كل مسلم و مسلمة .

ظللت الملائكة بأجنحتها على طالب العلم رضى بما صنع .

عليكم بالإثمد فإنه ينبت الشعر و يقوى البصر .

غلقوا أبوابكم فإن الشيطان لا يدخل بيتا مغلقا .

فقراؤكم مضغتكم يوم القيامة.

قل الحق و لو فى نفسك .

كل مسكر حرام .

لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد .

من غشنا فليس منا .

نعم الادام الخل و اللحم

هدية الله السائل حين يقف عند أبواب دياركم

وضوء على وضوء نور على نور

الرحلة المعينية، ص: ۷۲

لا يلدغ المومن من جحر مرتين

يدخل الجنة من كان آخر كلامه لا إله إلا الله محمد رسول الله

ثم قال دام عزه: «و عليكم أن تشكروا الله على تيسير تهيئكم لركوب هذا المركب الفاخر الذى صنعته الدولة الإسبانيولية و أعدته للركوب إلى حج بيت الله الحرام، و أنعمت بركوب الكثير من أعيان المسلمين و عامتهم فيه، متحملة جميع لوازمهم من كراء و زاد و ضرائب و ما تدعو له الحاجة فى طريقهم ذهابا و إيابا، و هذه مزية امتازت بها هذه الدولة من بين الدول الأجنبية»، ثم ختم خطبته أعزه الله بالدعاء للحجاج و لكافة المسلمين.

ركوب جل الوفد البحر من الطرفاية إلى كنارى و تاريخه مسافرين إلى الحج

ثم لما كان ضحى الغد، و هو يم الخميس الثانى و العشرين من شوال عام سبعة و خمسين بعد ثلاثمائة و ألف، موافق خمسة عشر من دجنبر سنة ثمان و ثلاثين و تسعمائة و ألف مسيحية، خرج سيدنا الشيخ مربيه ربه و معه ركب الحاج و سائر أهل المدينة لساحل البحر فى هيئة جميلة و أبهة حسنة و سكينة عجيبة، و الضلوع تلتهب، و الدموع تنسكب، و قد شقّ على المقيم فراق المسافر الموادع، و المسافر متردد بين الفرح المتوقّع و الحزن الواقع، فلما انتهى التشييع، اشتركنا الدعاء بعد التوديع ركب من هناك من ركب الحجيج السفينة لجهة جزيرة كنارى قيلولة اليوم المذكور، و بقى سيدنا الشيخ مربيه ربه ينتظر ركوب الطيارة.

مطلب فى أسماء الراكبين من الطرفاية فى السفينة و عددهم

و أما الذين ركبوا فى السفينة بقصد الحج من الطرفاية فستة عشر ۱۶.

أربعة من الشرفاء الأدارسة آل شيخنا الشيخ ماء العينين.

الرحلة المعينية، ص: ۷۳

۱. سيدى بوى بن سدات بن شيخنا الشيخ ماء العينين

۲. سيد بوى بن الشّيخ حسنّ بن شيخنا الشيخ ماء العينين

۳. محمد شيبة بن الشيخ مربيه ربه بن شيخنا الشيخ ماء العينين .

۴. كاتبه ماء العينين بن العتيق، حفيد شيخنا الشيخ ماء العينين، و ابن عمه.

و ستة من قبيلة الرزكيين

۱. الفقيه السيد عبد الله بن الفقيه السيد العروسى القارحى

الرحلة المعينية، ص: ۷۴

۲. امبارك بن عياد القارحى

۳. باب أحمد بن محمد يحظيه بن محمد صالح الهشتوكى، المذكور أنه قدم معى من الطنطان

۴. القائد احمد بن حيدار الهشتوكى.

۵. خطّار بن ابراهيم امبارك الهشتوكى.

۶. البشير بن على السعيدى و اثنان من قبيلة الرقيبات

۱. الفراح بن محمد بن أبى جمعة بن أبى بكر الشيخى

۲. الفقير السيد المحفوظ بن الأمين الطالبى

و واحد من قبيلة توبالت

- السيد محمد الحسن بن سيد على بن عبد القادر

الرحلة المعينية، ص: ۷۵

و واحد من قبيلة الأفّيكات

- عيلّ بن الشّيهب

و واحد من قبيلة آيت لحسن

- امبارك بن على بن عمر بن داوود انجورن

و واحد من قبيلة أولاد تيدرارين

- يسّلم بن عبد الرحمان بن ابراهيم، الصانع الحداد الموسوى.

فهؤلاء هم الذين ركبوا البحر من الطرفاية صحبة سيدنا الشيخ مربيه ربه بقصد حج بيت الله الحرام على نفقة المخزن.

فنهضت بنا السفينة بعد صلاة العصر من الطرفاية، و رست عند مدينة من مدن الكنارى، تسمى «لاص بّالماص» عند انصداع الفجر يوم الجمعة و معنا قيم من جهة المخزن، فأنزلنا منزلا حسنا، و أحسن ضيافتنا، فأقمنا يوم الجمعة فى كنارى، و يوم السبت.

مطلب نزول الشيخ مربيه ربه من الطيارة عندنا فى كنارى و ركوب الجميع البحر إلى سبتة

فلمّا كان آخر النهار يوم السبت، نزلت عندنا الطيارة و فيها سيدنا الشيخ مربيه ربه الرحلة المعينية ؛ ص۷۵

الرحلة المعينية، ص: ۷۶

و معه زوجته فاطمة بنت السيد السباعية أم ولده محمد شيبة المذكور و معه ابن أخيه السيد ماء العينين بن الشيخ أحمد الهيبة ابن شيخنا الشيخ ماء العينين، فصار الركب ثمانية عشر رجلا و امرأة، فلما كان بعد صلاة العشاء ليلة الأحد، ركبنا جميعا البحر فوق مركب يسمى «باركو سيبى»، فلبثنا فيه ثلاثة أيام و البحر فى غاية الاضطراب و التموج، و نحمد الله على ما صحبنا فيه من الألطاف و الحفظ، فرسا بنا عشية يوم الثلاثاء السابع و العشرين من شوال عند مدينة قادس، و هى باب بلاد أوربا، فبتنا بها مكرمين فى أحسن منزل، ثم ركبنا بعد صلاة الصبح على السيارات البرية، و نزلنا وقت ارتفاع النهار عند القرى المسماة بالخزيرات، و قدر المسافة بينهما مع ادس خمس ساعات للسيارة البرية، ثم ركبنا عشية يومنا، و هو يوم الأربعاء البحر الأبيض المتوسط على بابور يسمى «سيوداد سبتة»، فرسا بنا عند سبتة، و نزلنا بها وقت الغروب، و مسافة ما بينها و بين الخزيرات قدر ساعة و نصف للبابور.

دخولنا مدينة تطوان و خطبة الشيخ مربيه ربه أول ليلة بها

و عندما نزلنا تلقى لنا وجوه القرية مرحبين و مهنئين و معهم باشا تطوان السيد محمد بن محمد أشعاش نائب المخزن، فأظهروا للشيخ الفرح و السرور بمقدمه،

الرحلة المعينية، ص: ۷۷

و استقدمونا تلك الساعة لتطوان، و أتونا بالسيارات فركبنا من وقتنا عليها، و نزلنا عند تطوان وقت العشاء، و بينها مع سبتة قدر ساعة للسيارة، فنزلنا فى ضيافة المخزن، و بالغ فى إكرامنا و الاعتناء بنا، فلما كان الغد، و هو يوم الخميس متم شوال، قدم علينا مريد شيخنا الشيخ ماء العينين الواصل، قائد المشور السيد محمد المصطفى بن مريده المرحوم بالله الكامل الواصل القائد ادريس بنعيش، هو و أخوه سيادة الباشا محمد فاضل ابن القائد ادريس، فرحبا غاية و أظهرا من البشاشة و الفرح بمجيئنا ما لا مزيد عليه، و ما زالا يترددان أيامنا بتطوان علينا للزيارة من الشيخ مربيه ربه و التبرك به، و إظهار الإكرام له و لسائر وفدنا، و لطلب صالح الدعاء، جزيا خيرا. فلما صلينا المغرب ليلة الجمعة التفت الشيخ مربيه ربه أعزه الله إلى وفد الحجاج الذين قدموا معه و وعظهم بخطبة بليغة، نصحهم فيها وحثهم على ملازمة مكارم الأخلاق و المواظبة على العبادة، وحثهم على صلاة الجماعة و على التواضع و قال: من تواضع لله رفعه، كما قال شيخنا رضى اللّه عنه:

و من تواضع له الله رفعو شرف العبد إذا هو اتّضع

ثم قال: «اعلموا أنكم خرجتم لحج بيت الله و زيارة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و ينبغى للحاج أن يلاحظ من يوم خروجه من بيته أنه فى حرم الله و فى ضمانه و يخلص نيته

الرحلة المعينية، ص: ۷۸

و علمه، و يجانب ما يحبط عمله، قال تعالى: «الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُوماتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ، فَلا رَفَثَ وَ لا فُسُوقَ وَ لا جِدالَ فِي الْحَجِّ» . قال دام عزه: «أما أشهر الحج، فالمراد بها شوال و ذو القعدة و ذو الحجة، و معنى الرفث الجماع و الفحش من القول و الفسوق و المعاصى»، و فى الصحيحين عنه صلى اللّه عليه و سلم «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما» «و الحج المبرور ليس له جزاء عند الله إلا

الجنـة» ، و المبرور الـذى لم يخالطه مأثم، و قيل المقبول، و فى الأثر: «ما حـجّ و لكن دجّ» أى تجر، و يقال إن من الجدال المنهى عنه أن يقول الحاج لأخيه إذا قال له الطريق لهـذه الجهـة، ليس الأمر كذلك بل لهذه لجهة، ثم قال أعزه الله: «و يحكى أن رجلا تردد إلى بيت الله، و لا يدرى هل عمله مقبول أم لا، فبينما هو كذلك، إذ ناداه هاتف يقول له:

دعاك الله إلى بيته، و هل [لا] يـدعو إلى بيته إلا من يحب، فسـرى عنه»، ثم قال أعزه الله: قال تعالى: «وَ تَعاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَ التَّقْوى وَ لا تَعـاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَ الْعُـدْوانِ» ، و قـال تعـالى: «وَ الْعَصْـرِ إِنَّ الْإِنْسـانَ لَفِى خُسْـرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحـاتِ وَ تَواصَوْا بِالْحَقِّ وَ تَواصَوْا بِالصَّبْرِ» ، و الناس كلهم ترونه مشتغلا بما هو بصدده من تجارة أو حراثة أو تعلم أو عبادة، أو غير ذلك، و لا يرد أحدهم البال إلا لشـغله، فتنبهوا أنتم وردوا بالكم لما خرجتم له من الطاعة، و هو حج بيت الله الحرام، فلا يشـغلكم عنه شغل، و لا تجمح به أنفسكم إلى غيره من أشـغال غيركم فتتعبوا فيما لا ينفعكم، و عليكم بالصـلاة لأول وقتها، قال صلى اللّه عليه و سلم: «أول الوقت رضوان الله، و وسط الوقت رحمة الله، و آخر الوقت عفو الله» ، «و عليكم بالمحافظة على

الرحلة المعينية، ص: ۷۹

أورادكم و أذكاركم المعلومـة فى أوقاتها، و قراءة الحزب فى أوقاته المعلومة، و طلب العلم و الإفادة فى كل ساعة من علمائكم»، إلى غير ذلك مما أوصاهم به- أطال الله حياته- مما يحمد شرعا و طبعا، ثم دعا لهم بالتوفيق لما يحبه تعالى و يرضاه.

صلاتنا للجمعة بتطوان و ملاقاتنا للخليفة بالمسجد

فلما كان من الغد يوم الجمعة سـرنا جماعة الوفد مع الشـيخ أعزه الله لصلاة الجمعة فى المسجد الذى يصلى فيه الخليفة، و أظهر لنا من الترحيب و الانبساط و الإحسان مالا يوصف، و لا سـيما لسيادة الشيخ أعزه الله، و إمام الجمعة الفقيه السيد محمد الطنجى، و خطب بها خطبة حسنة.

ذكر بعض الأعيان الذين زارونا بتطوان و مذاكرتنا مع بعض أهل الوحدة

و من الأعيان الـذين اجتمعنا بهم فى تطوان الفقيه العلامـة الشاعر السـيد فرطاخ محمد بن أحمد ، و كان ممن حج مع الشـيخ فى العام الماضـى و أخذ منه الإجازة فى الأسـرار، و أتانا معه ولده الذى حج معه، و يسمى محمد الزمزمى، و تذاكرنا مع أبيه، و له اليد الطولى فى العلم.

وزارنا معهما التاجران الأديبان، السـيد احمد بن عبد الوهاب الريحانى الفاسـى، و الحاج عبد الغنى جسوس بن عبد الواحد التطوانى، و الفقيه الشـريف السـيد عبد العزيز بن أبى القاسم الدباغ، المتوطن بجدة، و أصـله من أهل المدينة المنورة، و قد تقدمت بأبيه معرفة فى مدينة سلا، و له مشاركة فى العلم و أدب رائق.

و ممن زارنا أقوام أدباء من أهل الوحدة المغربية، منهم الشيخ أحمد ابن محمد

الرحلة المعينية، ص: ۸۰

معنينو السـلوى ، و رئيس المركز العام للوحـدة المغربيـة و مدير جريدتها السـيد عبد السـلام بن المقدم ، و الحاج أحمد التمسـمانى و صنوه القائـد السـيد الحاج محمـد بن المقـدم ، و السـيد الحاج المختار بن الصادق أحرظان الطنجى و الكاتب السـيد محمد ابن الفقيه السيد محمد الزوّاق التطوانى و الشاب الشاعر

الرحلة المعينية، ص: ۸۱

الشريف السيد عبد الوهاب بن عبد الرحمان بنمنصور و التاجر الشريف السيد عبد السلام بن الطاهر بن مسعود.

و وصف مجلسهم معنا هو ما نشروه فى جريدة الوحدة المغربية ، و نصه: «زيارة لطيفة أو مجلس علم و أدب.

يوم الثلاثاء الماضى زار وفد من أعضاء المركز العام لبيت الوحدة المغربية مع بعض الأنصار العلامة التقى الأستاذ الشيخ الشريف الحاج محمد المصطفى مربيه ربه بن الشيخ ماء العينين، كبير أشياخ طرفاية و إيفنى و شنجيط بدار الضيافة بتطوان، و قد استغرقت عنده الزيارة ما يزيد على الساعتين، و كانت كلها مذاكرات دينية و مساجلات أدبية، و بخاصة فى التفسير و الحديث و ما إليهما، و كان الشيخ مربيه ربه كثيرا ما يستشهد بأقوال الشيخ ماء العينين، و يبدى من الملاحظات ما أبان عن علمه الجم و اتساع دائرة معارفه، و فى هذا الأثناء أنشدنا الشيخ ماء العينين بن العتيق الشاعر الفحل مخاطبا مؤسس الوحدة المغربية الأستاذ الجليل الشيخ محمد

الرحلة المعينية، ص: ۸۲

المكى الناصرى

[الطويل]

سلام على شيخ الأساتذة المكّى‌ينير به ليل اليراعة و الصّكّ

فهذا و قد طاب الزمان بنفحه‌من آدابك الحسناء أذكى من المسك

ليهنك ما تبنى من الخطب التى‌أبانت لنا حسن الجزالة و السّبك

و ما من سبيل للمزايا سلكتهاو ما من لئالى العلم نظمت فى سلك

و ارتجل بالبديهة أخونا الشاب عبد الوهاب بن منصور فى مدح الشيخ:

[الوافر]

مربيه ربّه حزت الفضائل‌ونلت من العلم ما أنت نائل

بعلم و اقتدار فقت قوماو سدتهم أيا حلو الشمائل

الرحلة المعينية، ص: ۸۳ فمذ عرفوك قد عرفوا جليلاصبورا فى المكارم لا يطاول

و مذ عرفوك قد عرفوا عظيمالدى سكن العلى و المجد نازل

فأجازه ابن العتيق قائلا:

[الوافر]

ألا لله درّك خير فاضل‌بحسن شبابك ازدهت المحافل

بديهتك الظريفة أعجبتنافوافر شعرك المغبوط كامل

و ارتجل أيضا فى هذا المجلس الشاعر محمد ماء العينين بن سيد أحمد الهيبة قدّس سرّه مخاطبا الزائرين و مغتبطا مهم:

[الوافر]

بمقدمكم لنا طاب الجلوس‌و وافقنا بما تهوى النّفوس

فكم من منتدى بكم تحلى‌و كم بحلاكم تحلو الدّروس

ثم استأذن الجميع و انصرفوا على موعد اجتماع آخر.

قدوم الشيخ محمد الإمام و وفده علينا بتطوان و تسمية جميع الوفد و نسبته وعدته

ثم لما كان يوم الخميس السابع من ذى القعدة الحرام، قدم علينا القدوة الجامع

الرحلة المعينية، ص: ۸۴

الأستاذ العلامة المشارك، الملاذ الشيخ محمد الإمام بن شيخنا الشيخ ماء العينين بتطوان لقصد الحج مع أخيه سيدنا الشيخ مربيه ربه و وفده، و قدم معه ابن أخته الأديب السيد ماء العينين يحجب ابن محمد المختار بن سيد محمد، و وفد من جهة مدينة سيدى إيفنى من

قبيلة بعمرانة، قدم بعضهم مع الشيخ محمد الإمام فى الطيارة، و بعضهم مع ابن أخته السيد يحجب فى السيارة. و كان يوم قدومهم يوم عيد عندنا، و تضاعفت بمقدمهم أفراحنا و سرورنا و حبورنا. و نزلوا معنا فى دار الضيافة بأمر المخزن، و أظهر لهم الاعتناء و بالغ فى إكرام الجميع.

و قوم بعمرانة الذين أتوا مع الشيخ تسعة:

١. السيد عمر بن محمد بن عبيد الهصباوى، الملكلف بشؤون مدينة إفنى.

٢. الحسين بن ابراهيم الهصباوى.

٣. الشريف السيد الحسن بن الطاهر بن باكريم البحرفاوى

۴. الشيخ عبد الكريم بن الحسن الخلفاوى، رئيس قبيلة أيت يخلف

۵. السيد عابد بن محمد بن احمد الخلفاوى

الرحلة المعينية، ص: ۸۵

۶. الشيخ بار بن العسرى العبد لاوى رئيس قبيلة آيت اعبلّ

٧. السيد عبد الله بن احمد التيدرارتى البكرى

٨. السيد على بن الحسن بن اعبلّ الخمسى المساكنى

٩. امحمد (فتحا) بن العربى المستى

و لما كان وقت العشاء من ليلة الجمعة، قدم علينا السيد سدات بن الشيخ الولى بن شيخنا الشيخ ماء العينين، و قد أتى راكبا فى الطيارة من جهة كنارى، و قبل ذلك فى البحر من الداخلة، و قبلها من صحراء أهله بأرض تيرس ، و قدم بقصد الحج أيضا، فاجتمع الركب المتهيئ للحج بحمد الله من جهة الطرفاية و إيفنى و ما والاهما من الصحراء مع رئيسه الشيخ مربيه ربه، و كلهم حاجون بنفقة المخزن، و عدد الرجال ثلاثون، و معهم زوجة الشيخ المذكورة، باعتبارها يكون الحجاج من آل شيخنا ماء العينين عشرة (١٠)

و من قبائل بعمرانة تسعة (٩)

و من قبيلة الزوقيين ستة (۶)

الرحلة المعينية، ص: ۸۶

و من قبيلة الرقيبات إثنان (٢)

و من قبيلة توبالت واحد (١)

و من قبيلة أيت لحسن واحد (٢)

و من قبيلة الأفيكات واحد (١)

و من قبيلة أولاد تيدرارين واحد (١)

فهذه جملة الركب، و قد قدمنا أسماءهم مفصلة فى مواضعها.

دعوة رجال الوحدة المغربية لوفدنا و ما جرى بيننا و بينهم تلك الليلة من الأشعار و الخطب

و فى هذه الليلة المذكورة، ليلة الجمعة الثامنة من قعدة الحرام، دعا رجال الوحدة المغربية سيادة الشيخ مربيه ربه و وفده جميعا دعوة جفلاء و قد أعدوا لذلك مأدبة كبيرة، و تهيأوا بما لا يوصف من تحسين الأمكنة و تنظيف الآنية و المبالغة فى أطايب الطعام و الشراب، فلم يمكن للشيخ مربيه ربه إجابتهم لزكام أصابه الليلة، فسار إليهم صنوه الشيخ محمد الإمام و سائر الركب، فلما دخلنا أماكنهم و قدموا لنا ما أعدوا من ملاذ الطعام و الشراب مع إظهار الفرح و الإعظام و الإكبار، أنشدهم جامعه ماء العينين بن العتيق، و

فقه الله بديهة:

[البسيط]

دعوتمونا سماحا دعوة الجفلافكنتم خير من بالزائر احتفلا

لو قيل فيكم ألستم خير متّصف‌بالمكرمات لقال الزائرون بلى

من كان داعى أقوام لمأدبةو لم يكن هكذا فعلا فما فعلا

و أنشدهم سيادة الشيخ محمد الإمام ارتجالا:

الرحلة المعينية، ص: ۸۷

[البسيط]

جزاكم الله إجمالا و إحساناأجملتم الصنع أشياخا و فتيانا

تالله ما أبصرت عين نواديكم‌إلا رأتكم لعين المجد إنسانا

و أنشدهم السيد محمد ماء العينين بن الشيخ أحمد الهيبة ارتجالا:

[البسيط]

قابلتمونا بأوفى ما نطيب به‌فخرا من أعظم تبجيل و أطيبه

و ليس ذاك إلا من سيادتكمو ما من المجد قدما توصفون به

و أنشدهم السيد يحجب بن خطر محمد المختار مرتجلا:

[البسيط]

فى مثل هذا المنتدى كمل المنىو أرى المنى للنفس فى ذا المنتدى

حبّى لمن بالمنتدى من مبتدىعمرى و آخره يرى كالمبتدى

فارتاحوا لما أنشدناهم من الأشعار، و أظهروا استحسانها بسكينة و وقار، ثم قام الشاب الأديب عبد الوهاب بن منصور، و ألقى خطبة حسنة مشتملة على الترحيب بنا و على الاستبشار و الفرح بمقدمنا، و على أن لهم محبة زائدة بجانبنا.

و أنشد بعد الخطبة هذه الأبيات:

[المديد]

إنّ جيد العلى بكم قد تحلّىو شعاع الصّلاح منكم تجلّى

الرحلة المعينية، ص: ۸۸ و غرام فى الله يجمعنا اليوم و حبّ الإله من شهد أحلى

أيّها الزائرون شرّفتمونامرحبا بالكرام أهلا و سهلا

فأجزنى يا بن العتيق أجزنىإنكم فى الشعور أسمى و أعلى

فأجابه جامعه ماء العينين غفر الله له ارتجالا:

[المديد]

هذه الخمر بل من الخمر أحلىبل هو السّحر نفث هارون يتلى

هى أبياتك التى ما لها فىسلك شعر يسطيع ذو النظم شكلا

رمت فيها إجازتى يا بن منصور، و قد كنت للإجازة أهلا

أنت فى أبحر القريض مجازقد وجدناك إذ خبرناك فحلا

ثم قام رجال منهم فألقوا خطبا نثرية بديعة، و اعتذروا عن الإنشاد، مغزاها واحد، كلّها تقتضى الترحيب بنا و إظهار الاعتناء و المحبة

لنا، منهم الحاج أحمد بن محمد معنينو السلوى، و أدباء منهم آخرون، فاستحسّنا خطبهم، و ارتحنا لها، ثم ألقى عليهم جامعه ماء العينين خطبة تقتضى جواب خطبهم على نسقها، و أنشدهم ارتجالا:

[البسيط]

يا إخوة المجد يا أعلام سبسبهو النّازلين بأعلى ذروة الرّتب

الرحلة المعينية، ص: ۸۹ لله إيخاؤكم هذا فبينكم آخت لبان العلى و العلم و الأدب

قد سرنا اليوم ما ألقيتموه لناتبارك الله من شعر و من خطب

فاستحسنوا ذلك و ارتاحوا له، ثم قام السيد الأديب إبراهيم بن الولى العارف الحاج على الدرقاوى السوسى ، و أنشد قصيدة بديعة أنشأها فى مدح سيادة الشيخ مربيه ربه و الترحيب به و سائر الوفد، و يخص، منهم بالتسمية جامعه عفا الله عنه، مطلعها :

[الكامل]

خطر النسيم مبشّرا بالأسعدويد الصباح تبلّ وجه الأنجد

هاذى الرّبى تختال فى أعطافهافتخال ساحتها كثوب برجد

نثر الغمام لها جواهر زهرهافتزينت جنباتها بزبرجد

و تبادلت أطيارها ألحانهافى نشوة فوق الغصون الميّد

الرحلة المعينية، ص: ۹۰

إلى أن قال:

فاليوم لا حظت السعادة خلسةبعيونها قلب الغريب المبعد

من قبل كان البين فرّق بيننافالآن أمسينا كعقد منضد

إن صحّ ترحيب الغريب بمثلهفأنا أرحّب بالوفود الورد

هاذى الوفود النازلات برحبنالبت نداء الله دون تردّد

يحدوهم الشوق الكمين على النوى كيما يحجوا بيت عتق سرمد

و قلوبهم تلتاع من بين الحشاكيما يزورا روضة لمحمّد

فلحجهم من غير شك حطّةإذ هم أتوه من مكان أبعد

إن نحن قمنا بالتّجلّة نحوهمفالفضل منهم لا يقاس بأزيد

فالله يبلغ سؤلهم و يحوطهمحتى يفوزوا بالمنى و المقصد

هذا أميرهم مربّه ربّهأكرم به من قدوة للمقتدى

علموا مكانته العليّة فى الورىعلما و أخلاقا و رفعة محتد

الرحلة المعينية، ص: ۹۱ يكفيه فخرا أنه الحصن الذىحرس الدّيانة فى الجنوب الأبعد

إلى أن قال:

أسلاف هذا الشيخ كانوا حجّةفى الدين و العلم الصحيح المسند

أعظم بهم أعلام دين ما سعوإلا لرفع الدّين فوق الفرقد

كم من معارف أجادوا نسجهافى نول زاوية و وارف مسجد

كم سنّة فاءت بظلّ قبابهمفقضوا على البدع التى لم تحمد

إلى أن قال:

فلئن تفاخرت البلاد بشعرهافلهم طوالع كالدّرار الوقّد

فابن العتيق الفحل بازل قومهيرمى بفكر كالقسّى مسدّد

أما معانيه فوحى ملهمو اللّفظ منه كلؤلؤ و زمرّد

إلى آخرها، جزى خيرا، و هى طويلة جيدة، فلما أتمها طرب لها الندى و داخلته أريحية من حسنها و دلالتها على ما يقتضيه الحال.

الرحلة المعينية، ص: ۹۲

ثم قام الشاب الأديب السيد إدريس الجاى و أنشد أيضا قصيدته الحسناء التى أنشأها فى المعنى، مطلعها:

[الطويل]

نفى عن جفونى النوم بعد سعادو هل بعدها يوما يطيب رقادى

ألم تك لى مذ كنت أكبر عدّةو عند خطوب الدّهر أوفر زاد

علقت بها مذ كنت فى المهد إلفهافحلّت بصدرى فى جوار فؤادى

فكنت أناديها نزيلة مهجتىو كانت هى الأخرى كذاك تنادى

إلى أن قال:

عدمت مرادى من سعاد ببعدهافعوضت ما ينسى غرام سعاد

و لا عجب ذا ابن العتيق يضمّناو إيّاه من بعد التباعد ناد

إلى أن قال:

و قل للقوافى ما أردت فحلّقىو ما شئت فاستعلى بكلّ نجاد

الرحلة المعينية، ص: ۹۳ و قل للرّبى إمّا بكت لحدادهارشادك ليس الوقت وقت حداد

لئن أقفرت منك الزهور ذوابلافها زهرات ابن العتيق نوادى

و إن ذرفت عين السّماء مدامعافها بسمات ابن العتيق بوادى

ألا مرحبا بالواردين لربعناورود المعين العذب غلّة الصّاد

بكم أتأسّى عن سعاد و بعدهاو ألقى الكرى من بعد طول سهاد

نزلتم بنا فالقلب جذلان فارحطروب و عصفور السّجيّة شاد

و إن تنزلوا تطوان أعظم بفخرهاألا طاولى تطوان كلّ بلاد

و تيهى إذا ما شئت أو فتدلّلىفناديك هذا اليوم أحفل ناد

فقد حلّ فيك العلم و الفضل و التّقىبمن ربّه ربّاه و هو له هاد

و من للإسلام أكبر ناصرو للعلم و الآداب خير عتاد

إلى آخرها، و قد أجاد فيها و أبدع، فاستحسنها الحاضرون باغتباط ، و استمالتهم عن طرب و نشاط، ثم أنشدهم جامعه ماء العينين بن العتيق، و فقه الله

الرحلة المعينية، ص: ۹۴

فى جواب الشاعرين هذه الأبيات :

[الكامل]

الشعر فى يدى الخليل بمقوديلقى و للجائى يجى طوع اليد

فحلان فكر كليهما لن ينبعثإلا إلى نظم القريض الجيّد

فی السّودد اصطحبا اصطحاب الفرقدین فأدرکا فیه مناط الفرقد

فی سادة من تلقه منهم تقل‌ما أبصرت عینی کهذا السیّد

قد طاب محتدهم و طابوا أنفساو یزید طیب النّفس طیب المحتد

یا حسن ما یطبی النّهی بندیّهم‌من خاطب أو منشئ أو منشد

اهدی لنا النّدبان فی النّادی ابنتی‌فکر کسمطی لؤلؤ و زبرجد

نفتا عن الجفن الأسی إذ منهماخطر النسیم مبشّرا بالأسعد

فابتهجوا بها و ارتاحوا لها غایة الارتیاح، ثم طابت بمفاکهات الندیّ الأشباح و الأرواح، و هی لیلة انصرمت بالمحاضرات الأدبیة و اللطائف العجیبة و المحادثات العلمیة فی کل مجال، لما توق له و تغتبطه نفوس الرجال، و فیما ذکر کفایة من مسامراتها، و لو لا خشیة الإطالة لا ستقصینا محاضراتها.

الرحلة المعینیة، ص: ۹۵

زیارة وزیر الأحباس و التماسه الإجازة من صاحب الرحلة و ما کتب له فیها

فلما کان الغد یوم الجمعة زارنا وزیر الأحباس العلامة الکامل الجامع الفاضل الفقیه السید محمد بن عبد القادر بن موسی المراکشی مولدا، التطوانی مقرا، علی عادته، لأنه قلما یتخلف عنا یوما، من یوم دخلنا تطوان، و هو ممن أخذ الورد عن شیخنا الشیخ ماء العینین، و له نظم رائق فی سلسلة أشیاخنا فی الطریق القادریة یسردهم متصلین من عند شیخنا إلی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، و قد تذاکرنا معه فی سائر الفنون، فوجدناه بحرا لا ساحل له، له مشارکة کبیرة فی أکثر العلوم، و له الید الطولی فی علم العربیة، و کان شاعرا مجیدا، أنشدنا کثیرا من أشعاره، منها ما هو فی مدح المولی الخلیفة سیدی حسن، و منها ما هو فی الأدعیة و الحکم و الفقه و المحاضرات، إلی غیر ذلک، و له خبرة بعلوم الأسرار و الخواص و التصوف، و کان سنیا محافظا علی أمور الشریعة مع ما أعطیه من علم الحقیقة، و قد طلب منی فی هذا الیوم أن أجیزه و أحلی إبریزه بأشعاری و منظوماتی و تقاییدی و سائر مؤلفاتی، فکتبت له ما نصه:

الحمد لله وحده، صلی الله علی محمد و آله و صحبه و سلم، حمدا لمن جازی بالحسنات و بدأ بالإحسان، و جعل اللسان العربی أفضل لسان، و السلامان علی المبعوث به للقدیم و الحدیث، القائل، «أحب العرب لثلاث» إلی آخر الحدیث، و علی آله و صحبه، و تالیه من سائر الأجناس، المنزل فیهم، «کنتم خیر أمة

الرحلة المعینیة، ص: ۹۶

أخرجت للنّاس»، أما بعد، فقد طلب منی ألأخ فی ذات الله، المعرض عن کل شاغل عن الله ولاه، العلامة المشارک الأدیب الناظم الناثر، الحسیب، من نبغ لدرر البلاغة قاموسا، الفقیه السید محمد بن عبد القادر بن موسی، ألبسنی الله و إیاه حلل التقوی، و لا زال علی أعباء الطاعات یقوی، أن أجیزه بمنظوماتی و أشعاری، و کلما سمحت به نتائج أفکاری، فلبیت نداه و أجبت دعواه قائلا: قد أجزتک أیها الأخ الشقیق و الخل الصدیق بجمیع ما نظمت من دواوین شعریة، و ألفت من تقاید نثریة، بل بسائر المعقول و المنقول، من فروع و أصول، و أوصیک کنفسی بتقوی الله العظیم و أن لا تنسانی، فی صالح دعائک الخاص و العمیم، و هذه أبیات للحال تناسب جادت بها قریحة الکاتب.

[الوافر]

وضعت لکلّ مأثرة مجازاو توثر للتواضع أن تجازا

فشئت إجازتی إیاک فضلالو أن الأمر منعکس لجازا

هنيئا قد أجزتك دون قيدتجيز و أنت أفضل من أجازا

إليك زمامها البلغاء ترمىإذا رمت القريض و الارتجازا

و أنت بحالها الطرف المجلىإذا خضت الحقيقة و المجازا

جزيت لرعيك الأدب ابن موسىبأحسن ما الأديب به يجازى

كتبه العبد الحقير، المعروف بالتقصير ما العنين بن العتيق، هداه الله لأقوم طريق فى ۸ من قعدة الحرام عام ۱۳۵۷، عرفنا الله خيره و خير ما بعده، و الصلاة و السلام على إمام المرسلين و الحمد لله رب العالمين.

الرحلة المعينية، ص: ۹۷

فلما كان يوم الأحد العاشر من الشهر، ندبنا وزير الأحباس الفقيه محمد المذكور لداره، فسار إليه الشيخ مربيه ربه و أخوه الشيخ محمد الإمام و سائر الوفد، فأكرمنا غاية الإكرام، و بالغ فى الإحسان و الإنعام، و كان يخدم القادمين بنفسه مع غاية البشاشة و الطلاقة و دوام الترحيب، جزاه الله عنا أحسن ما جوزى به حبيب عن حبيب.

قدوم الطبيب علينا لتلقيح وفد الحاج

فلما كان يوم الغد يوم الإثنين، قدم علينا الطبيب بمحلنا فى دار الضيافة فلقح وفد الحاج من الجدرى على الكيفية المعتادة خوف العدوى.

قدوم السيد عبد القادر الفكيكى تلميذ شيخنا و زيارة بعض الأحبة لنا

و فى أيامنا بتطوان قدم علينا مريد شيخنا ماء العينين الذائق الواصل، الفائق الكامل، عبد القادر بن محمد بن عبد الله الفكيكى من مسكنه بقلعية فى بنى بويفرر من بلاد الريف للزيارة من أشياخه و التبرك بهم، و كان صاحب أحوال و أشواق و همة عالية، لا سيما فى تحصيل الأسرار و الحكم، خصوصا تآليف الشيخ ماء العينين و أبنائه، و قد تتلمذ على شيخنا بالسمارة، و صحبه مرة، وجد فى خدمته حتى صدره، و ظهرت عليه البركة الكثيرة، و انتفع به خلق كثير، و أمره فى بلده شهير. و ممن جاءنا للزيارة أيضا تلميذ شيخنا ماء العينين الشريف السيد محمد بن الحاج خديم من ذرية مولانا ادريس، و هو رجل من أهل القلوب، و لم تعلق عظيم بشيخنا رضى اللّه عنه، و تكلمت معه فإذا هو ذو أذواق و فتح، و مما استفدت من كلامه:

الرحلة المعينية، ص: ۹۸

«أسباب المحبة كالحبة، إذا زرعت فى بلد طيب نبتت و خرجت، كما قال تعالى:

«وَ الْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَباتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ» و قال تعالى: «كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ» الآية، و إن لم تزرع فى بلد طيب فسدت» و استفدت منه أيضا: «للناس أغراض فى تمزيق الأعراض، و جلهم ككاتب الشمال لا يكتب إلا السيئات». و هو أن غالب الناس كالذباب، إن رأى من الجسد جرحا أو دملا و نحو ذلك تساقط عليه، كناية عن كون أكثرهم لا يتفطنون إلا للعيب و لا لهم نظر إلى غيره.

و ممن زارنا السيد عبد الحى بن السيد محمد الشريف القادرى نسبا و طريقة التطوانى ، فاستدعانا لداره ليلة الخميس الرابعة عشر من ذى القعدة، و كذلك دعانا تلك الليلة الفقير محمد بن حمّ بن جاد القلعى من فرخان، فسار الشيخ مربيه ربه إلى الفقير محمد بن حم و معه جامعه و جل الوفد، و سار أخوه الشيخ محمد الإمام إلى الشيخ سيد عبد الحى، و معه بعض الوفد، و كلاهما أكرم و أحسن، جزيا خيرا.

و ممن زارنا بتطوان و أتحف الشيخ مربيه ربه بتحف حسنة الأستاذ السيد عبد الخالق الطرّيس بن الحاج أحمد بن محمد، رئيس الحزب الإصلاحى الوطنى ، و معه بعض حزبه و إخوانه للتبرك و طلب الأدعية الصالحة، منهم السيد محمد فتحا ابن عبد السلام بن

عبود مدير المدرسة الأهلية، و الفقيه السيد أحمد بن محمد

الرحلة المعينية، ص: ۹۹

الغيلانى و الشريف السيد الحسن بن احمد بن عبد الوهاب و الحاج محمد بن العربى بنّون و إبن أخيه السيد الطيب بن عبد السلام بنون، و الخطيب بزاوية السيد عبد الله الفقيه الحاج السيد محمد بن محمد (فتحا) الطنجى، و أخوه السيد عبد السلام و السيد محمد ابن العربى الزّكار .

الرحلة المعينية، ص: ۱۰۰

زيارة قائد المشور و أخيه لنا و صحبتهم بعض التحف لنا

و فى يوم الجمعة الخامس عشر من ذى القعدة أتانا المريد الواصل، العابد الفاضل، قائد المشور السيد محمد المصطفى بن القائد ادريس على عادته، لأنه كان قلما يفارقنا ليلا و لا نهارا، و قدم لنا- آل شيخنا الشيخ ماء العينين- هدايا كثيرة، دراهم و طعاما و لباسا، و خص الشيخ مربيه ربه و الشيخ محمد الإمام و كل واحد منا بما يناسب حاله و مقامه من هديته، و من ذلك أنه أهدى لكل منا كسوة تامة على وصفها المعروف فى البلاد الغربية، و كذلك أهدى لكل واحد منا لباس الإحرام على حاله المشروع المعروف، حتى النعلين، إلى غير ذلك مما هو كثير، تقبله الله منه، و جزاه عنا أحسن جزائه، و كذلك فعل أخوه المريد الخاشع الباشا السيد محمد فاضل ابن القائد ادريس، فإنه أتانا بهدايا كثيرة لكل واحد منا على حسب حاله، و منها الكسوة المعروفة لكل واحد منا، و قلما يفارقنا، و كذلك أخوهما خليفة قائد المشور الولى، فقد أحسن معنا، جزى الله الجميع خيرا.

ذكر مسيرنا من تطوان إلى سبتة لركوب باخرة الحج

و فى صبيحة يوم السبت السادس عشر من ذى القعدة الحرام، سافرنا من مدينة تطوان قاصدين مدينة سبتة بقصد ركوب الباخرة نحو الحرم الشريف، فركب الشيخ مربيه ربه السيارة و أهل بيته، و أما سائر الوفد، و فيه صنوه الشيخ محمد الإمام،

الرحلة المعينية، ص: ۱۰۱

فركبوا فى سفينة الباخرة باللغة العجمية «ترن» ، فوصلنا سبتة قيلولة اليوم المذكور، فركبنا حينئذ الباخرة الفاخرة، فوجدناها فى غاية الحسن و الاتساع و الاتقان، على حسن تنظيم طبقاتها، فتلقانا أهلها بالأفراح و الانبساط و الانشراح، و التقينا مع إخواننا الحجاج و مشيعيهم من أقاربهم و أحبابهم، يدخلونها من كل فج، فكان يوم دخولها يوما مشهودا وقع فيه احتفال كبير، و ابتهاج عظيم، حتى غصت الباخرة على اتساعها، ما شاء الله من الداخلين، فلما سلم بعضهم على بعض، وحّدوا الله على اجتماعهم لهذه الطاعة و كلهم هنأ بها الآخرين، نادى منادٍ فى أعلى الباخرة يأمر بخروج غير الحجاج من الباخرة، و رجوعهم، فتوادعت الناس و ابتهلت و تضرعت لله تعالى بقلوب خاشعة، و أبدان خاضعة، و عيون باكية، و أيد مبسوطة، داعين للحجاج ببلوغ بغيتهم و بالتيسير لهم فى طريقهم، و بأن يتفضل الله تعالى عليهم بحج مبرور، و سعى مشكور، و أن يغفر للمشيعين، و يتقبل منهم تشييعهم لإخوانهم، و لا يحرمهم من الأجر، فعند ذلك رجع المشيعون بسلامة. و من المشيعين لنا من أهل تطوان حتى وصلنا الباخرة، قائد المشور السيد محمد المصطفى، و أخوه الباشا السيد محمد فاضل ابنا القائد ادريس، و الفقيه وزير الأحباس السيد محمد ابن عبد القادر، و الشابان الساكنان وقتهما بتطوان للتعلم بها، السيد محمد العبادلة بن الشيخ محمد الأغظف ابن شيخنا ماء العينين، و السيد محمد ابن الرحلة المعينية، ص: ۱۰۲ السيد أحمد بن سيد أحمد بن عيدة ، الشهيرة آباؤه بالإمارة فى أدرار، [فى نواحى مدينة شنقيط و غيرهم] .

مطلب فى كون الشيخ مربيه ربه هو رئيس الحاج الدينى فى الباخرة و بعض أحوالها هى و أهلها

فلما كان وقت العشاء ليلة الأحد السابعة عشر من قعدة الحرام، و نحن بالباخرة قدم علينا المقيم العام و معه نائب الأمور الأهلية و وزير المولى الخليفة [الصدر الأعظم] السيد أحمد الغنيمى السليمانى ، فاجتمع عليهم من بالباخرة من الحجاج، و جلس المقيم العام على كرسى، و أجلس الشيخ مربيه ربه و أخاه الشيخ

الرحلة المعينية، ص: ۱۰۳

محمد الإمام على كرسيين حوله، ثم خطب خطبة أوجز فيها، و مقتضاها بعد السلام على من بالباخرة من الحجاج و تهنئتهم بالركوب إلى الحج، إعلامهم أن معزّ الدولة «الخنر السمو فرانكو» قد هيأ لكم أيها المسلمون هذه الباخرة لحجكم، فتنبهوا لفعله الجميل لكم و إعانته إياكم على دينكم، و قصّوا ذلك على إخوانكم المسلمين بالحجاز و غيره، و اعلموا أن الرئيس الدينى لكل من فى الباخرة هو سيادة الشيخ مربيه ربه، و الحاكم فيها هو القائد محمد ابن عمر أوشن السعيدى. ثم ودع و رجع من حينه هو و من أتى معه.

فلما كان قبل السحر من ليلة الأحد المذكورة، أقلعت الباخرة بنا متوجهة فى حفظ الله تعالى جهة الحرم الشريف، و فيها من حجاج المسلمين ما ينيف على الألف، و فيهم العلماء و الفقهاء و الطلبة و الخطباء و الأدباء و القضاة و القواد و الرؤساء و العامة من الرجال و النساء و الصبيان، و الناس فى منازل الباخرة على طبقاتهم مقبلين على أمر دينهم، مكفيين أمور معاشهم، لأن أهل الباخرة قائمون لهم بذلك أحسن قيام فى أوقاته المعروفة، بأوصافه المألوفة، مع حسن الأخلاق و إظهار الإكرام و لزوم الأدب مع الخاص و العام.

و هذه الباخرة تسمى «ماركيس دى كومياس»، و صفتها و حمولتها و مقدار سيرها هو ما نشرته الجرائد فى العام الحالى و الذى قبله، و نصه باختصار: «الحج إلى مكة المكرمة. أيها المسلمون المغاربة فى يوم ۱۴ من شهر ذى القعدة الحرام عام ۱۳۵۷ موافق ۵ يناير ۱۹۳۹، ستقلع من ميناء سبتة إلى جدة الباخرة الجميلة المسماة «ماركيس دى كومياس» حمولتها ۱۲۲۲۵ طنا، و سيرها ۱۷ ميلا فى الساعة، و سترسى فى طريقها إلى ميناء جدة فى مرسى مليلية و طرابلس و ابن غازى و بور سعيد و السويس، و سيتوجه صحبة وفد الحجاج رئيس دينى و إمام و قاض مع عدلين و حاكم، و تحتوى على مصلى و مستوصف و بيت صحى، و قاعة و مطبخ، و يقوم بالأشغال داخله خدام مغاربة، أثمان تذاكير السفر مع الأكل ذهابا و إيابا إلى جدة:

- الدرجة الأولى ۱۶۰۰ بسيطة إسبانية

الرحلة المعينية، ص: ۱۰۴

- الدرجة الثانية الاعتيادية ۱۴۰۰ بسيطة إسبانية

- الدرجة الثالثة الممتازة ۹۰۰ بسيطة إسبانية

- الدرجة الثالثة الاعتيادية ۸۰۰ بسيطة إسبانية.

و هذا الوصف الذى ذكر فى الجرائد من حال الباخرة وجدناه كله صحيحا، فتبارك الله أحسن الخالقين، و ليس الخبر كالعيان، و الرئيس الدينى المذكور سيدنا الشيخ مربيه ربه كما قدمنا، و الإمام فيها الفقيه المدرس فى الجامع الكبير السيد محمد التجكانى أصلا، التطوانى مقرا، و القاضى فيها الفقيه السيد عبد السلام ابن احمد القمورى، المعروف بأزطوط ، و هو قاضى مدينة العرائش سابقا، و كان رجلا خيرا، و العدلان، أحدهما السيد على الريفى، الكاتب فى مراقبة القصر، و الثانى السيد عبد السلام العلوى التطوانى ، و الحاكم فيها القائد محمد بن عمر أوشن ، المتقدم ذكره.

كيفية قراءة الحزب على سنن شيخنا اليخ ماء العينين

و فى الباخرة عدة مصليات، فمصلاها الكبير هو الذى فى الدرجة العليا، و هو

الرحلة المعينية، ص: ۱۰۵

حسن متسع يسع ثلاثمائة من المصلين أو أكثر، و هو الذى يصلى فيه سيدنا الشيخ و أقاربه و من فى درجتهم العليا من سائر الحجاج، و

أمر الشيخ أعزه الله إمامه عبد الصمد المذكور بالتدريس فيه و تعليم الحجاج مناسك الحج، بعد طلوع الشمس و بعد صلاة الظهر، و تعليمه بليغ نافع، و أمر الفقيه السيد محمد بن عياد المعروف بالخمسى بتعليمهم فيه بعد صلاة العصر، و له خبرة بالعلوم و اقتدار و قابلية حسنة فى التعليم، و يقرأ الحزب فيه ما ينيف على مائة من الطلبة، فأولا يقرأ على سنن شيخنا الشيخ ماء العينين المعروف، و هو أن يقرأه إثنان جهرا و باقى الجماعة سرا و يقرأ فى كل ليلة ثلاثة أحزاب، فيقع الختم فى ثلاث أحزاب فيقع الختم فى ثلاث جمعات، و يقع الابتداء فى القراءة بعد صلاة العشاء ليلة الخميس، ثم لم يزل يقرا بعد صلاة الصبح و المغرب و العشاء الحزب، و ويقرأ معه بعد المغرب و الصبح سورة ياسين و سورة الصف، ثم سورة قريش ثلاثا، ثم ترفع الجماعة أيديهم للدعاء، و يدعو أحد القارئين بعد أن يقرأ الفاتحة خمس مرات بهذا الدعاء، و الجماعة تؤمن،، و هو: «اللهم صل و سلم على سيدنا محمد صلاة تنجينا من جميع الأهوال و الآفات و تقضى لنا بها جميع الحاجات، و تطهرنا بها من جميع السيئات، و ترفعنا بها أعلى الدرجات، و تبلغنا بها أقصى الغايات من جميع الخيرات فى الحياة و بعد الممات، اللهم أنزل علينا فى هذه الساعة من خيرك و بركاتك ما أنزلت على أوليائك و خصصت به أحباءك، و أذقنا برد عفوك و حلاوة مغفرتك و انشر علينا رحمتك التى وسعت كل شيء، و ارزقنا منك محبة و قبولا و توبة نصوحا و إجابة و مغفرة و عافية تعم الحاضرين و الغائبين و الأحياء و الميتين، ثلاث مرات، برحمتك يا أرحم الراحمين، ثلاث مرات، لا- تخيبنا مما سألناك، و لا تحرمنا مما رجوناك، و احفظنا فى المحيا و الممات، إنك مجيب الدعوات، سبحان ربك رب العزة عما يصفون و سلام على المرسلين و الحمد لله رب العالمين» .

الرحلة المعينية، ص: ۱۰۶

و أما فى العشاء، فلا يقرأ إلا الحزب فقط، و الفاتحة خمس مرات، و الدعاء المذكور و يقرأ فى صبح كل جمعة مكان الحزب سورة الكهف و الدخان، فيقع الختم بعد صلاة المغرب ليلة الخميس قى ثلاثة أسابيع، ثم يبتدأ فى أول الختمة بعشائها كما قررنا.

قصيدة لصاحب الرحلة فى ذكر سند أشياخه فى القرآن العظيم إلى النبى صلى اللّه عليه و سلم

و كان شيخنا الشيخ ماء العينين يرتب اثنين من أبنائه أو تلامذته لقراءته بإزائه على هذا السنن، و يقرأ هو رضى اللّه عنه و باقى الجماعة سرا، خشية التخليط، و قد كنت أحد اللذين يقرءانه حوله رضى اللّه عنه، أمرنى بذلك منذ حفظت القرآن، و أعطيت فيه الإجازة بحمد الله، و أنا ابن اثنتى عشرة سنة، و قد نظمت أشياخى فى الإجازة إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى قصيدة لا بأس بذكرها هنا للتبرك بأسمائهم و هى:

أحمد من سنّ على الحقّ المجازفراق ما افترض فيه و أجاز

منزل نوره المبين الدّافع‌دجى الضّلال جالب المنافع

صلى و سلم على المنزّل‌عليه بالحفظ الذى لم يزل

و آله و صحبه من عنه‌قد بلّغو ما أخذوه منه

فبحكم الكتاب منهم أخذاإجازة من ذا لذا وذا لذا

هذا و ذى سلسلتى منظومه‌فى سند الإجازة المعلومه

أسندها إلى النبىّ الهادى‌رواية موصولة الإسناد

الرحلة المعينية، ص: ۱۰۷ فيما روى ورش و قالون عن‌شيخهما أب رويم المدنى

أجازنى فى المقرإ المذكورلنافع بأخذه المشهور

أستاذى المّدعو زين المنتمى‌إلى محمد الأمين القلقمى

و هو عون الأستاذ شيخنا الكبيرماء العيون القدوة القطب الشهير

عن عابد الباقى بن أحمد عنمحمّد بن صالح المبيّن

بالقريشى عن محمد عزىهذا إلى الطالب عمر التّنمزى

عن عابد الرحمان أعنى ولدمحمد عن الطالب عمر من غدا

يعرف بالكنزى من التنواجيوى عن أحمد الحبيب تاج

لمط الفلالى عن المشهورعنيت إبراهيم بالسّكورى

عن عابد الرّحمان نجل القاضىالفاسى عن سميّه فيّاض

أرض سجلماس بن عبد الواحدعن الشّريف الحسنى سائد

الرحلة المعينية، ص: ۱۰۸ محمّد بفاس عن زعيمدكّال قاسم بن ابراهيم

عن الإمام نجل غاز الشهيرعن عابد الرحمان من يدعى الصّغير

عن أبى عبّاس فلا لى الدارأحمد عن محمّد الفخار

و هو أبو عبد الإله الرّاوىعن أحمد المعروف بالزّواوى

أعنى أبا العبّاس عن أبى الحسنابن سليمان على فى السّنن

راوى أبى جعفر المقصودبابن الزبير عن أبى الوليد

أعنى به العطّار إسماعيل عنسليل حستون أبى بكر يعن

عمّن له سما محمد أبوعبد الإله و أبو بغى أب

عن ابن عبد الله بادى المحتدبجدّه العرجا أبى محمّد

راوى أبى معشر الطّبرى عنأبى نفيس عن أبى عدى من

يدعى بعابد العزيز بن علىبعزوه لجدّه فرج جلى

عن ابن يوسف أبى بكر عنابن يسار يوسف الذى عنى

بالأزرقى و هو أبو يعقوب عنعثمان ورش بن سعيد الحسن

الرحلة المعينية، ص: ۱۰۹ تجويده عن نافع الإمامعن ابن هرمز عن الطّمطام

أبى هريرة عن ابن كعبأبىّ الكاتب أقرإ الصّحب

عن مهبط الوحى رسول اللهأصل الوجود مجمع التناهى

صلّى و سلّم عليه مرسلهلنا بما هو عليه منزله

أمّا روايتى عن عيسى فقدأروى إلى أبى نفيس بالسّند

عن شيخ بغداد أبى نصر و ذاعن أحمد الفرضى روى ما أخذا

عن الشهير بأبى بيان منيروى قراءة أبى الأشعث عن

أبى نشيط و هو عن قالونعن نافع بالسّند المصون

أسألك اللّهم بالذّكر الحكيمو ربّنا الرحيم ذى الفضل العظيم

و بنبيّنا المنزّل عليهو جبرائل الّذ به يأتى إليه

و بشيوخنا الألى ووهو بلغوا به الذى نووه

و سائر الرواة و الأيمّهو من له عندك جاه أىّ جاه

أن تجعل القرآن فىّ شافعامشفعا و علمه لى نافعا

الرحلة المعينية، ص: ۱۱۰ و تجعلنی بعراه ماسکاو لمسالک هداه سالکا

و تجعلنی فی حماه عاکفاعند حدوده جمیعا واقفا

و لتحفظنّی بحفظک لهو أهلک اجعلنی بکونی أهله

و اغفر ذنوبی و أشفنی و اغننیبک و فیک عن سواک أفننی

و بک أبقنی و منک لقّنیمآربی و من مکارهی قنی

ربّ أنل عبدک ما العینینابن العتیق قرّة العینین

ربّ و لا تجعل سبیلا للعدیعلیه واکسه حلی عزّ الهدی

وهبه کل الخیر و ارزقنهسعادة الدارین و ارض عنه

و عن شیوخه و عن أحبّتهو والدیه و جمیع نسبته

و أجب الدّعاء فضلا بالحبیبصلّ و سلمن علیه یا مجیب

نص الإجازة فی القرآن الذی کتبه لصاحب الرحلة شیخه نثرا

و هذا نص ما کتب لی شیخی المذکور فی الإجازة:

«بسم الله الرحمان الرحیم، صلی الله علی سیدنا محمد و علی آله و صحبه و سلم. الحمد لله الذی أنزل علی عبده الکتاب المبین، و جعل له عبادا ینفون عنه

الرحلة المعینیة، ص: ۱۱۱

جهل الجاهلین، و بعد جاء ما العینین بن العتیق بن محمد فاضل القلقمی، حفید شیخنا الشیخ ماء العینین، طلب منی أن أجیزه و أحلی إبریزه فی قراءة نافع إمام أهل المدینة ابن أبی رویم وراویة ورش و قالون، فقد أجزته لحسن طویته أن یقرئه لمن شاء.

و یفیده لمن أراد، نسأل الله أن ینفعه و ینفع علی یدیه، و أوصیه و نفسی بتقوی الله العظیم فی السر و العلانیة، و أخبره بسلسلة أشیاخی إلی النبی صلی اللّه علیه و سلم، قرأ علیّ ماء العینین المذکور قراءة الإمام نافع بن أبی رویم المدنی، و أخذتها عن قطب الزمن شیخی الشیخ ماء العینین بن الشیخ محمد فاضل بن مامین، و هو أخذها عن شیخه عبد الباقی بن محمد بن علی مولود، و هو أخذها عن شیخه محمد بن صالح بن الطالب محمد المعروف بالقریشی، و هو أخذها عن شیخه محمد ابن الطالب علی التنمزی، و هو أخذها عن شیخه عبد الرحمان بن محمد، و هو أخذها علی شیخه الطالب اعمر، الملقب بالکنزی، و هو أخذها علی شیخه سیدی التنواجیوی، و هو أخذها علی سیدی و مولای سید أحمد الحبیب الفلالی ثم اللمطی، و قرأ سیدی مولای علی سیدی إبراهیم السکوری، و سیدی إبراهیم قرأ علی سیدی عبد الرحمان بن القاضی الفاسی، و هو أخذها علی الولی الصالح سیدی عبد الرحمان بن عبد الواحد السجلماسی، و هو أخذها عن شیخه محمد الشریف الحسنی بمدینة فاس، عن القاسم بن إبراهیم الدکالی عن الإمام ابن غازی، عن شیخه أبی عبد الله عبد الرحمان الصغیر، عن أبی العباس أحمد الفلالی، عن أبی عبد الله محمد الفخار، عن أبی العباس أحمد الزواوی، عن أبی الحسن علی بن سلیمان عن أبی جعفر بن الزبیر، عن أبی الولید اسماعیل العطار، عن أبی بکر بن حستون، عن أبی عبد الله محمد بن أبی بغی، عن أبی محمد بن عبد الله بن عمر العرجا، عن أبی معشر الطبری، عن أبی نفیس، عن أبی عدی عبد العزیز بن علی ابن محمد بن اسحاق بن فرج، عن شیخه أبی بکر بن یوسف، عن أبی یعقوب یوسف بن یسار الأزرقی، عن أبی سعید بن عثمان بن سعید ورش، شهر به، عن نافع، عن ابن هرمز، عن أبی هریرة عن أبی بن کعب، عن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم.

و أما روایة قالون فبالسند المتقدم إلی أبی نفیس، عن أبی نصر البغدادی، عن أحمد الفرضی، عن أبی بیان، عن ابن الأشعث، عن أبی نشیط، عن قالون، عن

الرحلة المعينية، ص: ۱۱۲

نافع بسنده المتقدم الذى بالنبى عليه السلام يتم، عبيد ربه و أسير ذنبه زين بن البكاى بن الشيخ محمد الأمين القلقمى، يوم السبت الحادى عشر من شعبان الأبرك عام تسعة عشر بعد الثلاثمائة و الألف، أرانا الله خيره و خير ما بعده، و وقانا ضيرهما آمين.

و لم أزل يوم أخذت الإجازة لله الحمد أقرأ عن يمين شيخنا الشيخ ماء العينين حتى توفى رضى اللّه عنه فى التاريخ المتقدم ذكره، ثم لم تزل أبناؤه و تلامذته و سائر أتباعه حافظين قراءته و متحفظين على العهد الذى تركهم عليه إلى وقتنا هذا لله الحمد.

سنن المغاربة فى قراءة الحزب الراتب

و كان حزب مغرب ليلة الأحد المذكورة التى أقلعت فيها الباخرة من سبتة «يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَ فَضْلٍ» ، فتفاء لنا به لأنه صلى اللّه عليه و سلم كان يعجبه الفأل و يكره الطيرة، و قد كنت أنا الملازم لقراءته على السنن المذكور فى رحلتنا هذه، و كثيرا ما يكون القارئ معى السيد يحجب بن خطر، و إلا- فغيره ممن حضر وفدنا، فإذا أتممنا قرأته طلبة الحجاج الذين معنا على سنن المغاربة المعروف عندهم، و هو أن يقرأوا كل ليلة حزبين، أحدهما بعد صلاة المغرب، و الثانى بعد صلاة الصبح، و يختمون القرآن فى كل خمس جمعات ليلة الإثنين بعد صلاة المغرب. و ما زلنا بحمد الله ملازمين قراءة الحزب على الطريقين الموصوفين فى المصلى المذكور مع إقامة الصلوات الخمس فى أول أوقاتهن بشروطهن على الكيفية المشروعة، و لا تفارق الجماعة المصلى بين العشائين، و لا سيما فيما بين الصبح و صلاة الضحى و لا وقت التدريس، بل فى أكثر الأوقات.

الرحلة المعينية، ص: ۱۱۳

ذكر المصليات التى فى الباخرة و أسماء اسمتها و بعض الأعيان الذين فى الباخرة

الباخرة مصليات سبع من غير هذا المصلى الكبير فى درجاتها الأخرى و عين سيدنا الشيخ مربيه ربه لكل مصلى منها فقيها يكون إماما لمن بدرجته من الحجاج، و أمره بتعليمهم مناسك الحج، و إرشادهم لأمر دينهم، و المعينون المذكورين سبعة:

۱. الفقيه السيد محمد عبد الله بن السيد العربى الزركى الصحراوى المتقدم ذكره.

۲. السيد عبد السلام بن الخضر من أهل القصر الكبير.

۳. السيد العياشى بن حسون من جبالة.

۴. السيد عبد القادر بن عبد السلام الريفى الغمارى.

۵. السيد عبد السلام بن سيد احسين من بنى حمد.

۶. الفقيه السيد محمد بن عبد السلام النّوينى الودراسى، قاضى قبيلته.

۷. السيد على بن الحاج شعيب بن عمر القصرى.

و من جملة الأعيان الذين ركبوا معنا فى الباخرة بقصد الحج، و تحدثنا معهم من القضاة و الكبراء و القواد و أشياخ الطرق زيادة على ما قدّمنا:

قاضى قلعية، السيد عمر بن ناصر.

القاضى السيد محمد بن العوفى ، من قبيلة اولشك

مقدم التيجانية السيد الحسن بن عبد الله الفاسى أصلا، القصرى مقرا.

السيد محمد بن عبد الّ بن الحاج عبد الرحمان القادرى نسبا و طريقة، و هو خليفة أخيه مقدم زاوية أولشك اغبال.

باشا شفشاون وقته الشريف الحسنى السيد اليزيد بن صالح الرزينى الغمّارى.

باشا الناظور سيدى محمد بن الحاج عبد القادر.

وزير الحربية السيد المصطفى خليفة أبيه السيد على قائد الأنجر.

الرحلة المعينية، ص: ۱۱۴

قائد بنى احمد السيد مولاى أحمد بن محمد المصلوحى

قائد العسكر محمد بن احمد الحيحى

القائد محمد بن القائد الزّلالى.

القائد محمد بن احمد بن سلام.

القائد ميمون بن خدّة بن عمر من قلعية

قائد بنى أولشك محمد بن صالح بن المختار

اعمر بن علال، خليفة قائد بنى سدال

الحاج محمد بن زياد، خليفة قائد أمطلس

إدريس بن محمد ناصر خليفة قائد بنى بيحيى

قائد بنى أبى عياش ، سلام بن محمد عمر الحاج حدّ الريفى.

إلى غير ذلك منهم، و هم كثيرون، و الكل بحمد الله يظهر لنا التواضع و الأفضلية، و يلتمس منا البركة و الدعاء الصالح، و لهم أخلاق حسنة و آداب جميلة، ثم جرت الباخرة بنا سالكة البحر الأبيض المتوسط، و هو البحر الحاجز بين أرض إفريقية و أرض أوربا، فلما ارتفع النهار يوم الأحد المذكور، و اجهتنا من جهة اليمين أرض مليلية، ثم لم تزل تظهر لنا البلاد البرية فى ساحل البحر عن يميننا، بعد ذا و اجهتنا أعمال و هران، و بعدها و اجهتنا أرض الجزائر، ثم بعدها ظهرت بلاد تونس فى يومنا الثالث.

الرحلة المعينية، ص: ۱۱۵

مطلب فى ذكر وصولنا لأرض طرابلس و بعض ما جرى لنا فيها

و فى صبيحة يوم الأربعاء الموفى عشرين من ذى القعدة الحرام، و هو يومنا الرابع من سبتة، رست بنا الباخرة بمرسى مدينة طرابلس، فأظهر لنا أهلها الفرح بمقدمنا، و تلقونا بالسفن و الزوارق ليركب من أحب الهبوط إلى المدينة مجانا، فلم يأخذوا أجرة من كل من نزل من الباخرة إلى المدينة، فنزل كثير من الحجاج لأغراضهم، و كل من أتاهم رحبوا به و أظهروا له الإحسان و الإكرام، و أعانوه على قضاء حاجته.

فلما كانت صبيحة الغد يوم الخميس، نزل الشيخ محمد الإمام نائبا عن أخيه الشيخ مربيه ربه، و نزل معه جامعه ما العينين بن العتيق و السيد ما العينين يحجب ابن خطرى، و عندما نزلنا من الزورق بساحل البحر- تلقانا وجوه المدينة و كبراؤها بالترحيب، و قالوا إنهم كانوا فى انتظارنا للسلام علينا و تأكيد عرى المحبة بيننا و بينهم، و سألوا عن سيادة الشيخ مربيه ربه، فأخبرناهم أن أخاه الشيخ محمد الإمام نائب عنه فى ملاقاتهم و تحيتهم، ففرحوا بنا و هنأونا بالسلامة و بقصد حج بيت الله و قالوا لنا: تشرفنا برؤيتكم و سرنا مقدمكم المبارك، و من الذين تلقوا لنا بإزاء المدينة، الشيخ الحاج محمد الزّمرى مأمور النفوس، و عمه الحاج مصطفى، و الأستاذ الشيخ على بن موسى مختار محل حومة غريان، و عمه الشيخ مصطفى بن موسى، و الشيخ مصطفى زكى بادى، و الشيخ محمد بن رمضان، و الشيخ مصطفى الأقدامسى المدرس إمام محلة الدبران، و الشيخ عثمان الوفاتى، [و غيرهم] .

زيارتنا لقبر الصحابى الذى فى طرابلس و تسميته

ثم بعد السلام و الدعاء، التمسنا منهم أن يبعثوا معنا من يدلنا على قبر الصحابى المعروف هناك و على بعض المساجد لنزور و نتبرك بمشاهد الخير، فبعثوا معنا رجلا،

الرحلة المعينية، ص: ۱۱۶

فسار بنا إلى جامع كرج ، و كرج هو مصطفى كرج، اسم الرجل الذى بناه، و قبره فى زاوية منه، و زرناه هناك، و صلينا فى المسجد ما شاء الله من النافلة، و هو مسجد حسن، فى تنظيم بديع، سقوفه قباب، فرشه زرابى تركية، ثم سرنا إلى جامع شائب العين ، و هو أيضا اسم الرجل الذى بنى الجامع، و قبره عنده و زرناه أيضا هناك، و صلينا فى المسجد ما شاء الله، ثم سرنا أيضا إلى جامع الباشا ، و هو أحمد باشا الكرمانى بانيه أيضا، و صلينا فيه و لقينا به رجلا هو القائم بأمره يسمى السيد محمد بن يوسف، عليه و سم خير، فرح بنا، ثم سرنا إلى قبر الصحابى المذكور، و قالوا لنا أن اسمه منيذر بالتصعير، و أنه تواتر عنهم أنه صحابى، و أنه روى عنه حديث واحد عن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، قلت و يشهد لذلك ما فى كتاب «الترغيب و الترهيب» للحافظ زكى الدين المندرى، و نصه: «و عن المنيذر رضى اللّه عنه، صاحب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يقول: من قال إذا أصبح رضيت بالله ربا و بالإسلام دينا و بمحمد نبيا، فأنا الزعيم لأخذنّ بيده حتى أدخله الجنّة». رواه الطبرانى بإسناد حسن». انتهى من لفظه، قالوا: و مما يعضد كونه صحابيا، وجدان هذين البيتين مكتوبين على بعض القبور التى بجواره و هما:

[الكامل]

هى فى جوارك يا منيذر فاحمهاو من المروءة أن يجار الجار

حاشا لفضلك يا حبيب محمّدمن أن تمسّ مجاوريك النّار

فلما وصلنا قبره رضى اللّه عنه، وجدناه، عنده هيبة عظيمة و أنس كبير، فقرأنا عنده

الرحلة المعينية، ص: ۱۱۷

سورة يس و بعض سور المفصل و دعونا الله، ثم سرنا لقبر السيد بهلول فى تلك المقبرة، و هى كبيرة، و هو رجل مشهور بالعلم و الصلاح، فزرناه و استغفرنا له و لجميع من بالمقبرة من أموات المسلمين، و دعونا الله هناك.

اجتماعنا بقاضى طرابلس و جلسائه، و فيهم مؤلف «ملخص الأحكام الشرعية» و مذاكراتنا معهم

ثم انصرفنا راجعين إلى المدينة، فصلينا الظهر بجامع الدرج ، فلما خرجنا مررنا بمحل قاضى القضاة بالمدينة، فتلقى لنا بعض أصحابه، و هشوا و بشوا لنا و أدخلونا فى المحل، و سألونا أن ننتظر مجيء القاضى ليسلم علينا، ففعلنا، فلم نلبث أن جاءنا، و رحب غاية و أكرم مجلسنا و أحضر الطعام الحسن، و أظهر الإكرام و المسرة بمقدمنا و هنأنا بما نحن بصدده من حج بيت الله الحرام، و اسمه الشيخ محمود بن محمد بن برخيص، و كذلك جلساؤه، فكلهم باسطنا و انشرح للقائنا، و كلهم ذو علم و آداب و أخلاق جميلة. و من الأعيان الذين لقينا مع القاضى المذكور، الشيخ أحمد الشارف الحاكم بالمحكمة الشرعية العليا بن على، من قبيلة العمائم ينتهى نسبه إلى العباس بن مرداس من بنى سليم، و يلقب بشاعر ليبيا، و المراد بليبيا طرابلس و سائر قطرها، و تذاكرنا معه و مع القاضى، فوجدنا لهما خبرة كثيرة بعلم الفقه و الأدب و السير و التاريخ و الأشعار و أكثر العلوم، و قبل قيامنا بقليل أنشدهما جامعه ما العينين ابن العتيق، غفر الله لهما هذين البيتين من ارتجاله و هما:

الرحلة المعينية، ص: ۱۱۸

[البسيط]

ذا فحل لبيا و ذا قاضى طرابلساكلاهما لاح فيه الفضل إذ جلسا

من شاء شيخين فى علم و فى أدبذا فحل لبيا و ذا قاضى طرابلسا

فاستحسنت الجماعة البيتين، و ارتاحت لهما، فلما هممنا بالقيام، اعتذر الشاعر المذكور عن جوابهما بديهة، فقلنا إنما هى مباسطة بين الإخوان، و ما قصدنا اقتراح الجواب. و من الأعيان الذين لقينا أيضا فى هذا المجلس، السيد محمد بن عبد القادر بنون المحامى فى المحكمة الشرعية، و الكاتب الأول فى المحكمة الشرعية العليا السيد محمد بن مفتاح محسن، و الشاعر المجيد، الشيخ أحمد بن محمد فقيه حسن ، و السيد البشير بن الحاج حمودة بن حمزة، محامى شرعى و إمام خطيب بجامع سيد احمود ، و مفتش الكتاتيب القرآنية، الشيخ محمد بن عامر ، محامى الشرع من قبيلة بنى غازى، و مؤلف كتاب «ملخص الأحكام الشرعية على المعتمد من مذهب المالكية» .

الرحلة المعينية، ص: ۱۱۹

مطلب فى موضوع «ملخص الأحكام الشرعية» و أنه هو جل اعتماد صاحب الرحلة فى ألفيته فيما يقع بين اثنين و بعض ترجمة تلك الألفية

و كتابه هذا على غزارة علمه و طول يده فى الأحكام، لأنه أتى فيه بما تمس الحاجة إليه من المسائل و الأحكام فى عبارة سهلة، أخذ من الأقوال أصحّها و من العبارات أوضحها، و اختار ما هو الأوفق و الأرفق حسب الزمان و المكان، و راعى الأمانة فى النقل، و قسمه على أربعة أقسام، القسم الأول، فى القضاء الشرعى و متعلقاته، القسم الثانى فى الحقوق العائلية و الأحوال الشخصية، القسم الثالث فى المعاملات و التبرعات، القسم الرابع فى المواريث.

و قد ظفرت بكتابه المذكور أيام اشتغالى بالألفية التى نظمت فيما تدعو إليه الحاجة مما يقع بين اثنين، و لصحته و استيفائه بالمقصود جعلته جلّ معتمدى، و سميتها ب «البغية من ملخص الأحكام الشرعية على المعتمد من مذهب المالكية».

قلت فى ترجمتها:

حمدا لمن فى الخلق مضىو لا مردّ للذى به قضى

سبحانه منه العطاء فضلو الحكم فصل و القضاء عدل

صلى على المبعوث بالفرقانللناس فيه غاية التبيان

و آله الألى رووا من نبعهو لم يميلوا عن سواء شرعه

و بعد فاسمع رجزا غير مخلمن قصر و لا من الطول ممل

فى بعض ما يقع بين اثنينلولد العتيق ما العينين

الرحلة المعينية، ص: ۱۲۰ أحكامه الصحيحة المصادرأكثرها ملخص ابن عامر

و من قوانين الإمام ابن جزىلخصت مما ليس فى التلخيص شى

أقسامه أربعة مجعولفى كلها الأبواب فالفصول

و حيثما نظمت فيه الغنيهلذى الحجا سميته بالبغية

مما تلخص من الأحكاممعتمدا فى مذهب الإمام

و الرشد و التوفيق ارحم الله جلو العون و الاخلاص قولا و عمل

ثم لما من الله تعالى علىّ بإتمام النظم على الكيفية المطلوبة، قلت فى الآخرة من أبياته:

و الحمد لله على تمامما رمت جمعه من الأحكام

فكان إذ تمّ النّظام ألفاو من يرد به اكتفاء أللفى

نرجوه تعالى أن يديم النفع به، و نحمده على ما أعطى من ذلك بمفضله.

ثم تذاكرنا مع ابن عامر، مؤلف الكتاب المذكور، و مع سائر الجماعة المذكورة فى مجلس القاضى فى أكثر الفنون، فوجدناهم لهم

اليد الطولى فى المشاركة فى العلم، فلبثنا معهم نحو ساعتين، و قمنا، فقاموا معنا مشيعين إلى ناحية البلد، فلما هموا بالرجوع طلبوا منا الدعاء الصالح، فدعا الشيخ محمد الإمام و أمّن الجميع لدعائه، فتوادعنا، و انصرف كل لوجهته بخير. فركبنا الزّورق إلى الباخرة و دخلناها وقت

الرحلة المعينية، ص: ۱۲۱

المغرب ليلة الجمعة، فزارنا فيها تلك الليلة من أعيان أهل المدينة السيد أحمد ابن محمد العالم رئيس المحكمة الإسلامية الشرعية العليا، و السيد محمد بن نصر الدين محسن، و هو من كبراء أهل البلدة، فسلما و رحّبا، و قالا لسيدنا الشيخ مربيه ربه:

إن باشا المدينة فرح بمقدمه و مقدم وفده، و أنه كان يريد التلقى لهم فى الباخرة، حتى عاقه مرض أصابه منذ أيام، و أنه يلتمس العذر و يطلب صالح الدعاء، فاشتركنا معهما الدعاء و انصرفا.

صلاتنا للجمعة فى مدينة طرابلس و مذاكرتنا مع بعض علمائها

فلما كان بالغد يوم الجمعة، نزل أكثر الركب إلى المدينة لصلاة الجمعة، و فيهم الشيخ محمد الإمام و جامعه، فصليناها فى جامع الباشا المتقدم ذكره، و التقينا هناك مع سادة علماء أجلاء من أهل المدينة، فتذاكرنا معهم فى بعض الفنون العقلية و النقلية، فإذا هم فى غاية الأدب و المعرفة بالعلوم، فأطلعونا على مكتبتهم، فوجدناها مشتملة على كثير من الكتب المعتبرة، و بالغوا فى إكرامنا و الإحسان علينا، و لهم أخلاق طيبة و آداب جمة و كرم زائد، فمن السادة المذكورين، و إن كانوا كثيرين، الشيخ طاهر بن عبد الرزاق الشريف الإدريسى البشتى ، أحد قضاة البلد، و الأستاذ الشيخ عبد الرحمان بن على القلهوبى، و المدرس فى مدرسة القراءات، الشيخ مصطفى الهونى، و الشيخ طاهر بن أحمد الشريف، المدرس بالمدرسة الأهلية ، و الأستاذ الشاعر أحمد فقيه حسن بن محمد، المتقدم ذكره، و أخبرنا أنه بعث لنا أبياتا يخاطبنا به- وفد الشناجطة- و لعلها لم تصل إلى الباخرة إلا

الرحلة المعينية، ص: ۱۲۲

بعدنا، فأنشدنا إياها.

أبيات بعثها أحمد فقيه حسن لوفدنا الشناجطة و ما أجابه به صاحب الرحلة و مطلعها:

[الطويل]

أحجاج بيت الله بالله بلّغواتحية صبّ للنبىّ محمد

إلى أن قال:

فأنتم بنى شنجيط لا شك سادةبكم يقتدى ربّ الذكاء و يهتدى

طرابلس لا زال يشهد أهلهابفضلكم فى كلّ ناد و مشهد

لقد أخصبت لمّا نزلتم بأرضهاو كيف و ما فيكم سوى كلّ سيّد

فلما سمعها جامعه ما العينين عفا الله عنه، كتب له فى جوابها حالا:

زففت إلينا أحمد بن محمّدمخدّرة من ذهنك المتوقّد

تحمّلنا فيها تحية شيّقلنقراها عند المقام المحمّد

إلى أن قلت:

لقد دلّنا ما أنت مسديه جودةعلى أنّك الحاوى حلى كلّ جيّد

و إنّك خنذيذ البلاد و ندبهاو إنّ العلى تلقى إليك بمقود

الرحلة المعينية، ص: ۱۲۳

إلى آخرها.

فوقع الاستحسان من الجميع و دعونا و توادعنا، فركبنا نحو الباخرة و دخناها وقت المغرب، و قد رأينا فى أهل طرابلس تواضعا عجيبا عموميا، و أخلاقا جميلة لطيفة، و طباعا رقيقة ظريفة و كرما طبيعيا، و سخاء أنفس، و اعتبارا لعامة الحجاج و خاصتهم.

و من أحسن ما فيهم أن نساءهم لا يخرجن إلى الطرقات و لا يتبرّجن، و أحرى الشريفات منهن، و من ألجأها الحال إلى الخروج، فمن قواعدهن لا تراها إلا و هى مستترة غاية. و أحوال صحاريهم و باديتهم فى كسبها و معاشها و أكثر أمورها قريبة من أحوال الشناقطة.

أول من افتتح طرابلس

فائدة: أول من افتتح طرابلس عمرو بن العاص، سنة اثنين و عشرين ۲۲، ثم صارت تابعة لعمال العباسيين. ثم ملكها الأغالبة، ثم العبيديون، و هم دولة الفاطميين، ثم امتكلتها جزيرة صقلية سنة ۵۴۰، ثم دولة الموحدين سنة ۵۵۳، ثم فتحتها الدولة العثمانية سنة ۹۵۰، و استمرت بأيدى المسلمين تحت سيطرة الدولة التركية إلى أن ضعف حالها أوائل هذا القرن الرابع عشر، فاستولت عليها إيطاليا، و هى ألآن تحت حكمهم، و الله المستعان.

قدومنا على بور سعيد من أرض مصر و مسيرنا مع القنال إلى البحر الأحمر و تاريخ حفر القنال

ثم لما كان وقت القيلولة يوم السبت الثالث و العشرين من ذى القعدة الحرام، أقلعت الباخرة بنا من طرابلس فى وجهتها للحرم الشريف بعون الله قاصدة بور سعيد، فلما كانت صبيحة يوم الثلاثاء السادس و العشرين من ذى القعدة، رست بنا الباخرة فى مرسى بور سعيد، و هى مدينة مصرية على مدخل قنال السويس من جهة الشمال، أنشئت سنة ۱۲۷۷ عند الشروع فى حفر القنال فى عهد الخديوى

سعيد ابن محمد على، و هى من أجود الموانئ المصرية، و لها مستقبل كبير، و ربما حلت محل الإسكندرية لكونها أقرب إلى سواحل أوربا.

فلما كان أول وقت العصر من يوم الثلاثاء المذكور، سارت الباخرة بنا آخذة قنال السويس، و هو الخليج المحدث منذ سبعين سنة، قرن بين البحر الأبيض المتوسط و البحر الأحمر، و هو بحر القلزم، و قد لبثت العملة فى اتصال البحرين المذكورين عشر سنين، و ذلك من تاريخ ۱۸۵۸ مسيحية إلى ۱۸۶۹، فتم القنال.

قدوم ولد الخليفة علينا هو و قومه بالباخرة

ثم رست بنا الباخرة وقت انتصاف الليل عند مدينة السويس ليلة الأربعاء، فلما كانت صبيحة يوم الأربعاء طلع علينا فى الباخرة ولى العهد ابن الخليفة المولى الحسن بن المولى المهدى، سمىّ جده المولى المهدى، و معه من كان بمصر من رجال الوحدة المغربية لطلب العلم صحبة كبيرهم الفقيه الشاعر الأديب السيد محمد بن اليمانى ، و معهم راعى بيت المغرب بمصر الأستاذ محمد حبيب أحمد المدرس بكلية أصول الدين و السكرتير لشيخ الجامع الأزهر، ففرح أهل الباخرة بطلوعهم، و أقاموا لهم حفلة حسنة.

و تحادثنا ساعة مع السيد محمد بن اليمانى و راعى بيت المغرب الأستاذ محمد، فوجدنا لكل منهما مشاركة فى العلم و أدبا رائقا و معرفة زائدة، ثم توادعنا معهم، و أقلعت الباخرة بنا متوجهة جدة فى حفظ الله و أمانه وقت العصر من اليوم المذكور.

وصولنا لمقابلة رابغ و إحرامنا

فلما كان من الغد يوم الخميس، أتى رئيس الباخرة سيدنا الشيخ مربيه ربه

الرحلة المعينية، ص: ۱۲۵

و أطلعه على سطح الباخرة، و أراه جهة رابغ، و هو الذى يلزم المار به من الحجاج الإحرام عنده، و قال له: سنعلم الحجاج قبل وصوله الليلة بثلاث ساعات ليتهيأ الناس للإحرام بالاغتسال و لبس ثياب الإحرام، فلما كان بعد العشاء ليلة الجمعة صوّتت الباخرة صوتا شديدا ثلاث مرات، كما وعد رئيس الباخرة سيدنا الشيخ إعلاما بقرب رابغ، فاشتغل الحجاج بالاستعداد للإحرام، فما تمت الساعات الثلاث حتى فرغوا من شأنهم، فلما وصلت الباخرة مقابلة رابغ عند انتصاف الليل، صوتت أيضا إعلاما بوصوله، فأحرمنا وقت انتصاف ليلة الجمعة التاسعة و العشرين من ذى القعدة و أعلنا بالتلبية لعلام الغيوب، و سألناه تعالى غفران الذنوب، و أنشدنا جامعه حين تجردنا من لبس المخيط بصدق النيات و وصلنا رابغا محل الميقات.

[الطويل]

تجرّدت لما وصلت لرابغو لبّيت للمولى كما حصل النّدا

و قلت إلهى عندك الفوز بالغنىو إنّى فقير قد أتيت مجرّدا

مطلب فى كوننا أهللنا بالعمرة، و حديث جابر الدال على فضلية ذلك

و أهللنا بالعمرة لما ورد عنه صلى اللّه عليه و سلم فى حجة الوداع من الحث على التمتع بالعمرة إلى الحج. و يكفى من ذلك حديث جابر الذى حدث به عنه صلى اللّه عليه و سلم، و قد أورده مسلم فى صحيحه، فقال ما نصه: «حدثنا أبو بكر ابن أبى شيبة و إسحاق بن ابراهيم جميعا عن حاتم قال أبو بكر، قال حاتم بن اسماعيل المدنى عن جعفر بن محمد عن أبيه، قال: دخلنا على جابر بن عبد الله، فسأل عن القوم، حتى انتهى إلىّ فقلت: أنا محمد بن على بن حسين، فاهوى بيده إلى رأسى، فنزع زرّى

الرحلة المعينية، ص: ۱۲۶

الأعلى، ثم الأسفل، ثم وضع كفه بين تديى و أنا يومئذ غلام شاب، و قال: مرحبا بك يا ابن أخى، سل عما شئت، و سألته و هو أعمى، و حضر وقت الصلاة، فقام فى نساجة ملتحفا بها، كلما وضعها على منكبيه رجع طرفاها إليه من صغرها، و رداؤه إلى جنبه على المشجب، فصلى بنا، فقلت: أخبرنى عن حجة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم؟

فقال بيده، فعقد تسعا فقال: إن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم مكث تسع سنين لم يحج، ثم أذّن فى الناس فى العاشرة أن رسول الله صلى عليه و سلم حاجّ، فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس أن يأتمّ برسول الله صلى اللّه عليه و سلم و يعمل مثل عمله، فخرجنا معه حتى أتينا ذا الحليفة، فولدت أسماء بنت عميس محمد بن أبى بكر، فأرسلت إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، كيف أصنع؟ قال اغتسلى و استثفرى بثوب و أحرمى. فصلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى المسجد، ثم ركب القصواء حتى إذا استوت به ناقته على البيداء، نظرت إلى مدّ بصرى بين يديه من راكب و ماش، و عن يمينه مثل ذلك و عن يساره مثل ذلك و من خلفه مثل ذلك، و رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بين أظهرنا، و عليه ينزل القرآن، و هو يعرف تأويله، و ما عمل به من شىء عملنا به، فأهلّ بالتوحيد:» لبّيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد و النعمة لك و الملك، لا شريك لك لبيك، و أهلّ الناس بهذا الذى يهلّون به، فلم يردّ رسول الله صلى اللّه عليه و سلم عليهم شيئا منه، و لزم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم تلبيته، قال جابر: لسنا ننوى إلا الحج، لسنا عرف العمرة، حتى أتينا البيت معه استلم الركن، فرمل ثلاثا و مشى أربعا، ثم نفذ إلى مقام إبراهيم، فقرأ: و اتخذوا من مقام إبراهيم مصلى، فجعل المقام بينه و بين البيت، فكان أبى يقول:- و لا أعلمه ذكره إلا عن النبى صلى اللّه عليه و سلم- كان يقرأ فى الركعتين: «قُلْ هُوَ اللَّهُ

الرحلة المعينية، ص: ۱۲۷

أَحَدٌ» و «قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ»، ثم رجع إلى الركن فاستلمه، ثم خرج من الباب إلى الصفا، فلما دنا من الصفا قرأ: «إِنَّ الصَّفا وَ الْمَرْوَةَ

مِنْ شَعائِرِ اللَّهِ»، ابداء بما بدأ به الله، فبدأ بالصفا، فرقى حتى رأى البيت، فاستقبل القبلة فوحد الله و كبّره. و قال:

لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك و له الحمد و هو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده و نصر عبده، و هزم الأحزاب وحده، ثم دعا بين ذلك، قال مثل هذا ثلاث مرات، ثم نزل إلى المروة حتى انصبت قدماه فى بطن الوادى، حتى إذا صعدتا، مشى حتى أتى المروة، ففعل على المروة كما فعل على الصفا حتى إذ كان آخر طوافه على المروة قال لو أنى استقبلت من أمر ما استدبرت لم أسق الهدى، و جعلتها عمرة، فمن كان منكم ليس معه هدى فليحل و ليجعلها عمرة، فقام سراقة بن مالك بن جعشم فقال: يا رسول الله ألعامنا هذا أم لا بدّ؟، فشبك رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أصابعه واحدة فى الأخرى، و قال دخلت العمرة فى الحج مرتين لا، بل لأبد أبد، و قدم علىّ من اليمن ببدن النبى صلى اللّه عليه و سلم، فوجد فاطمة ممن حلّ، و لبست ثيابا صبيغا، و اكتحلت، فأنكر ذلك عليها، فقالت: إن أبى أمرنى بهذا، قال: فكان علىّ يقول بالقران ، فذهبت إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم محرشا على فاطمة للذى صنعت، مستفتيا لرسول الله فيما ذكرت عنه، فأخبرته أنى أنكرت ذلك عليها، فقال: صدقت صدقت، ماذا قلت حين فرضت الحج؟ قال: قلت اللهم إنّى أهلّ بما أهلّ به رسولك، قال: فإن معى الهدى، فلا تحل، قال: و كان جماعة الهدى الذى قدم به على من اليمن و الذى أتى به النبى صلى اللّه عليه و سلم مائة، قال: فحلّ الناس كلّهم و قصروا إلا النبى صلى اللّه عليه و سلم و من كان معه هدى، فلما كان يوم التروية توجهوا إلى منى فأهلوا بالحج، و ركب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فصلى بها الظهر و العصر و المغرب و العشاء و الفجر، ثم مكث قليلا حتى طلعت الشمس، و أمر بقبّة من شعر تضرب له بنمرة ، فسار رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و لا تشك قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام

الرحلة المعينية، ص: ۱۲۸

كما كانت قريش تصنع فى الجاهلية، فأجاز رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حتى أتى عرفة فوجد القبة قد ضربت له بنمرة، فنزل بها حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء، فرحلت له، فأتى بطن الوادى، فخطب النّاس و قال: «إن دماءكم و أموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمى موضوع و دماء الجاهلية موضوعة و إن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث، كان مسترضعا فى بنى سعد فقتلته هذيل، و ربى الجاهلية موضوع، و أول ربى أضع ربانا ربى عباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله، فاتقوا الله فى النساء فإنكم أخذتموهنّ بأمانة الله و استحللتم فروجهنّ بكلمة، و لكم عليهنّ أن لا يطئن فرشكم أحدا تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهنّ ضربا غير مبرح، و لهن عليكم زرقهّن و كسوتهن بالمعروف. و قد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به، كتاب الله، و أنتم تسألون عنّى، فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنّك قد بلّغت و أدّيت و نصحت، فقال بأصبعه السّبابة يرفعها إلى السماء و ينكتها إلى الناس: اللهم أشهد، اللهمّ اشهد، ثلاث مرات، ثم أذّن ثم أقام، فصلى الظهر، ثم أقام فصلى العصر، و لم يصلّ بينهما شيئا، ثم ركب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حتى أتى الموقف فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات، و جعل جل المشاة بين يديه و استقبل القبلة، فلم يزل واقفا حتى غربت الشمس، و ذهبت الصّفرة قليلا حتى غاب القرص، و أردف أسامة خلفه، و دفع رسول الله صلى الله عليهم و سلم، و قد شنّف للقصواء الزّمام حتى إن رأسها ليصيب مورك رحله، و يقول بيده اليمنى: أيها الناس السّكينة السّكينة، كلما أتى جبلا من الجبال أرخى لها قليلا حتى تصعد، حتى أتى المزدلفة، فصلى بها المغرب و العشاء بآذان واحد و إقامتين، و لم يسبّح بينهما شيئا، ثم اضطجع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حتى طلع الفجر، فصلى الفجر حين تبيّن له الصّبح بأذان و إقامة، ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام، فاستقبل القبلة، فدعاه و كبّر و هلّله و وحّده. و لم يزل واقفا حتى أسفر جدا فدفع قبل أن تطلع الشمس، و أردف الفضل بن عباس، و كان رجلا حسن الشعر، أبيض و سيما، فلما دفع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم مرّت به ظعن يجرين فطفق الفضل ينظر إليهنّ، فوضع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يده على وجه الفضل، فحوّل الفضل وجهه إلى الشّق الآخر ينظر، فحول رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يده من

الرحلة المعينية، ص: ۱۲۹

الشق الآخر على وجه الفضل يصرف وجهه من الشّقّ الآخر ينظر حتى بطن محشر، فحرك قليلا، ثم سلك الطريق الوسطى التى تخرج على الجمرة الكبرى، حتى أتى الجمرة التى عند الشجرة فرماها بسبع حصيات يكبّر مع كلّ حصاة منها مثل حصى الخزف، و هى من بطن الوادى، ثم انصرف إلى المنحر فنحر ثلاثا و ستين بيده، ثم أعطى عليا، فنحر ما غير، و أشركه فى هديه، ثم أمر من كلّ بدنة ببضعة، فجعلت فى قدر فطبخت، فأكلا من لحمها و شربا من مرقها، ثم ركب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فأفاض إلى البيت فصلى بمكة الظهر، فأتى بنى عبد المطلب يسقون على زمزم فقال:

انزعوا بنى عبد المطلب، فلو لا أن يغلبكم الناس على سقايتكم، لنزعت معكم، فناولوه دلوا فشرب منه ». و سقنا الحديث بطوله لما اشتمل عليه من العلم.

مقدمنا لجدة و بعض من لقينا فيها

ثم لما كان وقت الضحى من يوم الجمعة المذكور رست الباخرة بنا عند جدة، و هى ثغر الحجاز على البحر الأحمر، فاشتغل الناس بالنزول إليها، و نزلنا وقت العصر من اليوم المذكور، و كان نزولنا عند الشيخ صالح بنأجمجوم، و هو رجل ذو كرم و أخلاق حسنة و اعتناء بالحجاج و لا سيما بالوارد منهم من قطر شنقيط، و عليه سيم الخير، فرحّب بنا و أكرنا فلما كان وقت العشاء ليلة السبت الأخيرة من ذى القعدة، دعانا ولد المطوّف الذى عيناه [للصحبة أيام الحج] ، و اسم المطوف الشيخ عبد الله الكردى، و كان رجلا له مشاركة فى العلم و أدب كبير، و كرم شهير، و اسم ولده الذى دعانا أحمد ، و كان شابا ظريفا أديبا. و من عادة أهل الحرم أن المطوف أو نائبه يتلقّى لفرقته من الحجاج بجدة، و يتولى شؤونهم، و هم يدفعون له ما ينوبهم من لوازم تلك البلاد، فسرنا مع ولد المطوف المذكور لداره فى جدة، فأحسن علينا و بالغ فى

الرحلة المعينية، ص: ۱۳۰

إكرامنا. و أقمنا بجدة يوم السبت، و دعانا فى هذا اليوم، الفقيه الشريف السيد عبد العزيز بن أبى القاسم الدباغ المتقدم ذكره، أنه ممن زارنا بتطوان إلى داره بجدة، فسار إليه الشيخ محمد الإمام و جامعه و بعض وفدنا، فوجدنا عنده الشريف الأديب السيد محمد الباقر بن شيخ التربية العلامة الشهير سيد محمد بن الشيخ الكبير الكتانى، و معه بعض الأعيان من فاس و غيرهم، منهم مولاى عبد السلام بن مولاى حماد الإدريسى الزرهونى، و سيد محمد بن عبد الحفيظ الكتانى، فبالغ فى إكرامنا، و لم يقصّر فى إعظامنا، و كان مجلسنا عنده مجلس سكينة و وقار، تناشدنا فيه ما يناسب الحال من الأشعار، و تذاكرنا فيه المذاكرة العلمية و تعاطينا فيه كؤوس المعارف الفهمية، و كلّ منا هنأ أصحابه بالوصول، و رجونا منه تعالى الحج المقبول.

ثم لما كان بعد العشاء ليلة الأحد افتتاح ذى الحجة الحرام، ركبنا فى السيارة بقصد مكة المشرفة، فلم نبعد، و بتنا فى بعض المحلات دونها، و ركبنا بعد صلاة الصبح وقت الإسفار، فأتينا بئر ذى طوى بعد طلوع الشمس، فاغتسلنا منها غسلا خفيفا كما هو سنة المحرم لدخول مكة، نرجو به منه تعالى تخليصنا من أسر الذنوب و فكه.

دخولنا مكة المشرفة

ثم سرنا من ذى طوى على الأقدام لندخل مكة من حيث كان يدخلها عليه السلام: فسلكنا طريقة الثنية العليا، و هى المسماة بكداء، بالفتح، و منها يتشرف على مقبرة مكة المسماة بالحجون، و هى إحدى المقابر التى تضىء لأهل السماء، كما تضىء الكواكب لأهل الأرض، كما ورد فى الأحاديث، فدخلنا مكة المشرفة بمسرات و أفراح، لم تغادر فى الحشا أثر أحزان و أتراح، ضحى يوم الأحد فاتح ذى القعدة الحرام، و اثقين منه تعالى نيل كل مرام، فقصدنا المسجد الشريف الحرام، و دخلناه بحمد الله من باب بنى شيبة من باب السلام، فشاهدنا البيت العتيق، و قد تدلت أستاره، و أشرقت أضواء منظره و أنواره، فلما ابتهجت بشهوده و قرت أبصارنا، و انشرحت

بمشهده صدورنا و أسرارنا، قطعنا ما كنا فيه من التلبية، و قرأناه الوارد

الرحلة المعينية، ص: ۱۳۱

الممكن من الأدعية، و بادرنا وسط الزحام الحجر الأسعد، و قد اضطرب القلب هيبته و ارتعد، فقبلنا يمين الله فى أرضه، و الشاهد لمن قبله يوم عرضه إلى سيد الأحجار فى الحرم الذى قضى الخالق البارى بتعظيم شأنه:

[الطويل]

حثثنا مطايا الشّوق و الشوق فى الفلافجاءت بنا إنسان عين زمانه

فطفنا ببيت الله بحمده سبعا على الصفة المأمور بها شرعا، و صلينا خلف المقام ركعتى الطّواف، متحققين بفضله تعالى إلا من كل ما يخاف، وعدنا للبيت فوقنا بالملتزم، ثم تضلعنا بحمد الله من ماء زمزم، ثم خرجنا للسعى من باب الصفا، كما كان يفعل معدن الصفا، و بدأنا بما بدأ به الله، «إِنَّ الصَّفا وَ الْمَرْوَةَ مِنْ شَعائِرِ اللَّهِ» ، فارتقينا على الصفا و وقفنا، و باستقبال الكعبة الشريفة تشرفنا، فهللنا ما شاء الله و كبرنا، و من الأدعية المأثورة بقدر ما أمكننا أكثرنا، فسعينا سبعا بين الصفا و المروة، متمسكين من السنة بأوثق عروة، فحلقنا على الإتمام، و نزعنا بالإحلال لباس الإحرام.

ثم رجعنا إلى المسجد الحرام، شاكرين الله على ما منّ من الإنعام، ببلوغ المقاصد و المرام فى مشاهدة ذلك المقام، فلم نزل به حتى اجتمع وفدنا، فدعانا المطوف الشيخ عبد اللطيف الكردى المتقدم ذكره إلى داره، و هى قريبة من المسجد، فأكرمنا و أحسن علينا، و كنا تركنا أثاثنا بداره.

الرحلة المعينية، ص: ۱۳۲

بعض التعريف بالشيخ أحمد بن الشمس الذى نزلنا عند مريده بمكة

فلما كانت عشية يومنا أتانا الفقيه السالك بن امبيريك، مريد سيدنا الشيخ مربيه ربه، و معه محمد إبراهيم مريد شيخنا الشيخ سعد أبيه بن شيخنا الشيخ محمد فاضل بن مامين، و كانا مجاورين فى الحرم الشريف، و قالا إنهما أرسلهما الحكيم السيد أعزاز الدين الهندى لسيدنا الشيخ و وفده، يستدعيهم للنزول بداره، فحملنا أثاثنا إلى داره، و نزلنا عنده، فرحب بنا و أحسن مثوانا، و هو من موارد الشيخ أحمد بن الشمس، مريد شيخنا الشيخ ماء العينين، الذى صدره بعدما صحبه نحو

الرحلة المعينية، ص: ۱۳۳

ثلاثين عاما، و ظهر عليه من الفتح و البركة و التسخير ما لا يوصف، و أمره شهير، صدره شيخنا أولا لقبيلة إدو الحاج بأرض شنجيط، ثم رجع لشيخنا، فأرسله خليفة لزاويته فى فاس، فكان له بها شأن عظيم، انقادت له علماء فاس و سلموا له فى العلم الظاهر و الباطن، و كثرت اتباع شيخنا مع ما كان لهم من الكثرة بواسطته فى تلك النواحى، و جعله شيخنا واسطة فى أكثر الشؤون بينه و بين سلطان المغرب، فكانت له مكانة عند السلطان و القواد و سائر الدولة كبيرة، و هو ذو أشواق و أذواق و جذب عظيم، مع اتساعه فى سائر العلوم، و شدة تعلقه بشيخنا، و سلبه إرادته فى إرادته. و له تآليف كثيرة فى أكثر الفنون، و جلّ تآليفه فى أخبار شيخنا و كراماته و بث فضائله و فوائده، و هو مظهر من مظاهر شيخنا العظام، أودع فيه ما استوجب به غاية الإجلال و الإعظام، ثم انتقل بعد وفاة شيخنا رضى اللّه عنه إلى الحرمين، فحج مرارا، و ظهر فيهما ظهورا لا يوصف، و كثرت أتباعه، و خضعت له جبابرة الملوك، و تتلمذت عليه أهل الجذب و السلوك، و له كرامات كثيرة، و أموره فى خرق العادات شهيرة، و لم يزل بالمدينة المنورة مجاورا خير الأولين و الآخرين حتى توفى بها رحمه الله، و دفن بالبقيع، و قبره هناك شهير يزار و تقضى عنده الحاجات. و قد اختصرنا غاية ترجمته لأنا لو تتبعناها لاحتجنا إلى طول كثير، و قد ظهرت بركته على مريده إعزاز الدين المذكور، و انتفع به باطنه و ظاهره، و استقام به حاله، فعاملنا معاملة التلاميذ الخالصين لأشياخهم، من تواضع و التماس بركة، و امتثال أمر، و بذل ال إلى غير ذلك، جزاه لله خيرا. فلم نزل بحمد الله تعالى

ملازمين المسجد الحرام فى أكثر أوقاتنا ليلا و نهارا، لإقامة الصلوات به و لإدمان الطواف، و لم نتفرغ لغير ذلك من زيارة مشاهد الخير التى ينبغى للحاج زيارتها بمكة لقلة الإقامة بها، فاغتنمنا الاشتغال بها بما هو أفضل و آكد، من ملازمة البيت الحرام، فلم نفارقه- بحمد الله- إلا فى أوقات الضروريات التى لا بد منها، و إلا إذا ستدعانا أحد الأحبة الأعيان لمحله، لما فى ذلك من جبر الخاطر و إجابة الدواعى المأمور بهما.

الرحلة المعينية، ص: ۱۳۴

بعض الأعيان الذين اجتمعنا بهم بمكة من الشناجطة و غيرهم، و اجتماعنا بسادن الكعبة و دخولنا لها

و ممن ندبنا لمحله، و تعاهد زيارتنا، و أظهر لنا المحبة الكاملة و الخصوصية الزائدة عند قدومنا لمكة المشرفة، الأستاذ العلامة عمر بن حمدان المحرسى، المدرس فى الحرمين الشريفين، فأتاه سيادة الشيخ و جميع وفده، و صادفنا بداره كثيرا من الكبراء و العلماء و الرؤساء من أهل مكة و مصر و العراق و الشام، و غير ذلك من الحجاج، فاحتفل بالجميع احتفالا كبيرا، و قدم من الأطعمة الحسنة و الأشربة المستحسنة، و بسط من الفرش المنمقة و النمارق المصفوفة و الزرابى المبثوثة ما ينبئ عن كرمه و سخائه و فضله، مع كمال البسط و الإكرام و المبرة و الإنعام، و وقعت فى المجلس محاضرات أدبية و مذاكرات علمية آلت إلى إنشاد أشعار مستظرفة و إنشاد أبيات مستملحة فيما يقتضيه الحال، بعضها أنشأه جامعه ما العينين بن العتيق، عفا الله عنه، و بعضها أنشأه الشيخ محمد الإمام، و منها ما أنشأه بعض أولئك الحاضرين، ثم كتبت جل أسماء الأدباء و العلماء الحاضرين، و كتبت أشعار المحاضرة فذهبت علىّ أيامنا فى منى لمرض أصابنى هناك، هى و جلّ التقاييد التى فيها أسماء الأعيان الذين اجتمعنا بهم فى مكة المشرفة، و فيها كثير من صفة أحوالنا و أيامنا بها، مع أنى لم أتفرغ لكتب كثير من ذلك للشغل عنه بما هو أولى بى منه، فلذلك لم أذكر من تلك الشؤون فى هذه الرحلة إلا القليل.

و الشيخ عمر هذا المذكور هو المرجوع إليه فى المذهب المالكى بمكة و المدينة وقته، و هو المدرس فيهما، و عادته أن يقيم فى كل واحدة من البلدتين الطاهرتين ستة أشهر للتدريس بها، ثم يتوجه إلى الأخرى، فهو شيخ المالكية هناك. و أما شيخ المذهب الحنفى بمكة المشرفة وقته، فيسمى الشيخ محمد المرزوقى أبو حسين، و شيخ المذهب الشافعى بها، الشيخ أحمد ناضرين، و قاضى القضاة بمكة المشرفة الساعة يسمى الشيخ عبد الله بن حسن النجدى، من آل الشيخ، و أولئك يقلدون فى كثير من أحكامهم الإمام أحمد بن حنبل، و القاضى بمكة فى المحكمة الكبرى، محمد القارى الحنفى، و تحته فى القضاء القاضى محمد فود المصرى المالكى.

الرحلة المعينية، ص: ۱۳۵

و الإمام بالمسجد الحرام، عبد الله، و يعرف بكنيته، أبا السّمح، و هو مصرى و له مشاركة فى العلم، و إتقان و تجويد حسن لكتاب الله العظيم، و كان جهير الصوت، يسمع وقت جهره فى الصلاة أكثر الناس، و له قراءة حسنة.

و ممن ندبنا لمحله أيضا من أهل مكة المشرفة، الشيخ الحسين بن قاضى المستعجلة، عبد الغنى، بحضرة الشيخ و سائر الوفد، فبالغ فى إكرامنا، و كان رجلا ظريفا أديبا، له محبة زائدة فى جانبنا لمصاحبته الشيخ محمد حبيب الله الجكنى ابن الشيخ سيد عبد الله بن مايابى، و تعلمه منه، فأورثه ذلك شدة الحب لنا، و القرب لجانبنا، لأن الشيخ محمد حبيب الله من مواريد شيخنا الشيخ ماء العينين، و آباء المذكور من مواريد والده شيخنا الشيخ محمد فاضل بن مامين، و قد صدره شيخنا الشيخ محمد فاضل، و ظهرت عليه بركات كثيرة، و كان له صيت كبير و انتفع به كثير من الناس، و كان علامة مشهورا فى بلده، و له أولاد كلهم علماء أجلاء، منهم الشيخ محمد حبيب الله المذكور، و منهم و هو أجلهم و أعلمهم و أورعهم، العابد الناسك، الواصل الجامع، الشيخ محمد العاقب مريد شيخنا الشيخ ماء العينين و قد صدره، و ظهر عليه من الفتح و الاستقامة و الكمالات ظاهرا و باطنا ما لا يوصف، و تآليفه فى كل فن كثيرة، و منهم العلامة المشارك، صاحب التآليف العديدة، الشيخ محمد

الرحلة المعينية، ص: ۱۳۶

الخضر ، المتوفى بالمدينة المنورة رحمه الله، إلى غير ذلك منهم، جزوا خيرا.

و ممن ندينا أيضا بمكة المشرفة، الأديب الظريف، الشيخ عدنان بن عمر الكتبى، فحضرنا جميعا عنده، و بالغ فى إكرامنا، و كان رجلا كيسا، له آداب زائدة و معرفة كبيرة بمكارم الأخلاق، و الإحسان و الفتوة جزى خيرا.

و من الأعيان و الرؤساء الذين أتونا زائرين بمكة المشرفة للتبرك بالشيخ و وفده، و اجتمعنا بهم و تذاكرنا مع بعضهم، و استمد بعضهم من سيادة الشيخ، الأمير شكيب أرسلان ، و هو شهير فى تلك الناحية، بالعلم و البراعة، و هو من كبار كتاب العالم، و له خبرة كبيرة بعلوم التاريخ، و من تآليفه: «الحلل السندسية فى الأخبار و الآثار الأندلسية» و منتخب بديع لتاريخ ابن خلدون يشتمل على ما علق به على غوامض أبحاثه، الشيخ محمد خليل بن عبد القادر اطيبة، الشيخ جعفر بن صالح الكثيرى من أرض حضر موت، الشيخ محمد بن أمير جان بن غلام جان بن أمير الله، من الأفغان، و ناصر السنة الشيخ مصطفى المحامى المصرى مدرس

الرحلة المعينية، ص: ۱۳۷

و خطيب فى مقام السيدة زينب، الشيخ محمد زباره ، أمير من أمراء اليمن، السيد عبد القيوم ولد سبائبة حيدراباد، من السند، خلف الله الصالح، من سودان مصر، أبو العزم الشيخ محمد المصطفى، مدرس بجمعية المحافظة طنطا، [الشيخ أحمد التبرى الفاسى الإدريسى بن أبى بكر، المجاور بمكة الشرفة] ، السيد الشيخ عبد الله بن عباس الكتبى، الشاعر بباب السلام، الشيخ محمد أمين الكتبى، بمدرسة الغلام و المسجد الحرام، و قد أنشد هذه الأبيات فى مدح سيادة الشيخ وقت مجيئه زائرا:

[الطويل]

هنيئا لنا هذا مربّيه ربّهفلا تعذ لانى إننى أنا صبّه

خليلىّ هذا ربعه و مطافهوقوفا قليلا بى فإنى أحبه

فإن تسألا عن مذهبى فهو حبّهو إن تنشدا عن مطلبى فهو قربه

تحدّر من أصل شريف إذا بدتعناوينه فى الأفق تخجل شهبه

ولىّ تقىّ ليس يشقى جليسهو ينبوع علم ليس تظمأ صحبه

الرحلة المعينية، ص: ۱۳۸

و هذا ما حضرنى الآن من الأعيان الذين أتونا زائرين، و أما من اجتمعنا به منهم فى المسجد الحرام و أيام الحج، فأكثر من أن يحص، و لو تتبعنا بعضهم لطال بنا.

و أما أهل بلادنا الشناجطة، فقد اجتمعنا بكثير منهم، مجاورين فى أرض الحرم، فمن الذين لقينا بمكة المشرفة.

من الجكنيين :

أحمد فال، و بدّ، و أمين بن عثمان، و أحمد بن الخراش، و محمد الأمين بن عبد الله.

و من العلويين :

محمد عبد الفتاح، و الشيخ محمد الأمين، و محمد محمود بن المامون.

و من المسوميين :

الشيخ بن باب، و الحاج بن محق، و محمد محمود بن عبد الودود.

و من الحسنيين :

محمد حبيب الله اليوسفى، و محمد حبيب الله إدّا و كشلّوى.

و من آل بارك الله :

الشيخ ابن سيد الأمين، و دامانى اسمه، عبد الله العتيق.

الرحلة المعينية، ص: ۱۳۹

و من الإبييريين

حمود بن السيد بن المختار بن هيب، و أحمد بن الدّاه، و محمد ماء العينين.

و من التندغيين :

محمد المصطفى.

و من تنواجيو ، محمد بن الشيخ.

و لقينا من قبيلتنا، آل الطالب مختار ، الأديب الناسك الفاضل، السيد محمد فاضل بن العلامة الولى سيد هيب، قدم حاجا من جهة أدرار، قريبا من شنجيط، و كان من خيار أبناء عمنا الساكنين هناك، و معه رفقة، أحمد سالك بن محمد بن عابدين بن بيروك، من قبيلة آيت موسى بن على الساكنين بأدرار، و النّات، و بها يعرف من قبيلة إداولحاج و ثلاثة من قبيلة أولاد أبى السباع ، محمد الأمين ولد بن يحيى، و محمد سالم بن غيلان، و أحمد بن السّبعى، و السيد المصطفى بن عبد الله بن أوفى، و هو الطبيب الصالح الشهير فى أرضه.

و بالجملة فقد التقينا مع كثير من الإخوان، أهل العلم و الصلاح من سائر الأقطار، و تذاكرنا معهم فيما يقتضيه الحال، لكن جل ذلك إنما يقع فى المسجد الحرام، و لا يخفى أن أهل المسجد- لا سيما، من الحجاج كلهم مقبل على شأنه، من صلاة

الرحلة المعينية، ص: ۱۴۰

و طواف و تلاوة و أذكار، و نحو ذلك، فقليلا ما يجدون فسحة من أنفسهم لغير ذلك.

و ممن اجتمعنا بهم من أهل مكة المشرفة، رئيس السدنة الحالى الشيخ محمد ابن محمد صالح بن أحمد بن محمد زين العابدين الشيبى، المتولى رئاسة السدنة فى اليوم الحادى عشر من شهر رمضان سنة ۱۳۵۱، و هو من الأشيبة بن عثمان بن أبى طلحة الحجبى الثابت نسبهم، المعروفون أنهم سدنة الكعبة المعظمة، جاهلية و إسلاما، من عهد عبد الدار بن قصى، إلى عهد شيبة بن عثمان إلى هذا العصر، و بيتهم من أشراف بيوت قريش، و وظيفتهم من أعظم الوظائف الإسلامية، و لا يزال وجودهم من معجزات رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، لقوله: «خذوها يا بنى أبى طلحة خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم» . فبقاء آل شيبة، و خلود سدانة الكعبة المعظمة بأيديهم، مع تبادل الولاة و الحكام، و طول الزمان، من عهد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى الآن، لا شك و لا مريّة أن ذلك من أعظم معجزات رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فإن الله تعالى حفظ هذه العائلة الكريمة كما حفظ بيته الحرام من تعدّ المعتدين، و سيحفظهما بمشيئته تعالى إلى يوم القيامة.

و كان رئيس السدنة الشيخ محمد المذكور صاحب آداب و سكينة و وقار و أخلاق حسنة، و قد التقى مع سيادة الشيخ مربيه ربه، فى حجته فى العام الماضى، و أظهر له الخصوصية، و التمس منه البركة و كذلك فعل معه فى مقدمنا هذا، و مع سائر وفدنا و كان يفتح الكعبة فى يوم معين أو يومين فى كل جمعة، فتدخلها الناس للتبرك و التيامن و امتثال السنة، و كان إذا فتحها، و رأى أحدا من وفدنا، يقدمه على غيره فى الدخول، و يظهر له الاعتناء، و لا يقبل أن يأخذ منه شيئا، كما يأخذه من الداخلين غيرنا على حسب مراتبهم، و قد صادفتها يوم فتحها بعد ما كنت أطوف و سادنها المذكور عند بابها جالس على سلم منصوب هناك يرقى معه إلى الباب، لأن الباب مرتفع على الأرض نحو أربعة أذرع، و رأيت سيدنا الشيخ مربيه ربه داخل الباب جالسا، و بإزائه أخوه الشيخ محمد الإمام، فأشار إلى سيدنا الشيخ أن اصعد، و نبّه

الرحلة المعينية، ص: ۱۴۱

السادن علىّ، فأشار إلى الناس و هم مزدحمون، ففرّجوا لى، فطلعت، و قد داخلنى من الذّلة و الخضوع و الانكسار، و علانى من

الخجل و الدهش و الوجل، لجلالة ذلك المشهد و مهابته ما الله مطلع عليه، فلما دخلت الباب، أخذ سيدنا الشيخ أعزه الله يدى لما رأى من حيرتى، و أرانى المكان الذى صلى فيه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و كان السادن أراه إياه، فصلى فيه قبل دخولى، و جلس أعزه الله ينتظرنى، فصلّيت فيه ركعتين و لم يعد طرفى قدمى إعظاما و إجلالا لبيته تعالى، و جعلت الباب خلفى قدر ثلاثة أذرع من المحل الذى صليت فيه و لم آل جهدا فى الدعاء، نرجوه تعالى أن يتقبل أعمالنا، و يحقق آمالنا، ثم خرجت بما أنا فيه من حرمته و إجلاله.

و كذلك أخبرنى الشيخ محمد الإمام أنه وقع له، فلم يقدر أن ينظر غير محل سجوده. و نحمده تعالى على توفيقه إيانا للسّنّة. روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: عجبا للمرء المسلم، إذا دخل البيت كيف يرفع رأسه ببصره قبل السقف، ليدع ذلك إجلالا لله تعالى و إعظاما، دخل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم الكعبة، فما خلف نظره موضع سجوده، حتى خرج منها صلى اللّه عليه و سلم.

مطلب فى كون دخول الكعبة و الصلاة فيها من سنته صلى اللّه عليه و سلم

و دخول الكعبة المعظمة، و الصلاة فيها من فضائل الأعمال و السنن المستحبة لأنها من فعل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فقد دخلها صلى اللّه عليه و سلم، و صلى فيها، و دخلها أجلاء أصحابه صلى اللّه عليه و سلم، و صلوا فيها، كما دلت السنة الصحيحة على ذلك، فقد روى الإمام البخارى فى صحيحه أحاديث صحيحة فى دخول النبى صلى اللّه عليه و سلم الكعبة، و أنه صلى فيها، و ذكر التقى الفاسى أسماء الصحابة الذين روى عنهم صلاة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى الكعبة، و هم بلال، و جابر بن عبد الله، و شيبة بن عثمان الحجبى، و عبد الله بن الزبير، و عبد الله بن عباس على ما قيل، و عبد الله بن عمر بن الخطاب، و أبو هريرة، و عائشة، و عبد الرحمان بن صفوان القرشى، و عثمان بن طلحة الحجبى، و عمر بن الخطاب رضى الله عنهم، ثم ذكر أسماء الذين نفوها، و هم أسامة، على المعروف عنه، و الفضل بن عباس، و أخوه عبد الله بن عباس، على ما صح عنه، ثم

الرحلة المعينية، ص: ۱۴۲

قال، و إنما يؤخذ بشهادة المثبت لا بشهادة النافى. و قال النووى «أجمع أهل الحديث على الأخذ برواية بلال لأنه مثبت جمعه زيادة علم فوجب ترجيحه. و أورد التقى الفاسى، فى «شفاء الغرام» جملة روايات مرفوعة و موقوف فى ثواب دخول الكعبة المعظمة، و كفى من ذلك ما روى الفاكهى عن هند بن أوس قال:

حججت فلقيت ابن عمر، فقلت إنى أقبلت من الفج العميق، أردت البيت العتيق، و أنه ذكر لى أن من أتى بيت المقدس يصلى فيه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أنه، قال ابن عمر: رأيت البيت من دخله، فصلى فيه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، ثم قال الفاسى: «و قد اتفق الأئمة الأربعة على استحباب دخول البيت، و استحسن مالك كثرة دخوله».

و قد اقتصرنا من الصلاة فى الكعبة المعظمة على ركعتين للائتساء به صلى اللّه عليه و سلم، فإنه صلى فيها ركعتين، كما فى رواية بلال رضى اللّه عنه و غيره،

ثم لما كان يوم الجمعة السادس من ذى القعدة، حضرنا صلاة الجمعة بالمسجد الحرام، و خطب الإمام خطبة حسنة طويلة، بالغ فى الوعظ فيها، و ذكر فضل الحج، و علّم الناس مناسكه، و وقع فى المسجد وقت صلاة الجمعة ازدحام كثير.

الرحلة المعينية، ص: ۱۴۳

خروجنا من مكة المشرفة للحج و كيفية حجنا

ثم لما كان يوم التروية، و هو يوم الأحد الثامن من ذى الحجة، اغتسلنا، و لبسنا ثياب الإحرام، و أحرمنا بالحج فى مكة المشرفة مع حجاجها، و خرجنا منها لما ارتفع النهار بعد ما جعلنا آخر عهدنا بها الطواف بالبيت متوجهين منى، فوصلناها حين زالت الشمس،

فصلينا بها الظهر و العصر و المغرب و العشاء، كما هو السنة، ثم بتنا بها فى قباب وجدنا المطوف هيأها لنزولنا هناك، ثم لما طلعت الشمس فى اليوم التاسع، و هو يوم عرفة يوم الإثنين، سرنا متوجهين جبل عرفات، فوصلناه قيلولة يومنا، و وجدنا قبابا هناك هيأنا المطوّف لنا أيضا، فدخلناها حتى بلغ أول وقت الظهر، اغتسلنا اغتسالا خفيفا للوقوف بعرفات كما ذلك هو سنة هذا الغسل، فجمعنا الظهر و العصر بمسجد نمرة، و لم نر الخطيب، و لم نسمع صوته لكثرة الازدحام، ثم وقفنا بعرفات عند الصخرة التى كان يقف عندها رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، كما أخبرنا أهل الخبرة من أهل البلدة بذلك، مستقبلين القبلة، و عندما وقفنا صب الله مطرا غزيرا حتى غسل أبدان الواقفين و لباسهم، فتيامنا به لقوله صلى اللّه عليه و سلم: «ما من قوم مطروا إلا و قد رحموا»، و قوله صلى اللّه عليه و سلم: «اللهم اغسلنى من خطاياى بالماء و الثلج و البرد، اللهم نقّنى من الذنوب و الخطايا كما ينقّى الثوب الأبيض من الدّنس». و يقول الشاعر:

[البسيط]

جاءوا بأحمال أوزار تئودهممنها جبال و حسن الظنّ و طّاها

فسال لّما رأى الرحمان ذلّتهمطوفان عفو و غفران فغطّاها

نرجوه تعالى أن ينقينا من الخطايا الباطنة و الظاهرة، و أن يعمنا برحمته الواسعة فى الدنيا و الآخرة، و لم يزل المطر، و الناس واقفون فى دعاء و ابتهال و خشوع و أذكار و استغفار و خضوع، ملوكهم فى مقام الافتقار و الذّلة، و فقراؤهم فى محل الاضطرار و القلة، فكم دموع تدفقت، و كم ضلوع تحرقت، و كم نسمات هبات هبت، و كم

الرحلة المعينية، ص: ۱۴۴

سحاب رحمات صبت، و الجميع يرغبون المغفرة من الغفار و يرجون الستر و العفو من العفو الستار. و التقتّ إلىّ سيدنا الشيخ مربيه ربه فى هذا الموقف، و قد خنقته العبرات، و ترادفت عليه من الخشية الزفرات، و قال لى: يروى أن رجلا وقف بعرفات، فقال الحمد لله على نعمة الإسلام، و كفى بها من نعمة، فلما كان العام القابل، وقف بعرفات أيضا و قال الكلمات، فناداه هاتف، على رسلك، فمن عام أول و نحن نكتب لك ثواب قولها، و ما فرغنا منه، فقلتها بحمد الله فى ذلك الموقف، جزاه الله عنا أحسن جزائه. فلما دنت الشمس للغروب، انشقت السحائب، و غربت الشمس نقية، فلبثنا هنيئة بعد الغروب، فنفرنا بفيضين، و انصرفنا بين المازمين آمين المصلى بمزدلفة، فوصلناها بعد مغيب الشفق، فجمعنا بها بين العشائين و تفرق وفدنا لكثرة الاختلاط و الازدحام، و بتنا هناك حتى أسفر الفجر على وجه القرض، و أدينا من صلاة الصبح الحق المفترض، وقفنا عند المشعر الحرام إلى الإسفار منكبين على الدعاء و حميد الأذكار و الاستغفار، فافضنا حتى وصلنا بطن محسّر، و هو وادى النار أسرعنا و الإسراع فيه مشروع ذهابا و إيابا، فمضينا كما نحن على الطريق إلى أن وصلنا جمرة العقبة وقت الشروق، فرمينا بها سبع حصيات من أسفلها مكبرين مع كل حصاة، ثم رجعنا لرحالنا، فذبحنا الهدايا، و قد كنا أوقفناها بعرفات، ثم حلقنا، و سرنا من ساعتنا لمكة المشرفة، و لم نزل لابسين ثياب الإحرام لا ستحبابها، و إن كان التحلل الأصغر يقع بعد رمى جمرة العقبة، فوصلنا مكة لما ارتفع النهار، فطفنا طواف الإفاضة، ثم سعينا بين الصفا و المروة، ثم حلقنا فنزعنا لباس الإحرام، فأحللنا التحلل الأكبر، ثم رجعنا إلى منى فصلينا بها الظهر يوم النحر، و هو يوم الثلاثاء، فى مسجد الخيف، و هو الذى نزلت عليه صلى اللّه عليه و سلم فيه سورة «و المرسلات»، كما حدثنا بذلك بعض علماء البلد، ثم رجعنا للقباب المعدّة لنا هناك، فأصابنى يومئذ مرض شديد بقية اليوم و بتّ كذلك و أصبحت إلى وقت الظهر، مع أنى فى كثير من لطف الله أحمده عليه، فلما زالت الشمس رجوت من فضله تعالى أن لا يعجزنى عن بقية مناسكى، فمن فضله تعالى حسست بالراحة، فتوضّأت، و وقفت بمشقة، و استندت على سيدى بوى بن الشيخ حسنّ، بل كأنه يحملنى أولا، و كلما خطوت بحمد الله يخف مرضى، فما وصلت الجمار، حتى

الرحلة المعينية، ص: ۱۴۵

قدرت على المشى بفضله تعالى، و شفيت بحمده، فرمينا الجمار مبتدئين بالأولى التى تلى مسجد الخيف، ثم بالوسطى، و ختمنا بالعقبة، فوقفنا إثر الأوليين بقدر الإمكان مجتهدين فى الدعاء لنا و للأحبة و الإخوان و لسائر المسلمين فى كل مكان، و كذلك فعلنا فى اليوم الثانى، و كانت أيام منى غرارا فى أوجه الزمان و مواسم فرح و سرور لأهل الإيمان، يتجلى فيها الحق يومئذ بصفة الجمال، جزاء على رضاهم قبل ذلك بتجلى الجلال، و لله درّ القائل:

[السريع]

بلغت يا نفسى المنى فى منىو قد أزال الله عنك العنا

فاستنفدى وسعك فى شكرهو شيدى منه بناء الثّنا

ثم صلينا الظهر فى مسجد قريب من الجمرات، شائع عند أهل البلدة أنه أنزلت فيه على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم سورة الكوثر، ثم تعجلنا، قال تعالى: «فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ وَ مَنْ تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ» ، فدخلنا مكة المشرفة وقت العصر من يومنا، و هو يوم الخميس الثانى عشر من ذى الحجة، فصلينا العصر بالمسجد الحرام، شاكرين الله تعالى على منته علينا بقضاء مناسكنا على الوجه الذى قررناه باختصار راجين منه تعالى أن يتقبلها خالصة لوجهه الكريم، و يثيبنا بجنة النعيم، و النظر إلى وجهه العظيم، فى جوار سيدنا محمد عليه أتم صلاة و تسليم.

فائدة فى ذرع الكعبة و قدر المسجد الحرام بالقدم

فائدة فى ذرع الكعبة المكرمة من داخلها و خارجها و ارتفاعها، عدة روايات و ذلك ناشئ من اختلاف قدر الأذرع فى القصر و الطول. و أقربها عندى بالذراع المتوسط

الرحلة المعينية، ص: ۱۴۶

اليوم، هو ما قد حرره الفقيه عبد الله محمد ابن كرامة العامرى فى كتابة «دلائل القبلة»، فقال: إعلم أن كعبة البيت الحرام مربعة البنيان فى وسط المسجد الحرام، ارتفاعها فى الأرض سبعة و عشرون ذراعا و عرض الجدار من وجهها أربعة و عشرون ذراعا، و هو بناء الحجاج، و كان ابن الزبير جعل عرضها ثلاثين ذراعا يزيد على ذلك أقل من ذراع، بعد أن كشف على قواعد إبراهيم عليه السلام، و بنى عليها» ثم قال:

«و عرض وجهها، و هو الذى فيه الباب، أربعة و عشرون ذراعا، و عرض مؤخّرها مثل ذلك، و عرض جذارها الذى يلى الشام، و هو الذى فيما بين الركن الشامى و العراقى أحد و عشرون ذراعا». و يعضد هذا ما ذكره شيخنا الشيخ ماء العينين فى رحلته ، و إن كان يخالفه بيسير، فقد يقع ذلك من اختلاف الأذرع، طولا و قصرا، كما قدمنا. و نصّ ما قاله شيخنا رضى اللّه عنه: «فائدة، قد ذرعت زمنى هذا بمكة الكعبة المشرفة، ذرعت ما بين اليمانى و الشامى، فوجدته خمسة عشر ذراعا بذراعى، و ذرعت ما بين اليمانى و ركن الحجر الأسود فوجدته عشرين ذراعا، و الذى بين الشامى و العراقى كما بين اليمانى و ركن الحجر الأسود، و ما بين العراقى و ركن الحجر الأسود، كما بين اليمانى و الشامى، و طولها فى السماء سبعة و عشرون ذراعا بالذراع المصرى، المصطلح عليه اليوم، و يزيد هذا على ذلك بستة أصابع، و ما بين الباب و الحجر الأسود، و هو الملتزم على أحد الروايات، أربعة أذرع بذراعى، و ارتفاع الحجر الأسود، ثلاثة أذرع، أو أزيد بقليل و تدويره ثلاثة أذرع بذراعى، و يغطّى كله بالذهب، إلا ما بين خنصرى و سبابتى من وسطه، فإنه خارج، أى سالم من التغطية، و ارتفاع أسفل الباب، قدر أربعة أذرع بذراعى أو أزيد بقليل»، انتهى كلام شيخنا الشيخ ماء العينين.

ثم قال أيضا فى قدر المسجد الحرام، و عدد ما فيه من الأساطين و القناديل، و المرقوم على لباس الكعبة، و فوائد ماء زمزم فى رحلته، ما نصه: «فائدة. قدمت

الرحلة المعينية، ص: ۱۴۷

بقدمی ما بين البيت و الأعمد التی تليه من جهة اليمن، فوجدته أربعة و ستين قدما، و قدمته من جهة المغرب فوجدته سيتن، و قدمته من الشمال فوجدته ما بين الأعمد و الحجر ثلاثين قدما، و عرض الحجر ثلاثة أذرع بذراعی، و من انعطاف الحجر إلی الكعبة، قدمته، فوجدته أربعة و عشرين قدما، و ذرعته فوجدته اثنی عشر ذراعا، و قدمته من جهة المشرق، فوجدت ما بينه و بين مقام إبراهيم ثلاثين قدما، ثم إن زاد هذا أو نقص عما قلت فالخطأ منی، و إلا كان هذا، فالتوفيق الصواب من الله، لأنی فعلت هذا فی شیء من الازدحام لا يعلمه إلا الله، و لا يدريه إلا من رآه، نتوسل إلی الله بحقه، و من اشتاق إليه أو رآه أن يغفر لنا ما قدمنا من الذنوب، و ما أخرنا و الصلاة و السلام علی محمد صلی اللّه عليه و سلم و من تلاه». و قال جامعه عفا الله عنه: و لا شك أن الازدحام عند البيت أيام الحج لا يدريه إلا من رآه، فلا يمكن لأحد هناك أن يسير علی وجهه ساعة، و لا يری أين يضع قدمه، فضلا عن أن يذرع تلك الأماكن أو يقيسها بقدمه، و إنما هذه كرامة ظاهرة من كرامات شيخنا الشيخ ماء العينين التی خصّه الله بها.

حكاية شيخنا الشيخ ماء العينين مع النفر الذين لقيهم بمكة

و مثلها أيضا كرامته مع النفر الثلاثة الذين اجتمع بهم عند الكيزان الموضوعة فی الحرم، و تحدث معهم ما شاء الله، و لم يأتهم شخص واحد تلك الساعة، مع كثرة الناس و ازدحامهم هنالك. و كيفية حكايته معهم كما سمعتها منه، و رأيتها بخطه كاتبا رضی اللّه عنه ما نصه: «حكاية: قال كاتب هذه الحروف، غفر الله له و أعاده من كل مخوف: إنه وقع لی زمنه بمكة الشرفة، و هو عام أربعة و سبعين بعد المائتين و الألف، أنی قمت بعد صلاة المغرب لأجدد الوضوء من الكيزان الموضوعة فی الحرم للشرب و الوضوء، كما هو المندوب، أی تجديد الوضوء، فلما أتيت لبعضها، وجدت عنده رجلا حينما جلست، فسلمت عليه فرد علیّ السلام، و اشتغلت أنا و هو بالوضوء، فإذا برجل آخر سلم علينا، فرددت أنا عليه السلام، فإذا بآخر سلم علينا، فرددت أيضا عليه السلام، فاشتغلنا بالوضوء، فلما أكملناه سلمت عليهم أيضا جميعا،

الرحلة المعينية، ص: ۱۴۸

و التفتت علی الأخير الذی جاءنا و قلت له: يا أخی، من أی بلاد أنت؟ فقال: أنا من ناحية الشمال، و بلادنا ليس وراءها إلا سدّ يا جوج و ما جوج: فنحن فی حد بلاد المسلمين من تلك الناحية، فقلت: كم المسافة دونكم؟ فقال لی: نحن بلادنا صعبة، و دونها الجبال و البحور، من جاء منا من جهة المشرق، تكون المسافة عليه أربعة أشهر و نحوها، و من جاء من جهة المغرب، تكون ستة أشهر، و نحو ذلك، فقلت له: و من حذاءكم من أهل التجارات؟ فقال لی: تأتينا الأتراك بتجارات علی التّيوس الفحول المعز، لأن بلادنا من صعوبة جبالها، لا يسير فيها من المواشی إلا تيوس المعز، فاعتبرت، و التفت إلی الذی جاءنا قبله، و قلت له: يا أخی، من أی بلاد أنت؟ قال: أنا من بلاد المطلع، فقلت له: ما المطلع؟، فقال: مطلع الشمس، لأنا فی موضع ما وراءه إلا الجبال التی تطلع الشمس. قال: فنحن فی حد المسلمين و العمارة من تلك الناحية فقلت له، كم المسافة دونكم فقال: إن كان برا فعام، و إلا فستة أشهر أو سبعة، و نحو ذلك فاعتبرت. و التفت إلی الأول الذی وجدته جلس قبلی و قلت له: يا أخی، من أی البلاد أنت؟ فقال: أنا من أقصی بلاد اليمين، بلادنا ما وراءها إلا بلاد الصين، فنحن فی حد بلاد المسلمين من تلك الناحية، فقلت له: كم المسافة دونكم؟ فقال لی: أما برا، فنحو عشرة أشهر أو تسعة، و أما بحرا، فحسب التيسير: من ستة أشهر و نحوها. فقلت لهم: لم يبق إلا صاحبكم، أعنی نفسی، فإنی من أقصی بلاد الغرب، و المسافة بيننا مع الحرم الشريف إذا كانت برا فعام أو قريب منه، و إن كانت بحرا، فحسب التيسير و الأغلب ستة أشهر و نحوها، أو قريب منها كما وقع لی، و سألت كلّ واحد منهم عن زمن الربيع عندهم، و مجيء الأمطار، فإذا صاحب اليمين و المطلع، دهر الربيع عندهما فصل الخريف و ما قاربه من الصيف، و ذلك حال بلادنا التی هی الحوض و نحوه، و أما الشمال، فدهر الربيع عندهم، فصل الشتاء و ما قاربه من فصل الربيع، و سألتهم ما يتصارفون به فی بلادهم فقالوا كلهم: إن التصارف عندهم بالدنانير و الدراهم. و سألتهم كلهم هل بلادهم فيها السلاطين، أو مستقيمة بلا سلاطين، فقالوا كلهم: إن بلادهم فيها سلاطين، و لا تستقيم

دونهم، فقلت إن بلادنا لا يعرف أهلها دينارا و لا درهما، فاعتبروا غايـة، و قال لى: بما التصارف عندكم، فقلت لهم بالأنعام و الأثواب و العبيد،

الرحلة المعينية، ص: ۱۴۹

و نحو ذلك، فتعجبوا غاية العجب، و قلت لهم أيضا، إن بلادنا لا سـلطان فيها، و أهلها مستقيمون غاية، و إنما يكون للقبيلة منها رئيس تـأوى إليه فى بعض أمورها ، و الناس مسـتقيمة على ذلك، و أهل علم كثير فتعجبوا من هاذين الأمرين غايـة، و قالوا لى: إنهم يعرفون فى الحديث، إن من أحق الناس بالأمان، قوما لا يعرفون دينارا و لا درهما، و ما كنا نظن أنه موجود فى الدنيا: فقلت لهم نعم، هم أهل بلادنـا، يعيش أحـدهم العمر الطويـل لم يردينـارا و لاـ درهمـا و لا عرفه إلا إذا كان من أهل العلم، فإنه يقرؤه فى العلم، فلما قلت لهم ذلـك، كـأنهم رأوا الفضـل لبلادنـا و أهلهـا على بلادهم و أهلهم بـذلك، و من أغرب الأشـياء أنهم جميعا أعاجم، و ليس فيهم أحد يعرف لغة الآخر، و لا يعرفون لغتى أنا التى هى الحسانية، و لكنهم كلهم أهل علم، و خبير باللسان العربى، و أنا ما تكلمت لهم إلا به و لم يتكلم منهم بعض لبعض غيرى، غفر الله لى، و كلهم غير صـاحب الشـمال قال لى: إن بلاده فيها الأنعام، و من الغريب عنـدى أنا لم يأتينا شـخص واحد غيرنا، فالتفتّ إليهم، و قلت لهم: أعلمتم أن الله قادر على أن يجمعنا اليوم لا ريب فيه، فقالوا كلهم: نعم نعم، فقلت الـدعاء، فرفعنا أيـدينا، فدعوت و أمنوا على دعائى، و التفتّ إليهم فإذا هم جميعا متقاربين فى السن، كل واحد منهم فى أحسن الفتوة، فقمنـا، و لم أر منهم واحـدا بعـد ذلـك المجلس إلى الآن، نرجو الله أن يغفر لنا بالتمام، و السـلام، فى الرابع و العشـرين من شوال عام تسعة عشر بعد ثلاثمائة و ألف، عبيد ربه ماء العينين بن شيخه الشيخ محمد فاضل بن مامين، غفر الله لهم و للمسلمين آمين».

و سمعته رضى اللّه عنه، قال: «إنه حدث بعض أهل الصلاح بهذه الحكاية، و قال له،

الرحلة المعينية، ص: ۱۵۰

عساكم كلكم يكون قطبا فى أرضه، و أنت هو قطبهم، و لكونك أنت الذى كلمتهم، و لم يكلم منهم أحدا غيرك، و الله أعلم».

فائدة فى قدر المسجد الحرام أذرعا و فى عدد ما فيه من الأساطين و القناديل

و لنرجع إلى بقية كلام شيخنا الشيخ ماء العينين فى المسجد الحرام، و هو ما نصه:

«فائدة فى قدر المسجد الحرام أذرعا، و فى عدد ما فيه من الأساطين و القناديل، أذرعه مكسرة مائة ألف ذراع و عشرون ألف ذراع، و عدد الأساطين أربعمائة و ستة و تسعون، و كل هذه الأساطين رخام ما عدا مائة أسطوانة و تسعة و عشرين فإنها حجارة منحوتة، و منها ثلاثة أساطين آجرّ مجصص، ثم إن هذا العدد كله من غير الأعمد التى حول الكعبة، و هى تسـعة و عشـرون، و مقام الحنفى عشرة، و هو الآن شـمال البيت، و مقام المالكى أربعـة، و هو الآن غرب البيت، و كانا بالعكس، و مقام الحنبلى أربعة أيضا، و هو يمين البيت، و مقـام الشـافعى إثنان، و هو شـرق البيت لأنه فى مقام إبراهيم عليه السـلام، و ذلك ليس له إلا عمودان شـرقا، و أما غير ذلك منها فإنه مبنى بناء مشبكا، فيكون الجميع تسعة و أربعين، فإذا ما أضيف إلى ما قبله صار الجميع خمسمائة و خمسة و أربعين».

«و الأساطين التى حول الكعبـة كل اثنين منها بينهما خمسـة قناديل، و بعـد ذلك ثلاثة أسـطر، كل عمودين منها بينهما قنديل واحد، و فى مقام الحنفى خمسـة و عشـرون قنـديلا، و المالكى ثمانيـة، و الحنبلى أيضا ثمانيـة، و مقام إبراهيم عليه السـلام ثلاثـة عشـر قنديلا، فالجميع ألف و ثلاثمائة و ثمانون و سـبعة قناديل، لكنى رأيتهم ليالى التشـريق جعلوا على المنارات كثيرا من القناديل، لم أكثرت بعد لأجل اشـتغالى فى تلك الليالى، و لكونه نادرا، و النادر لا حكم له، و هذا كله عددته بنفسـى إلا طول الكعبة فى السماء، و عدد أذرع المسجد مكسرا، فإنى أخذته من كتاب وجدته فى مكة على أخبارها لم أرقط مثله، يقال له «البحر العميق فى أخبار

الرحلة المعينية، ص: ۱۵۱

بيت الله العتيق»، و لله الحمد الذى بفضله يليق، و فى هذا الكتاب من الفوائد و القصص و الأخبار ما لا مزيد عليه.

فائدة فی بعض المکتوب علی لباس الکعبة الشریفة و فی بعض فوائد ماء زمزم

فائدة فی بعض ما هو مکتوب علی لباس الکعبة الشریفة، مکتوب علیه سطر من رأسه علی رأسه یمینا و شمالا [من جهة الشرق]، «وَ إِذْ بَوَّأْنا لِإِبْراهِیمَ مَکانَ الْبَیْتِ، الی عَمِیقٍ» ، و من جهة الیمین یمینا و غربا، «وَ إِذْ یَرْفَعُ إِبْراهِیمُ الْقَواعِدَ مِنَ الْبَیْتِ إلی الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ» ، و من جهة المغرب یمینا و شمالا، قل صدق الله العظیم، و أما من جهة الشمال، فلیس المکتوب علیها إلا کلاما علی جهة السلاطین، کل من کانت الولایة له یکتب علی اللباس فی کل زمن خلافته، «علی ودّ مولانا السلطان فلان بن فلان»، حتی یعد کثیرا من أجداده، و السلطان الآن فی عام حجنا الذی هو عام ۷۴ أربعة و سبعین بعد المائتین و الألف، عبد المجید بن محمود خان، و من المکتوب عل لباس الباب خاصة، البسملة مرارا، و «لِإِیلافِ قُرَیْشٍ، و قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» و کلمة الشهادة، و هذا الذی تقدم کله مکتوب بالذهب، و غیر هذا من لباسها کله محشو بکلمة الإخلاص و اسم الجلالة، و الکتابة فیه من نفس النسج، إلا أنه لیس بسطر مستقیم، بل کأنه من التزخرف علی حالة لا یعرفها إلا من رآها بالعین، و الصلاة و السلام علی من به یجمع بین البین.

فائدة، فی بعض فوائد ماء زمزم و خواصه، فمنها أنه لما شرب له، و قد نوی فیه الشافعی العلم فنال فیه ما نال، و الرمی فصار یصیب العشرة بالعشرة، و التسعة بالتسعة، و شربه رجل لا برءة اعترضت فی فمه، و کاد یموت منها، فزالت عنه، و شربه آخر للعمی فشفی، و منها أن المنافق لا یتضلع منه، و آیة بیننا و بینهم، و منها

الرحلة المعینیة، ص: ۱۵۲

أن من شرب منه، حرم الله جسده علی النار، و منها أن الله یرفع المیاه العذبة قبل یوم القیامة غیره، و منها أن النظر إلیه عبادة، و منها أنه طعام طعم و شفاء سقم. و قد أقام شخص شهرا بمکة لا یذوق غیره فتکسّرت عکون بطنه من الشحم، و کان بعضهم إذا ظمئ وجد فیه لبنا، و إذا أراد أن یتوضأ وجد فیه ماء، و منها أن الاطلاع فیها، یحط الأوزار و الخطایا، و منها أنه خیر ماء علی وجه الأرض، و منها أنه یبرد الحمی، و منها أنه یذهب الصداع، و منها أن الاطلاع فیها یجلو البصر، و منها أنه یحلو لیلة النصف من شعبان و یطیب، و منها أنه یکثر فیها أیضا کل سنة بحیث أن البیر تفیض بالماء، لکن لا یشاهده إلا الأولیاء، و منها أن من حثا منها علی رأسه ثلاث حثوات لم تصبه ذلة أبدا، و منها أنه یعظم فی الموسم و یکثر کثرة خارقة لعادة الآبار، و المراد بالموسم زمن الحج، و ثبت أن النبی صلی اللّه علیه و سلم عام حجة الوداع جاء زمزم، فقال: ناولونی دلوا فناولوه، و شرب منها، ثم تمضمض، و مج فی الدلو، ثم أمر بما فی الدلو فأفرغ فی البیر، کأنه مسک أو أطیب من المسک، و هذه عندی أفضل فضائله، صلی الله علی سیدنا محمد و آله.

فائدة. أیضا فی عدد أذرعه من أعلاه إلی أسفله، کان ستین ذراعا، ثم قلّ ماؤها فی بعض الأزمنة السابقة، فضرب فیها سبعة أذرع، و أذرع تدویر فمه، کان أحد عشر ذراعا، و قد جعل علیه کله البناء، سوی ثلاثة أذرع و ثلثی ذراع، و ما بین رأسه و الماء أربعة أذرع، و الأذرع فیما مضی قامة الإنسان، سوی الثلاثة الأذرع و الثلثین، فإنها بالذراع المتعارف، و هاتان الفائدتان أیضا من «البحر العمیق» و الحمد لله العلی الرفیق.

عدد أبواب المسجد الحرام و مناراته و أسماء الجمیع و کیفیة کسوة الکعبة

فائدة. فی عدد أبواب مسجد الله الحرام، و مناراته، أما الأبواب الکبار، فهی تسعة عشر، لکن ربما تکون فی الباب الواحد أربعة أبواب، أو أکثر أو أقل، و لا أظن

الرحلة المعینیة، ص: ۱۵۳

الجمیع إلا یبلغ الأربعین أو قریبا منها، و الله تعالی أعلم، و أما المنارات، فهی سبعة، و لم یحضر فی ذهنی الآن أسماء الجمیع، لطول العهد، و لذلک رأیت ترکه حتی یتفضل الله به»، انتهی کلام شیخنا الشیخ ماء العینین رضی اللّه عنه فی رحلته .

قال جامعه مريده ما العينين بن العتيق، هذا الذى ذكره شيخنا من ذرع المسجد، هو الذى عليه جل المؤرخين، فقد ذكر الأزرقى فى كتابه «أخبار مكة» أن ذرعه مكسرا مائة ألف ذراع و عشرون ألف ذراع، و معنى مكسرا، يعنى مربعا، و كذلك ذكره غيره مفصلا و مجملا، و قد يقع التفاوت اليسير، لاختلاف الأذرع، و تحقيق الاستقراء، و فى الحقيقة لا خلاف، و كذلك عدد الأساطين و القناديل، فهر، كما ذكره شيخنا رضى اللّه عنه، و إن وقع الفرق فى بعض الروايات بزيادة قليلة أو نقصان يسير، فلا حرج، إذ يحدث ذلك عادة، إذا كان الإحصاء بغير تدقيق، و كذلك يحصل من غلط الناسخ أو المطبعة، و على كل فالفرق يسير بل لا يعدو فرقا، و لم يحدث بعده رضى اللّه عنه كبير تغيير فى هذه الأشياء، إلا أن القناديل اليوم صارت أضواؤها بالآلة الكهربائية، و أما كسوة الكعبة المكرمة، فلم يزل رقمها على ما ذكره رضى اللّه عنه أيام خلفاء آل عثمان، و يأتى المحمل المصرى بالكسوة من مصر فى كل سنة، لأنها كانت تأتيها الكسوة من الخلفاء العباسيين، حتى انتقل آخرهم إلى مصر، بعد قضية التتار، فاستمر مجىء الكسوة من مصر حتى أعلن أمير مكة المشرفة الشريف الحسين بن

الرحلة المعينية، ص: ۱۵۴

على بن محمد بن عبد الله المعين بن عون الثورة على الحكومة التركية باسم استقلال البلاد العربية سنة ۱۳۳۴، فاستمر إتيان الكسوة من مصر حتى وقع الخلاف بين المصريين و الشريف الحسين سنة ۱۳۴۱، رجع المصريون بالكسوة من جدة، فكساها الشريف بكسوة كانت مودعة بالمدينة المنورة من الحكومة التركية، فلما كان عام ۱۳۴۳، استولى الملك عبد العزيز بن عبد الرحمان آل السعود على مكة المشرفة، فكساها، و فى سنة ۱۳۴۴ كساها المصريون على عادتهم، و وقعت حادثة المحمل بمنى، فامتنع المصريون من مجىء الكسوة عام ۱۳۵۴، فكساها الملك عبد العزيز، و صنع دارا لحياكة كسوتها بمكة، و كتب على الكسوة آيات مناسبة و أذكارا و أسماء على غير النسق المصرى، و استمر العمل إلى سنة ۱۳۵۵، اصطلح الملك عبد العزيز و المصريون، فأتوا للبيت بالكسوة من مصر على هيأتها الأولى، إلا ما كان من تسمية السلاطين، لأن بلاد المشرق لم تجتمع كلمتها على سلطان من يوم تلاشى ملك العثمانيين، بل استقل فى كل أرض ملك، كالملك عبد العزيز بالحجاز و نجد الرحلة المعينية ؛ ص۱۵۴

الرحلة المعينية، ص: ۱۵۵

و لواحقهما، و الإمام يحيى باليمن و غازى ابن فيصل بن الشريف الحسين بالعراق و الملك فاروق بمصر و نحو ذلك، و الله غالب على أمره، و هو المستعان، ثم لم يزل المصريون يأتون بالكسوة على هيأتها الأولى إلى عامنا هذا، و هو عام سبعة و خمسين بعد الثلاثمائة و الألف ۱۳۵۷، أتى بها المصريون على عادتهم.

و أما أبواب المسجد الحرام، فهى كما قال شيخنا، رضى اللّه عنه، تسعة عشر (۱۹)، قال صاحب «عمارة المسجد الحرام»: كان للمسجد الحرام فى عصر الخليفة المهدى (۱۹) بابا على (۳۸) نافذة إلى أن قال: يحتوى المسجد الحرام فى العصر الحاضر على (۲۶) بابا، بعضها يفتح على نافذة واحدة، و بعضها على نافذتين، و بعضها على ثلاثة نوافذ، و واحد من عمومها يفتح على خمس نوافذ، ثم فصلها و بينها بابا بابا، و منفذا منفذا، و وصفها، و نحن نكتفى بأسماء الأبواب الستة و العشرين المشهورة اليوم مخافة التطويل، و هى فى الجانب الشرقى خمسة (۵):

۱. باب السلام، و يعرف قديما بباب بنى شيبة.

الرحلة المعينية، ص: ۱۵۶

۲. باب مدرسة السلطان قايتباى

۳. باب النبى صلى اللّه عليه و سلم، و يقال له أيضا باب الجنائز، و باب الحريريين.

۴. باب العباس رضى اللّه عنه.

۵. باب على رضى اللّه عنه، يعرف بباب البطحاء، و بباب بنى هاشم.

و الجهة الجنوبية من المسجد، فيها سبعة أبواب:

۱. باب بازاق، و يعرف أيضا بباب بنى عائد، و يسمى اليوم باب النعوش

۲. باب البغلة، و يعرف بباب بنى سفيان

۳. باب الصفا، و يسمى أيضا باب بنى مخزوم

۴. باب أجياد الصغير، و يسمى أيضا باب الخليفتين

۵. باب المجاهدية، و يقال له باب الرحمة، و يسمى الآن، باب أجياد.

۶. باب مدرسة الشريف عجلان، و يعرف بباب بنى تيم

۷. باب أم هانئ رضى الله عنها، و يسمى باب الملاعبة، و يدعى باب أبى جهل.

و الجهة الغربية من المسجد الحرام، فيها ستة أبواب:

۱. باب الحزورة، و يصحف الآن بباب عزورة، و يسمى باب البغالية، و يعرف بباب الوداع، و بباب بنى حكيم، و بباب الزبير، و بباب الحزامية.

۲. باب ابرايم عليه السلام، و هو الذى كثيرا ما ندخل منه أيامنا بمكة المشرفة

۳. باب الخوذى

۴. بابد مدرسة الشريف غالب

۵. باب مدرسة الداودية

۶. باب العمرة، و يسمى باب بنى سهم

الرحلة المعينية، ص: ۱۵۷

و فى الجانب الشمالى من المسجد الحرام ثمانية أبواب:

۱. باب السدة، و يعرف بباب عمرو بن العاص، و يسمى باب ابن عتيق

۲. باب مدرسة الزمانية

۳. باب الباسطية، و يسمى بباب العجلة

۴. باب القطبى، و يسمى قديما بباب زيادة دار الندوة

۵. باب الزيادة، و بهذا اشتهر اليوم و كان يدعى باب سويقة

۶. باب المحكمة

۷. باب السليمانية

۸. باب الدريبة

هذا عدد أبواب المسجد الحرام من جهاته الأربع، و هى المعتبرة و إن كانت أبواب المدارس التى حوله تعتبر أيضا أبوابا عمومية لأنها نافذة من المسجد الحرام إلى الشوارع العمومية.

و أما منارات المسجد الحرام، فهى سبعة، كما ذكر شيخنا رضى اللّه عنه و هى:

۱. منارة باب العمرة

۲. منارة باب السلام

۳. منارة باب على

۴. منارة باب الوداع

۵. منارة باب الزيادة

۶. منارة السلطان قايتباى

۷. منارة السلطان سليمان خان

و قد أحببت أن أذكر أسماء أبواب المسجد الحرام، و أسماء مناراته لإشارة شيخنا رضى اللّه عنه فى قوله، إنه نسى أسماءها، فتركها حتى تفضل الله بها، و لا شك أن هذا من فضل الله عليه رضى اللّه عنه، لكونى من أتباعه و المرء فى ميزانه أتباعه و أحمد الله تعالى حيث جعلنى محل هذه الإشارة، لأنى لا أعلم أحدا من أتباعه رضى اللّه عنه سبقنى

الرحلة المعينية، ص: ۱۵۸

لذكر أسمائها، نرجوه تعالى أن يوفقنا و يرشدنا لما يحبه و يرضاه.

فائدة فى بعض ما ورد فى فضل الطواف و فى الأوقات التى تنبغى المثابرة على الطواف بها

فائدة. بعض ما ورد فى فضل الطواف بالبيت الحرام، و فى بعض الأوقات التى تنبغى المثابرة على الطواف فيها، من ذلك ما أخرجه الواحدى عنه صلى اللّه عليه و سلم، أنه قال:

«من طاف بالبيت سبعا، و صلى خلف المقام ركعتين، و شرب من ماء زمزم، غفرت له ذنوبه بالغة ما بلغت» . و أخرج الأزرقى و غيره عنه صلى اللّه عليه و سلم، أنه قال، «إذا خرج المرء يريد الطواف بالبيت، أقبل يخوض فى الرحمة، فإذا دخله غمرته، ثم لا يرفع قدما و لا يضعها إلا كتب الله له بكل قدم خمسمائة حسنة، و حط عنه خمسمائة سيئة، و رفعت له خمسمائة درجة، فإذا فرغ من الطواف، فصلى ركعتين فى المقام خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، و كتب له أجر عتق عشر رقاب من ولد إسماعيل، و استقبله ملك على الركن، و قال له: استأنف العمل فيما تستقبل، فقد كفيت ما مضى، و شفع فى سبعين من أهل بيته». و عنه صلى اللّه عليه و سلم أنه قال: «لو أن الملائكة صافحت أحدا لصافحت الغازى فى سبيل الله و البار بوالديه و الطائف ببيت الله الحرام»، و عنه صلى اللّه عليه و سلم أنه قال: «إن الله تعالى يباهى بالطائفين ملائكته». و عن أبى هريرة رضى اللّه عنه أن النبى صلى اللّه عليه و سلم قال: «أكرم سكان أهل السماء على الله، الذين يطوفون حول عرشه، و أكرم سكان أهل الأرض على الله، الذين يطوفون حول بيته». و عنه صلى اللّه عليه و سلم أنه قال: «من صلى خلف المقام ركعتين، غفر له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر، و حشر يوم القيامة من الآمنين» . ذكره القاضى عياض فى الشفاء، إلى غير

الرحلة المعينية، ص: ۱۵۹

ذلك مما هو كثير، و تنبغى المثابرة على الطواف بعد الصبح و العصر، لما رواه ابن عمر عنه صلى اللّه عليه و سلم أنه قال: «طوافان لا يوافقهما عبد مسلم إلا خرج من ذنوبه كما ولدته أمه، و غفرت له ذنوبه بالغة ما بلغت، طواف بعد الصبح، يكون فراغه عند طلوع الشمس، و طواف بعد العصر، يكون فراغة عند غروب الشمس، فقال رجل: «يا رسول الله، لم يستحبّ هاتان الساعتان؟ قال: ساعتان لا تعدوهما الملائكة»، و من الأوقات التى ينبغى الطواف فيها، وقت المطر، لما روى عنه صلى اللّه عليه و سلم، فقد قال: «من طاف بالكعبة يوم المطر، كتب الله له بكل قطرة نصيبه حسنة، و محا عنه بالأخرى سيئة» و عن أبى عقال، قال: «طفت مع أنس ابن مالك رضى اللّه عنه فى مطر ، فلما قضينا الطواف، أتينا المقام، فصلينا ركعتين،- فقال لنا أنس: استأنفوا العمل، فقد غفر لكم ما مضى، ها كذا قال لنا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و طفنا معه فى مطر». و منها عند خلو المطاف، لأنه حينئذ يكون قائما بهذه العبادة العظيمة من غير مشارك له فى سائر أقطار الأرض. و كذلك قال العلماء: لو حلف ليعبدن الله بعبادة لا يشركه أحد فيها، فالخلاص أن يخلى له المطاف، فيطوف به وحده، قال جامعه، غفر الله له، وقد منّ الله علينا بالطواف فى هذه الأوقات المذكورة بعد الصبح و العصر، فكثيرا ما نطوف تلك الساعتين، بل لم يفتنا الطواف فيهما، و لله الحمد، أيامنا بمكة المشرفة، و أما ساعة المطر، فقد نزل علينا مطر فى

بعض أيامنا بمكة بعد العصر، و نحن نطوف و لله الحمد، و وقع ازدحام كبير فى الحجر لرغبة الناس فى الشرب من الماء الذى يصب فيه من ميزاب الرحمة، و كنا بحمد الله ممن شرب منه، و أما عند خلو المطاف، فبينما نحن نطوف يوما فى الازدحام إذ أقبل أصحاب الملك عبد العزيز، فدفعوا الناس عن المطاف، و ردوهم إلى نواحى المسجد، و حاط عساكره بالبيت العتيق، فلم يبق به طائف إلا أنا، و الشيخ محمد الإمام بن شيخنا الشيخ ماء العينين، فإنهم لم يتعرضوا لنا حتى أتممنا طوافنا، فالتفت إلى الشيخ، و قلت له:

الرحلة المعينية، ص: ۱۶۰

سبحان الله هذه خصوصية من الله تعالى، فإنه ما على وجه الأرض الساعة من هو متلبس بهذه العبادة غيرنا، نرجوه تعالى أن يتقبل أعمالنا، و يوفقنا لصالح العمل، و لا يكلنا إليه، و بلغنا أن الملك عبد العزيز، كان يطوف فى جملة الناس بدون امتياز، أعوام إمارته الأولى حتى غدره بعض الظلمة، و هم مستلم الحجر الأسعد، فضربه بمكحلة حتى مست الرصاصة الحجر الأسعد، فسلمه الله ببركة ذلك المقام الشريف، و من حينئذ صار لا يطوف إلا على هذه الهيئة التى ذكرنا، خشية الغائلة.

مدة إقامتنا بمكة المشرفة

و قد كانت مدة إقامتنا بمكة المشرفة بعد أيامنا فى الحج خمسة أيام، فباعتبار أيام الحج، و أيامنا فيها قبله، تكون المدة سبعة عشر يوما، لأنا دخلناها صبيحة يوم الأحد فاتح ذى الحجة، و خرجنا منها بعد صلاة العشاء ليلة الأربعاء الثامنة عشر من ذى الحجة، نحمده تعالى حق حمده، و رضى نفسه، وزنة عرشه، و مداد كلماته، على ما تفضل به علينا من حج بيته الحرام، مشرق شمس سيد الأنام، عليه أزكى الصلاة و السلام، حيث دائما يتجلى الحق تعالى على الأنام، بالرحمة و الإحسان و الإكرام، و مغفرة الأوزار، و الأثام و نيل سائر الآمال و المرام. فيا لها من بلدة من دخلها كان من الآمنين، و من نحا نحوها، كان من الفائزين، فهى قبله العابدين، و غاية منية السابقين، و مناخ همم العارفين، و محط آمال الراغبين، نرجوه تعالى أن يسعدنا بها فى سائر الدهور، و يحفظنا من جميع الشرور و ينيلنا جميع الخيور، و يوفقنا لمرضاته فى جميع الأمور و يختم لنا بالسعادة، و يرزقنا الحسنى مع الزيادة، نحن و بنينا و أحبتنا، و أقاربنا و أشياخنا، و من علمنا، و جميع المسلمين و المسلمات، الأحياء منهم و الأموات، و أن لا يجعل هذا آخر عهدنا بهذه البقاع الطاهرات، و المشاهد المقدسات، و الحضارات المعظمات و يهدينا، و يكون لنا فى سائر الأماكن و الأوقات.

الرحلة المعينية، ص: ۱۶۱

قصيدة للشيخ مربيه ربه حسنة رتب فيها مناسك الحج على سبيل الدعاء

و هذه قصيدة أنشدنيها سيدنا الشيخ مربيه ربه، أنشأها لما فرغ من حجه أعزه الله، و هى من أحسن ما يقال فى المعنى، رتّب فيها مناسك الحج، على سبيل الدّعاء، و هى:

[رجز]

الحمد لله الذى من حجّهفضلا عليه ييسّر عليه حجّه

رب ارزقنّى حجك المبروراو لتجعلنّ سعينا مشكورا

رب اجعلنى حرما معظّمايزور طه و يحجّ الحرما

يا ربّ البيت و بالمناسكفلتجعلنّى خير كلّ ناسك

بحرمة الاحرام قوّ حرمىو احفظه و احفظ نسبتى و حرمى

و لتجعلنّ كلّ من سمع بىيحرم لى منك بأعلى الرّغب

معتقدا، ملبيا نحوى، وهبعلى يدى له جميع ما طلب

و بالتّنظّف و الاغتسالو ركعتيه اصلحنّ حالى

لبّيك لبّيك، و لا شريكلك، و كل الخير فى يديك

لبّيك و النّعمة و الحمد لديكلبّيك لبّيك و لا لك شريك

الرحلة المعينية، ص: ۱۶۲ و ألبسنّى حلّة الإكرامدى المدى بملبس الإحرام

بحرمة الهدى و ما استصحبهأرجو هداه دائما و قربه

بالاغتسال لدخول مكّةو بالدّخول من كدا الثنيّة

حرّم على النار بهذا الحرمسرّى و ظاهرى و لحمى و دمى

و بالذى من دعوات الخيريدعى هناك هبه لى بخير

و بدخول البيت من باب السلامو باستلام الحجر ارزقنا السّلام

أنت السّلام ربّنا منك السّلامو حيّنا اللهمّ رب بالسّلام

و بالطواف و دخول المسجدو هو التّحيّة له فأيّد

بكلّ تكبير و تقبيل الحجرأكون ممّن لك حجّ و اعتمر

بالركعتين ربّنا خلف المقامكن لى و بالملتزم أرق المقام

و بالذى من دعوات الخيريدعى هناك هبه لى بخير

و بالوقوف بالصفا و المروةو السّعى قلبى املآه بالمروّة

و بالذّكر و التّكبير و الهيللةو بالصلاة لرسول الملّة

الرحلة المعينية، ص: ۱۶۳ و بالذى من دعوات الخيريدعى هناك هبه لى بخير

بالخطبة الأولى بمكة التىفى الظهر من سابع شهر الحجة

قدم لرتبتى و لا تسقطهاالدرجاتى ارفع و لا تحططها

و بالخروج لمنى فى الثامنهب لى المنى فى سائر المواطن

بالصّلوات فى وقوتها هناكربّ تفضّلن علىّ برضاك

و بالذى من دعوات الخيريدعى هناك هبه لى بخير

بحقّ إحياء المبيت بمنىأحى مواتى و ارزقنّى المنى

بالاغتسال لشهود عرفهكوصفه بمكّة المشرفه

و هو بلا دلك سألت المغفرهلله فضلا لست عندى معذره

بالقصر فى الظّهرين و الجمع هناكو الخطبتين لا تكلنى لسواك

هب لى بالوقوف عند عرفاترضاك فى الموقف و احفظ من شتات

رب بذا اليوم و ما أنزلت فيهمن رحمة و كلّ أمر تصطفيه

أسألك اللّهمّ كلأ ذى النّعمأنت الذى تعطى الأخصّ و الأعم

الرحلة المعينية، ص: ۱۶۴ و بالذى من دعوات الخيريدعى هناك هبه لى بخير

بسرّ دفع الناس للمزدلفهبعد الغروب من وقوف عرفه

بالمأزمين و بحرمة المروربينهما أصلح لنا كلّ الأمور

بالجمع و القصر و حطّ الرّحلو بالمبيت أغننى بالفضل

و بوقوف المشعر الحرامفاغفر ذنوبى و اعف عن آثامى

وادع به و لا تقف بالمشعرقبل صلاة الصبح أو أن تشعر

و بالّذى من دعوات الخيريدعى هناك هبه لى بخير

بالدّفع قرب ساعة الاسفارو سر الإسراع بواد النّار

يا ربّنا و حقّ رمى العقبةسلّم لنا من اقتحام العقبه

و سلّمنّ من عذاب النارو احفظ جميعنا من الأشرار

بسرّ سرّ الرّمى يوم النّحرو حرمة الحلق و حقّ النّحر

اذهب جميع البأس و الاضرارعنا بلا بأس و لا إصرار

ولتدفعن عنّا جميع النّقمو اجلب لنا بالخير كلّ النّعم

الرحلة المعينية، ص: ۱۶۵ أوزع لنا شكرا يديم النعمتينو بالإفاضة و سرّ الرّكعتين

أفض علينا من جميع الفضل مايغبطه ذو الفضل منك كرما

و بالرّجوع لمنى و بالمبيتبها اهدنا كلّ مقيل و مبيت

هب لى بأفضلية الإقامهبها إلى الإتمام الاستقامه

ربّ برمى الجمرتين و الدّعاإثرهما ورمى الأخرى أو سعا

و بالذى من دعوات الخيريدعى هناك هبه لى بخير

و افعله فى الثلث و الرابع إنشئت بسرّ فعله قنا الفتن

أكمل بسرّ الحجّ نعماك علىإليك ملجا الضّعيف و القوى

ربّ أعنّى على إعانهأهل العيال و أدّ الأمانه

عنّى تجاوز بنزول الأبطحو بالطّواف للوداع فاصفح

و بالخروج من كذا إلى زيارة النبى و صاحبيه كن ليا

يا ربّ أسألك ما سألهنبيّنا الفاضل أفضله

كذاك ما سأله أصحابهمن كلّ خير حبّذا أصحابه

الرحلة المعينية، ص: ۱۶۶ و إننى أسأل كلّ ما سألأستاذنا لربّنا عزّ و جل

و كلّ ما سأله نبيّو عالم و صالح ولىّ

و كلّ ما سأله غيرك لكمن كلّ خير و تسابيح ملك

ربّ اعطنا ما طلبوا و سألوامنك افتضالا، فضّلوا أو اجملوا

بجاه جاهك و جاه جاهمحمّد الهادى رسول الله

عليه أفضل صلاة اللهما دام ملكه بلا تناهى

كمل النصف الأول من الرحلة المعينية بحمد الله تعالى

و يتلوه النصف الثانى بحول الله، ذكر الخروج من مكة المشرفة إلى المدينة المنورة إن شاء الله.

الرحلة المعينية، ص: ۱۶۷

النصف الثانى استمرار الرحلة من دخول المؤلف إلى المدينة المنورة فى ۱۸ ذى الحجة ۱۳۵۷ ه فبراير ۱۹۳۹ م إلى رجوعه إلى طنطان فى ۲۹ محرم ۱۳۵۸ ه مارس ۱۹۳۹ م

اشارة

الرحلة المعينية، ص: ۱۶۹

بسم الله الرحمان الرحيم

خروجنا من مكة المشرفة إلى المدينة المنورة لزيارته صلى اللّه عليه و سلم

ثم لما كانت ليلة الأربعاء الثامنة عشر من ذى الحجة الحرام، بعد أن صلينا المغرب و العشاء، بمسجد الله الحرام، طفنا ببيت الله الحرام طواف الوداع، و تضلعنا من ماء زمزم بحمد اللّه ثم رجعنا للحجر الأسود و استلمناه و قبلناه و دعونا عند الملتزم على الهيأة المأثورة، و هى أن يلصق القائم بين الباب و الحجر صدره بالبيت و يمد يده اليمنى لجهة باب البيت، و يده اليسرى إلى جهة المحجر، نرجوه تعالى نيل الفوز و الظفر، و قضاء كل مأرب و وطر، بجاه كل من حج و اعتمر، ثم خرجنا من باب الوداع، لا جعله الله آخر عهدنا بتلك البقاع الطاهرات الطيبات المباركات، ثم ركبنا السيارة من وقتنا متوجهين إلى المدينة المنورة لزيارته صلى اللّه عليه و سلم، فسرنا ليلتنا حتى بارحنا مكة المشرفة، فنزلنا و بتنا فيها و بين جدة، فركبنا صباحا، و وصلنا جدة ضحى يوم الأربعاء، و نزلنا بها إلى قرب الزوال، ثم ركبنا، فلما بلغنا كراع الغميم، غاصت السيارة فى خضخاض هناك، و فسد من آلتها ما عاقها عن الجرى، فنزل وفدنا، و حملوا الشيخ مربيه ربه على أيديهم حتى جاوزوا به أماكن الطين و الماء، و تفرق أهل السيارة فى ذلك الموضع لطلب الظل للمقيل، و أظلّت أصحابنا على الشيخ بأرديتهم، و ممن باشر ذلك ابن أخيه السيد بوى بن الشيخ حسنّ، فإن الشيخ اضطجع على فخذه و أظلّه بردائه، فنام عليه حتى استراح، و أخبرنى السيد بوى أنه نال بتلك الضجعة التى رأس الشيخ فيها على فخذه ما يحمد الله عليه من الفتوحات ظاهرا و باطنا، و ظهرت له أوائل ذلك من تلك الساعة و لم تزل تزداد، و لله الحمد، ثم ركب الشيخ محمد الإمام على سيارة أخرى مرت بنا حتى وصل محطة أمامنا، فرجع لنا بسيارة صالحة، فركبناها وقت الغروب حتى وصلنا المحطة التى قرب رابغ، فبتنا هناك، و ركبنا صباحا فوافينا رابغا ضحوة الخميس، فنزلنا فيه قليلا، ثم ركبنا لوجهتنا بعد الاستراحة فيه.

الرحلة المعينية، ص: ۱۷۰

مطلب ذكر بعض أحوال أهل البلد و الذين بمكة و المدينة

و قد كانت بين المدينة المنورة و مكة المشرفة مناخات و محلات معدة للاستراحة و للأكل و الشرب لمن شاء ذلك من الحجاج، و ربما استرحنا فى بعضها، و أكثر من يعمر تلك المحلات أهل البدو، و هم الأعراب المتوطنون الحرم الشرف، و جلهم عاميون، لا معرفة لهم بالعلم، بل عامّ فيهم الجهل، إلا أن اللسان الربى سجية فيهم، فيتكلمون به عن فصاحة كثيرا بالطبيعة رجالا و نساء و صبيانا، فمن ذلك أنى سألت فى بعض المحلات صبيا صغيرا عن بئر بإزائنا، و حذاءها آبار أخر، ما اسمها فقال لى: أيّة بئر، بهذا اللفظ، فتعجبت من تأنيثه للبئر و إلحاقه تاء التأنيث بأية، و ذلك مخالف لما عليه أهل اللغة الدّارجة اليوم، لأنهم يذكرون البير، و لا يلحقون التاء بأى فى التأنيث، و إنما تكلم الصبىّ باللغة الفصحى على الطبيعة. قال تعالى:

«وَ بِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ» و قال الشاعر:

[الطويل]

بأى كتاب أم بأيّة سنّة ترى حبّهم عارا علىّ و تحسب

و هذا نمط كلامهم غالبا. و أحوالهم فى لباسهم، و إكرامهم للأضياف و كسبهم للأنعام قريبة من حال بلادنا و بواديهم فى أرض الشناجطة، إلا أن بوادينا فيها الزوايا الكثيرون المعتنون بالعلم، و علماؤها مشهورون، و قلما تفارقهم المدارس المشحونة بطلبة العلم، و

بلاد المشارقة ليس أهلها كذلك، و إنما يعتنى بالعلم فى بلاد المشارقة أهل الحاضرة فقط، فأهل بواديهم يشبهون حسان و اللحمة من أهل

الرحلة المعينية، ص: ۱۷۱

بوادينا فى عدم التعلم، و نساؤهم يلبسن الثياب السود غالبا كنساء بلادنا. و لا تجدهنّ إلا مستترات غير متبرجات، و يستوى فى ذلك أهل الثروة منهن و الفاقة، لأنا رأيناهنّ يسألن الصدقة لفاقتهن، و هن على ذلك الحال، و قد كن يتعرضن لنا و معهن الصبيان، فيقفن هنّ و الصبيان بإزاء طريق السيارة حتى تمر بهم سائرة. فيقولون: ارم يا حاج، ارم يا حاج، يطلبون ما يرمى لهم من الصدقة، و كانت الحجاج ترمى لهم الدراهم و الخبز، و التمر، و نحو ذلك مما تيسر، و لم نزل يومنا هذا نرمى لهم كلما تعرضوا لنا، كلّ يرمى لهم ما أمكنه.

أبيات بين الشيخ محمد الإمام و جامع الرحلة فى الحث على الصدقة

فرأى الشيخ محمد الإمام ابن شيخنا الشيخ ماء العينين جماعتنا و كأنها مسها ملل من الرمى لهم فقال لهم بديهة:

أحجّاج بيت الله و يحكموا فارموا

فاستجاز جامعه ما العينين، فقلت بديهة:

ليمحى بما ترمونه عنكم الجرم

فقال الشيخ محمد الإمام:

[الطويل]

فمن رام بذر الأجر هذا محلّهو لا عذر إلا حيث يمنعك العدم

فقال ما العينين:

على أنه لا عدم إن جئت هاهناو لا يدرك المعنى سوى من له فهم

فما زالت الجماعة ترمى بالصدقات جهدها، لمن تعرض لنا من السائلين حتى

الرحلة المعينية، ص: ۱۷۲

انقطعوا عنا بإقبال الليل، فبتنا تلك الليلة، و هى ليلة الجمعة فى بعض المحلات القريبة من المدينة المنورة، و كانت طريقنا هذه فى السيارة على ساحل البحر، و هى طريقه صلّى اللّه عليه و سلم، فى هجرته من مكة إلى المدينة المنورة، ثم ركبنا صبيحة يوم الجمعة، و نزلنا ضحى بذى الحليفة عند بئر على كرم الله وجهه بمحلة هناك، حتى توضّأنا، و أصلحنا شؤوننا، و لبسنا فاخر ثيابنا، لأن من السنة لداخل المدينة أن يتطيب و يلبس فاخر ثيابه، فركبنا و قد فاضت العبرات و توالت الزّفرات و طاشت العقول و شمرت الذيو، و انتعشت الأرواح و الأفكار، و انبعثت الأسماع و الأبصار و استولت على النفوس الأفراح المزدادة، حتى أخرجتها عن مألوفاتها المعتادة، لما سطعت أضواء المدينة المنورة و أشرقت ديارها بنوره صلّى اللّه عليه و سلم ساطعة و تلألأت خلال المدينة الغراء سواطع القبّة الخضراء، و حللنا ساحة تلك البقاع الطاهرات الموذنة بالتقديس، فكنا على الصفة التى ذكرنا بهذا التخميس:

[الطويل]

بقاع بأرواح المحبّن جأجأتفلما استبانتها الجسوم تثأثأت

و دانت لها هاماتها و تطأطأت(هنالك خضراء القباب تلألأت

بها رفرف الأنوار لألأؤه ازدهر)و ذا مسجد الهادى محلّ التذاذة

بتوضيح منهاج الهدى و اتخاذهو تيك مغانى نشره و نفاذه

و ذاك قباء و البقيع و هذهقباب أهاله الجهابذة الغرر)

فكم مدمع من خشية الله ساكبهناك و كم ماش إليها و راكب

و كاب لديها لازدحام المناكب(فليت مطايا الوهم كانت مراكب

الرحلة المعينية، ص: ۱۷۳ إليها أو الارواح تخدى أو الفكر)فلم أنتجع إلا فيوض سحابها

و لبّى مرهون بأيدى صحابهافيا لائما نفسى لطول انتحابها

(إذا ما حططنا الرّحل بين رحابها و داخلنا ذهل الملاقاة و الحير)

و مسّت على ما ضاع منّا ندامةو خامرت الأوصال منّا مدامة

و لاحت لميقات الوصال علامة(فلا لى، لا لى علىّ ملامة

فحالة مرء فاقد اللّبّ تغتفر)

دخولنا المدينة المنورة

فدخلنا المدينة المنورة بحمد الله قيلولة يوم الجمعة الموفى عشرين من شهر ذى الحجة الحرام، فتلقّى لنا عند باب المدينة المنورة السيد محمد عبد الله بن الشيخ محمد الخضر بن مايابى الجكنى و من معه من الإخوان و الموارد من الشناجطة الساكنين هناك و سلموا على سيادة الشيخ مربيه ربه و سائر الوفد و رحبوا و أظهروا غاية السرور بمقدمنا، و لهم أيام، كل يوم يظلون بباب المدينة المنورة فى انتظارنا خشية أن ندخلها بغير علمهم، ثم سار ابن الشيخ محمد الخضر بأمتعتنا إلى داره لننزل فيها.

الرحلة المعينية، ص: ۱۷۴

دخولنا المسجد النبوى و زيارتنا منه صلّى اللّه عليه و سلم

و ركب الشيخ مربيه ربه و أخوه الشيخ محمد الإمام و جامع الرحلة ما العينين عربية، و هى الآلة التى يركب فيها، و تجرها الخيل و البغال، قاصدين إلى الروضة الشريفة، و عندما هيأوا لنا أعرض جامعه عفا الله عنه عن ركوبها مع الشيخين، تواضعا لمدينته صلّى اللّه عليه و سلم، و رغبة فى المشى إليه على الرجلين، فقال الشيخ محمد الإمام: إنما الأدب فى ركوبك معنا، لأن هذه تكرمة لنا من رسول الله صلّى اللّه عليه و سلم، بعثها لنا بباب مدينته المنورة، و لا ينبغى رد تكرمته، فعلمت أن ما قاله أبلغ و أرفع مقاما فى الأدب، و ركبنا حتى وصلنا المسجد النبوى، فدخلناه بحمد الله من باب السلام، و صلينا فيه تحيته، فقمنا إلى محل المواجهة الكريمة من القبر الشريف.

أبيات أنشأها جامع الرحلة عند زيارته صلّى الله عليه سلم

[الخفيف]

فحططنا الرحال حيث يحطالوزر عنّا و ترفع الحوجاء

و قرأنا السلام أكرم خلق الله من حيث يسمع الإقراء

و ذهلنا عند اللّقاء و كم، أذهل صبّا من الحبيب لقاء

و وجمنا من المهابة حتّىلا كلام منّا و لا إيماء

و نحمده تعالى على ما فتح علينا به فى ذلك المشهد الأعظم من السلام عليه صلّى اللّه عليه و سلم، و الاستغفار و التضرع و الابتهال و الدّعاء لنا و لأهلنا و إخواننا و عامة المسلمين، ثم انحرفنا إلى مسامتة قبر أبى بكر الصديق رضى اللّه عنه، فسلمنا عليه، ثم إلى مسامتة قبر عمر الفاروق رضى اللّه عنه، فسلمنا عليه أيضا، و دعونا الله بما المرجو منه تعالى إجابته،

الرحلة المعينية، ص: ۱۷۵

و جادت القريحة حيث أكرمنا تعالى بزيارته صلّى اللّه عليه و سلم بهذه الأبيات:

[البسيط]

الحمد لله إذ لم يأتنى أجلىحتّى أنخت بباب المصطفى جملى

ظلمت نفسى، و إذ جئت الرّسول فقدأيقنت بالفضل أن الله يغفر لى

و من يجئك رسول الله مرتجيايجد ببابك أقصى السّؤل و الأمل

أنا العليل و ما الشّافى سواك لماأخافه فى كلا الحالين من علل

ثم جلسنا فى المسجد لانتظار صلاة الجمعة حتى صليناها، ثم قمنا لزيارته صلّى اللّه عليه و سلم أيضا، فلم يمكنا بلوغ المواجهة الشريفة لقوة الازدحام و كثرة الزائرين، فقرأناه صلّى الله عليه و السلام بحمد الله من حيث أمكننا الوقوف، و رأينا أن الأدب فى عدم مزاحمة الناس هناك، و أنشأت حين فرغنا من الزيارة بيتين و هما:

[الكامل]

زر حيث ما استطعت النبىّ مواجهافهواطل الرّحمات ثمّ غزار

ودع الزّحام إذا خشيت إذايةفبقاع طيبة كلّهنّ مزار

زيارتنا لأهل البقيع رحمهم الله

ثم بعد صلاتنا للعصر بالمسجد النبوى، و زيارتنا منه صلّى اللّه عليه و سلم يوم الجمعة المذكور، خرجنا لزيارة أهل البقيع، فبدأنا بزيارة فاطمة الزهراء بنته صلّى اللّه عليه و سلم و بضعته، و معها عمها العباس بن عبد المطلب، فسلمنا عليهما، و دعونا عندهما، و قد كان قبراهما رضى الله عنهما فى قبة، فهدمت فى جملة القباب التى هدمتها الحكومة السعودية

الرحلة المعينية، ص: ۱۷۶

بعد استيلائها على الحرم عام ۱۳۴۳، ثم ملنا إلى قبور بناته صلّى اللّه عليه و سلم الأخر، و قد كنّ أيضا فى قبة فهدمت كسائر قباب البقيع، ثم زرنا قبر زوجاته صلّى اللّه عليه و سلم، و قد كنّ فى قبة أيضا، فهدمت، ثم زرنا قبر ولده صلّى اللّه عليه و سلم إبراهيم، و قد كان منفردا فى قبة، فهدمت، ثم زرنا قبرى الإمام مالك بن أنس و أبى رويم شيخ القراء نافع، و قد كانا فى قبة فهدمت أيضا ثم سرنا لزيارة قبر عثمان بن عفان رضى اللّه عنه بجانب البقيع الشرقى، و قد كان منفردا فى قبة، فهدمت كغيرها، فلما هدمت هذه القباب المذكورة، بقيت القبور التى كانت وسطها فى وسط دوائر من الحجارة، موضوعة على أساس القباب مرتفعة على الأرض قدر شبر، و لم يرتفع معها غيرها، كما لا يسمح بدفن أحد معها فى سالف الزمن، لكن كل من مات من المسلمين هناك، يدفن فى عامة البقيع، ثم زرنا عامة أهل البقيع، خصوصا من عرفنا مبرة منهم، كالشيخ أحمد ابن الشمس مريد شيخنا الشيخ ماء العينين و نحوه، و دعونا الله هناك، و استغفرنا لهم و لأنفسنا و والدينا و أشياخنا، و أحبابنا و إخواننا المسلمين الأحياء منهم و الأموات، و الحمد لله على جميع النعمات، و على زيارة هذه البقاع الطاهرات، نرجوه تعالى من فضله مضاعفة الحسنات، و رفع الدرجات و غفران السيئات.

زيارتنا لشهداء أحد و مسيرتنا لزيارة مسجد قباء

ثم بعد قدومنا بيومين، خرجنا لزيارة عمّه صلّى اللّه عليه و سلم، سيد الشهداء حمزة ابن عبد المطلب، رضى الله تعالى عنه و سائر شهداء أحد، رضى الله عنهم فى سفح جبل أحد و قد كان قبر حمزة رضى اللّه عنه منفردا فى قبة، فهدمتها الحكومة السعودية كسائر القباب، و أما الشهداء، فقبورهم فى حائط مدور عليهم، ارتفاعه على الأرض قدر أربعة أذرع، ثم سلمنا على الجميع، و تبركنا بتلك

المشاهد الخيرية، و طلعنا مع سفح أحد إلى الصخرة التى روى أنه صلّى اللّه عليه و سلم طلع عليها يوم أحد فى شعبة هناك، للتبرك بآثاره صلّى اللّه عليه و سلم، و الدعاء بها، ثم انقلبنا فسرنا لزيارة مسجد قباء الذى أسس على التقوى، و ورد عنه صلّى اللّه عليه و سلم أنه قال فيه: «الصلاة فى مسجد قباء كعمرة» فصلينا فيه ما شاء اللّه بحمد اللّه، و حوله بئر أريس، و هى التى سقط فيها خاتمه صلّى اللّه عليه و سلم من يد

الرحلة المعينية، ص: ۱۷۷

عثمان رضى اللّه عنه عند أيام خلافته، و هى التى جلس عليها صلّى اللّه عليه و سلم، و كان أبو موسى الأشعرى بوابه، فجاء عثمان رضى اللّه عنه، فأذن له، فبشره بالجنة، و كذلك عمر رضى اللّه عنه، و كذلك عثمان رضى اللّه عنه على بلوى تصيبه، الحديث المشهور، فشربنا بحمد اللّه من تلك البير، و دعونا اللّه عندها و عند مسجد قباء، و رجعنا إلى المدينة المنورة، و بينها و بين قباء قدر سير ساعتين.

تنبيه فى ذكر تخميسنا لمديحية الشيخ أحمد الهيبة و تاريخ وفاته و ذكر التخميس تماما فى مدحه صلّى اللّه عليه و سلم

تنبيه، قد قدمنا شعرا عن تخميسنا لقصيدة العلامة الأستاذ الإمام الشيخ أحمد الهيبة ابن شيخنا الشيخ ماء العينين عند ذكر إشرافنا على المدينة المنورة، و هى قصيدة شوقية رائعة بديعة تدل على غزارة علمه و براعة بلاغه، و شدة محبته له صلّى اللّه عليه و سلم. و قد أنشأها رضى اللّه عنه قبل وفاته بقليل، و من اللّه على جامع الرحلة ما العينين بن العتيق بأن خمسها عام ۱۳۳۷، و هو عام وفاة الشيخ أحمد الهيبة، و لا شك أنه

الرحلة المعينية، ص: ۱۷۸

أنشأها قبل هدم قباب البقيع المذكورة بأعوام لأنه توفى قبله فلذلك قال فيما قدمنا من التخميس:

[الطويل]

و ذاك قباء و البقيع و هذهقباب أهاليه الجهابذة الغرر

و لا بأس بإثبات قصيدته رضى اللّه عنه، مع تخميسنا إياها بهذه الرحلة، لما اشتمل عليه الجميع من أمداحه صلّى اللّه عليه و سلم، و معجزاته و سيرته، و مدح صحابته رضى اللّه عنهم، نرجوه تعالى أن يتقبل منا و يتجاوز عنا، و يشفعه صلّى اللّه عليه و سلم فينا بفضله و كرمه- و قد اجتهدت فى مطابقة و ارتباط معانى التخميس و ألفاظه بمعانى القصيدة و ألفاظها فى أوائل أبياتها و أواخرها، و من تدبر ذلك يجده كذلك، إن شاء اللّه، فقلت غفر اللّه لى ما قلت و ما فعلت:

[الطويل]

سرى الوجد خلف الدّمع من مقتلى فدربمنسجم كالدّرّ من سلكه انحدر

فلمّا لحانى من على ولهى عثر(كفكفت انسجام الدّمع فانهلّ و انتثر

و عاد عقيقا بعد ما كان كالدّرر)و نبّه صبح البين لمّا تنفّس

ماقى لى من خمرة الوصل نعّسافعاد ارتياحى فى لعلّ و فى عسى

(و أبدل منّى من جوى البين و الأساسبات الكرى و النّوم بالسّهد و السّهر)

الرحلة المعينية، ص: ۱۷۹ فبتّ و بى ما ليس يستطاع دفعهو طرفى مخفوض على الخدّ دمعه

و جننى مرفوع على النّصب وضعه(و جفنى مبنىّ على الفتح رفعه

و لا يتأتّى فيه ضم و ما انكسر)و قد ضلّ لبى فى الهوى فنشدته

و لى خبر مذ غاب عنه وجدتهفكيف أصون الدّمع، هبنى رددته

(و قد كان لی لبّ مصون فقدتهفيا ليت شعری أين سار و ما الخبر؟)

لئن كان لبّی فی سبيل الهوی غویفما من شرود منه إلا به ثوی

فقل للألی لم يعرفوا درج الهوی(هلمّوا، اقرءوا ما الحبّ منّی و ما الجوی

و ما العشق ما أحلی الجميع و ما أمر)فكم مدّع بالحبّ يوما تلفظا

و لمّا يمز من الصميم من الشّظیو ما الحبّ إلا ما تثلج و التظی

(فيتلج ما بالمستهام من اللّظیو يوقد فی إثلاجه من لظی سقر)

و أمّا الجوی فالحقف فی القلب مكتمنو للعشق داء لا دواء به قمن

الرحلة المعينية، ص: ۱۸۰ و لم ينج من زمناه زمن زمنفسيّان فيه القرب و البعد و هو من

خفی الخفا أخفا و أظهر ما ظهر)ففيم ملامی فيه إن كنت ثانيا

إليه لما منه عنانی عنانياو قد طال فی تيهائه هيمانيا

(أهيم إذا ما شمت برقا يمانياو إن ماست الأغصان فی نسم السّحر)

أو أبصرت بالدّور اللّوائی تطمستو آرامها بين البطاح تكنّست

تناوير زهر النجم مهما تودّست(و توقاد أضواء النجوم إذا رست

أو اظلم ليل العاشقين أو اعتكر)و أدعو نحاة الحبّ هل كان معربا

يسلّمنی جمعا فمن يوم أشرباهوی الشرق قلبا لی فشرّق مغربا

(تغرّب جسمی فی التّولّه مغرباو غرب جفونی بالّدم انهلّ و انهمر)

فما أنا إلا مفرد متفرّقو إن أنا فی جمع المحبّين مغرق

فحتّی متی بالغرب جسمی يعرق(و قلبی بالشّرق الحجازیّ مشرق

الرحلة المعينية، ص: ۱۸۱ فهل لهما جمع و لو جمعا انكسر)أبی القلب إلّا عند طيبة ينزل

و عن غير مغناها له الدّهر معزلفدعنی لها من نائل الدّمع أجزل

(لئن شاق مشتاقا إلی البيض منزلفشوقی علی الخضر المطيبة انحصر)

لعمرك ما شوقی لدعد و مهددو سعدی و لأربع لهنّ و معهد

و لا أنثنی للدّلّ منهنّ و الدّد(و قد شاقنی ذكر الحبيب محمّد

إذا اشتاق أقوام إلی الدلّ و الخفر)و إن جنحوا للمنتدی و مغيثه

و سالف سلسال الصّبا و حديثهجنحت إلی غوث الوری و مغيثه

(و قد شاقنی لألاء ذكر حديثهإذا اشتاق قوم للثغور و للأشر)

و إن بكرا للّهو فی أرض ميثهمو لم يدعوا من جزلهم و غثيثهم

عدلت إليه عن سلوك حديثهم(و إن سمروا فی أنسهم و حديثهم

فسيرته عندی التحدث و السّمر) الرحلة المعينية، ص: ۱۸۲ و إن سهروا فی الخوض فی غمر بشرهمو ما ضاع فی الأرجاء من طيب

نشرهم

سبحت بغمر منه يزری بغمرهم(و إن سكروا بالشّرب من راح خمرهم

فراح حميّا حبّه الشّرب و السّكر)فلم استفق فی الحبّ من تيه سكره

و لا تيه ناء الوكر يشدوا بوكرهو لم أكثرت إلا بمعسول شكره

(فعلّل و دندن باسمه و بذكره‌و روّح و جانب فی تدندنک الخفر)

بمن لم أكن إلا به متعلّقاو لم أشم الّا برقه المتألّقا

و مقود عقلی فی الهوی منه أطلقا(فلا لوم لی إن همت شوقا إلی الّقا

و إن غاب عقلی عند ذلک أو حضر)فطوبی لمن ذكراه تسری بفكره

ليامن من غدر الزّمان و مكره‌و يحظی بتفريع المقام و عكره

(هناک يتيه التّائهون بذكره‌و ترميهم نار المحبّة بالشرر)

به الله أعلی الكون لمّا تدهدهافهبّت له بشرا شواديه مدّها

فلله وجه منه لاح ممدّها(به ازدانت الدنيا، به البشر ازدهی

الرحلة المعينية، ص: ۱۸۳ متی كان فی الدنيا، متی كان من بشر؟)تجلّت فجلّت كلّ طول و عيلة

به ليلة ريعت لها كلّ دولة فيا ليلة أنست ببشرای ويلتی

(و يا ليلة الميلاد، يا خير ليلةبک ازدانت الذنيا، بک الدين قد زهر)

بأمّ القری حيث المواقيت صلّيت‌و حيث المغانی بالدّيانة مليت

و حيث علی مولودک الآی أمليت(تحلّيت بالمولود فيک، و حلّيت

جيود اللّيالی من حليّک بالنّضر)و حلّ ربيع من حلاک بأرفع

مراقی العلی بالمستهلّ المشفّعفأنت مرعی و ارتباعی و مرتعی

(و أنت ربيعی يا ربيع و مرتعیبمولودک الأسمی استدام لنا البشر)

و إن تفتخر يوما قريش و تصطعدبمولودها تعنوا الرّقاب و ترتعد

فمن ذا يباريها بماذا ليتّئد(ألم يک خير الخلق تالله لم تلد

شبيها له أنثی يمينا و لا ذكر) الرحلة المعينية، ص: ۱۸۴ بلی إنه الفرد المعاد بجنحه‌و ما انشقّ فجر الكون إلا بصبحه

و ما من جواد يدّعی شأو سبحه(و من يدّعی من مادح حصر مدحه

فبالصّقر امتاز ادّعاء و بالبقر) فهيهات يحصی مدح من قطّ ما برى

له الله شكلا فی سماء و لا برى فدونک قطعا منه فی الدهر نوّرا

(فإن شئت إجمالا ففيه عن الوریلقد حصر الفضل المهيمن فانحصر)

و إن شئت تفصيلا فيعييک سبره‌و موّاجه الطّامی يؤودک عبره

و من أين لا يثنی مقاسيه حصره(و تفصيله يعيی الألبّاء حصره

ألم يكف ما تاتی به الآی و السّور)بلی قده مدحا ما به الآی جاءت

فماذا به يثنی عليه وراءتیو من ذا علی استنباطها ذو جراءة

(أ أهل الثّنا فأتوا بمثل براءةو فاتحة و الفتح و النّجم و الزّمر)

أو ايتوبطه و الدّخان و فصّلت‌و آياتهن اللاء فيهن فصلت

الرحلة المعينية، ص: ۱۸۵ أو الكهف و الشّوری و نون و زلزلت(أو إيتو بإحدی الآی و الآی أنزلت

عليه، فهل من بعد ذلک مفتخر)هناک ثناء للمجيدين شرعة

و ما لهم إلا بمرعاه نجحةو قد غمرتهم من طواميه جرعة

(أبعد ثناء الله مدح و رفعةو فخر و تفضيل لخلق من البشر)

نبيّ حبا الله البرايا بظلّهبتمزيق شمل الملحدين و فلّه

فقام بعبء الحقّ فردا و كلّه(فأظهره قهرا على الدّين كلّه

برغم على أهل النّفاق و من كفر)و ولّاه أمرى ما استبان و ما اكتمن

و أمّنه إذ لا يحاكيه مؤتمنعلى ما حوى ظرفا الأماكن و الزّمن

(و أرسله للخلق قاطبة و منسواه على جيل من الأمم اقتصر)

بالأرض طهورا، بل بها مسجدا يمنعليه و قسم النّعل حلا له يسن

و مغرباه لم تسمع جوامعه أذن(و ناصره بالرّعب شهرا و من يكن

له ناصرا قد عزّ و اعتزّ و افتخر) الرحلة المعينية، ص: ۱۸۶ بهاتى الخلال الخمس خصّ و فخّمو ما من فخار عن مناداه رخّم

وفانا بعمر فى رضى الله نظّم(به اقسم المولى فقال معظّما

لعمرك إن تفخر فحق لكَ الفخر)ألا حبّذا نور هدى كلّ عالم

و ما وصفه يدرى بكيف و لا كمو لا عوض يستقصى بفكر و لا فم

(رسول لعمرى سرّ طينة آدمو نقطة سرّ الكون الآتى و من غبر)

نفت ظلم الأهواء شمس ظهورهفنار سبيل الرّشد بعد دثوره

و منظره الوضّاح منذ سفوره(بصائر أهل الجحد كفّت بنوره

و عين يقين الحق إنسان من نظر)أقرّت به آماق سعد رفاقهم

فشقّ حشايا المشفقين اشتياقهم و هان لشقّ الصّدر منه انشقاقهم

(و شقّ على أهل الشّقاق شقاقهم متى عاينوا شقّين شقّ له القمر)

و آبوا لأوب الشمس للغدر و الإبافغادرهم أيدى سبا السّيف و السّبا

الرحلة المعينية، ص: ۱۸۷ و أعموا لما تخبى العكنباة من خبا(و قد خرسوا من نطق وحشية الظّبا

و وقع الظّبا فيهم و صارمة الذّكر) و صمّوا و مصغى الجنّ عنه تفحّص

متى لم يجد فى الجوّ للسمع مفحصاو صدّقه إذ لائح الصّدق حصحصا

(سقت يده جيشا بها سبّح الحصا و قد جاءه يختال فى مشيه الشجر)

و ما شاه ظلّ المزن جلّ قدرهو عن جوهر منه نفى الظّلّ بدره

يذام له نظم الجمان و نثره(إذا ما مشى فى الصّخر أثّر إثره

و إن سار فى حقف اللّوى خفى الأثر)أضاء سناه الخافقين تألّقا

و أنقد لّما انقاد يبدى تملّقا الرحلة المعينية، ص: ۱۸۸ سراقة من خسف دهاه تعوّقا(و حنّ له جذع النخيل تشوّقا

فلله جذع حنّ للشّوق و اذّكر)و اذهل كسرى بانصداع أنيقه

و هال أبا جهل بعنف فنيقه و من فيه يمحو البرق ظلم بريقه

(و قد عذب الماء الأجاج بريقه كما رىء فى الظّلماء من نوره الإبر)

به الله من بعد الضّلالة أرشداو أجرى بكفّيه المقادير مرشدا

فما شاء من منع يكون و من جدىو لو شاء قلب الصخر يقلب عسجدا

و لو شاء منه اللين يقلب كالوبر)و لو شاء أن أرسى زائد الموج ناقصا

و حوّل أطواد الرّواسى رواقصاو لو شاء أنّ الغور يقلب قالصا

(أو أنّ الحصى تبرا من الأرض خالصاو خالص تبر العين يقلب كالمدر)

و لو شاء رجّ الأرض يوما لرجّتو لم تزج فلك لو أراد بلجّة

الرحلة المعينية، ص: ۱۸۹ و لا فلك يجرى لتدوير حجّة(أتى صفر لو شاء فى عشر حجّة

و لو شاء كان العيد فى العشر من صفر)و لو كلّم العظم الرّميم تكلّم

و لو شاء كان اليوم ليلا لأظلمأو الليل يوما عن ضياء تبسّم

(أو الأرض كانت كالسّماء أو السّماهى الأرض لا زهر هناك و لا قمر)

و لو شاء أعلى الوعل فى اللّجّ جالهو بين الرّعان النّون أجلى مجاله

و جمّ الإضا جمر الغضا لاستحاله(و نجم الثّرى نجم السّماء أحاله

و زهر السّما عادت هى النجم و الزّهر) إمام لإيجاد العوالم غرّة

و فى الختم لاحت للهدى منه درّةو لولاه ما امتازت فجار و برّة

(و لو شاء لم تخلق من الكون ذرّةفمن شاء فليومن و من شابه كفر)

أليس تعالى جّله الأذن أسبلاعليه، و لم ينشئ سوى روحه بلى

و فضّل إذ سمّاه أحمد أفعلا(فإن تفهم المعنى سلمت و ما على

الرحلة المعينية، ص: ۱۹۰ مصّحح معناه الغباوة فى البقر)يمينا و من يقسم بمعطاه أقسما

لقد عزّ ما فى الأرض أعطى و السّماو ما زال فى أمر العطاء محكّما

(فقد قال سل تعطه مفضّله كماأتى فى الحديث القدس عنه و فى الأثر)

و ما ساد إلا منه كلّ مسوّدو راحته ملقى بها كلّ مقود

و دانت له الأعناق فى كل مشهد(فيا رائما فى الكون شبه محمّد

فبطن يد الانسان هل ينبت الشّعر)أما و الذّى منه البريّة أنعشا

بنور هدى، و الغىّ ألبسها العشافلم يعش عنه غير أعمى و أعمشا

(لأحلم من أغضى و أفضل من مشىو أكرم من أعطى و اسمح من غفر)

فيا سعد من أمسى من الناس وفدهيوافيه ما أوفى و أوفر رفده

فلا مال إلا للنّوال أعدّه(فسيّان ألف من جواهر عنده

و جوهر فرد الأرض و البدر و البدر)تولّى شؤون الكائنات فأقسطا

على أيّما حال تلطّف أوسطا الرحلة المعينية، ص: ۱۹۱ فما أطلق الكفّين منه و أبسطا(عطاء بلا منّ و لا سأم العطا

و يطلق وجها للعفاة إن اعتذر) بسيب و سيف تمرة السّودد اجتنى

و أسّس أركان الدّيانة و ابتنىفيا حسن ما أقنى من المجد و اقتنى

(فكم من فقير من غنائمه اغتنىو كم من غنىّ من كتائبه افتقر)

فما زال يعلو بالغزاة نحيبهو ضاق عليه فى الفضاء رحيبه

و خيّبه طاغوته و صليبه(فللّه بدر كم حواه قليبه

و كم أسروا فيه و جرّوا إلى سقر) و عن مصرع ما زاغ حاشاه جفنه

فلا قرن إلا ثمّ أصماه قرنهو أرداهم شؤم النّفوس و يمنه

(فأين أبو جهل و عتبة و إبنه؟و شيبة و العاتى أميّة الأشر)

و أين سراة المنتدى و نديّهم؟و أين أثاث المترفين و ريّهم؟

و أين أذى المستهزئين و غيّهم؟(و أين الصناديد الطّغاة و بغيهم؟

الرحلة المعينية، ص: ۱۹۲ و طغيانهم و السّحر و الهزء و البطر؟) و أين عناد المعتدين و حربهم

و مستلئموا البيض المواضى و ضربهم؟و أحزابهم فى التّرهات و صحبهم

(تفرّق بالهندىّ و السّمر حزبهمو بالمشرفيات اللّدان شذر مذر)

لوى خيله نحو اليهود و رجلهفألزمهم رعب الصغار و خبله

قريظة أفنى و النضير أذلّه(و خيبر لم تحص العبارة قبله

زهاها فضارت عبرة لمن اعتبر)و فى أحد و الخندق اعتزّ قدره

و لم يغن تحزيب العدوّ و غدرهو يوم حنين للعدى كيف قهره

(و لم أنس يوم الفتح لله درّهفهل لهم من بعده الهزء و السّخر؟)

تعرّوا عزاء الجهل لو لم يهنهمو ما أغنت العزّى و لا اللّات عنهم

و لا عزّة السّمر اللّواتى لدنهم(فكم منهم أخزى و أخجل منهم

و كم منهم أجلى و كم منهم هدر) الرحلة المعينية، ص: ۱۹۳ و كم قتلت قوم تحاول قتلهو أخرى توارى بالخديعة ختله

لتنقض ما الجبّار أبرم فتله(و كم سلمت من بعد أن أسلمت له

و سلّمت أقوام سمت و اختفت أخر)فعاد الوغى من كان موقد جمرها

فما فيه أروى من قناها و سمرهاو أمسى بيمناه الدّرور بغمرها

(زمام المعالى و هو مالك أمرهاو درّة أعلاها و استبرق الحبر)

ثنت نخوة عن خاطبيها له الرّسنفحينئذ حقّ الثّناء لها الحسن

أبو عذرها من لم يلد مثله زمن(و عاقدها جبريل صاجبه و من

سما فوق أملاك المهيمن و اشتهر)فكم توّقت من طاب فرعا و محتدا

فكفّت أكفّ التّوق عنها و الاجتدىو قيّدت إلى من ليس إلا به اقتدا

(و شاهدها ختم الرّسالة و ابتداذكا نوره من قبل أن تخلق الصّور)

و لمّا أتمّ العقد و إليه مقعداشهيديه و الأفراح أوفته موعدا

الرحلة المعينية، ص: ۱۹۴ و فوّض شأن المهر للبعل مسعدا(بماضى سيوف الهند فى مفرق العدا

بسنّته السّمحا بشرعته مهر)فتاهت على أترابها و استطالت

و زفّت إلى حيث السّعود توالتفأرخى عليها ستر كلّ جلالة

(و أنتج منها محو كلّ ضلالةإلى أن أنار الدّين بالحقّ و انتشر)

له عنت الأبصار لمّا بها اعتنىو أحرز منها كلّ قطف و مجتنى

و هدّ بناء الشرك لّما بها ابتنى(فأين القياصير العلوج و ما اقتنى

هرقل و كسرى الفرس ملكا و ما ادخر)فبشّرها باليمن تغريد طيره

و هنّأها نادى الفخار بخيرهمتى الكلّ عنها كلّ تدءاب سيره

(و يا رائما منها اقتطافا بغيرههبلت، له الأبنا، و للعاهر الحجر)

فجد رسول الله منك بنفحةتقينى خطايا قلّدتهنّ صفحتى

فقد كنت روح الدّار الأخرى و روحهٔ(فلو كان خلق الله أغصان دوحهٔ

لكنت لها نورا، و كنت لها ثمر) الرحلهٔ المعينيهٔ، ص: ۱۹۵ و لو كان بيتا كنت عرشا مترّصاو كنت الحلى و الحدّ لو كان مخرّصا

و لو كان وفدا كنت متى و ملحصا(و لو كان نجما كنت شمسا أو الحصى

لكنت هو الياقوت و التّبر و الدّرر)و لو كان سمطا كنت درّهٔ نظمه

و لو كان قوسا كنت ريشا لسهمهو لو كان قلبا كنت نقطهٔ علمه

(و لو كان جسما كنت روحا لجسمهو رأسا لكنت السّمع و النّطق و البصر)

فيا حبّذا أما من جمال و بهجهٔلطه و ما يمليه من صدق لهجهٔ

محيّاه شمس فى غياهب دجهٔ(و منطقه فصل بأبلغ حجّهٔ

و لا نزر فى ذاك البلاغ و لا هذر)فيا فوز من يحسو سلافهٔ و عظه

بمسمعه يصغى إليه و لحظهمعانيه من داء الضّلال و كنظه

شفاء، فما أحلى عذوبهٔ لفظه و معسوله، فالشّهد منها بلا إبر)

به نال للرّشد الحيارى توصّلابما من نظام الدّرّ أبهى تفصّلا

الرحلهٔ المعينيهٔ، ص: ۱۹۶ و أحلى من إيباء الحبيب تدلّلا(و اشهى من الرّاح العقار تعلّلا

و الآوبهٔ بعد الغنم من وحشهٔ السّفر)و من نضرهٔ الأزهار فى عين رامق

و من صورهٔ المحبوب فى ذهن وامق و من نفحهٔ الكافور فى أنف ناشق

(و من نغمهٔ المعشوق فى أذن عاشقو خلسهٔ مشتاق لمن شاقه النّظر)

ألا طالما اشتقنا لطيبهٔ غيبهٔفإنّ لها منه وقارا و هيبهٔ

و لم يخش يوما زور طيبهٔ خيبهٔ(هنيئا، و يا طوبى لمن زار طيبهٔ

و لم تثنه عنها الملامهٔ و الزّور)ليثرب لا تثريب أن ثار حبّنا

و أتعب فى تطلابها الخوص خبّنا و لم يستطب إلا لطيبهٔ هبّنا

(فطيبهٔ طيب الطّيب، طيبهٔ طبّناو مرهمنا تريا‌قنا إثمد البصر)

فجرّد إليها كلّ عزم و همّهٔو حثّ المطايا مرسلات الأزمّهٔ

فلم تن مهما نحوها العيس زمّت(بها راحهٔ المهموم من كلّ غمّهٔ

الرحلهٔ المعينيهٔ، ص: ۱۹۷ و راح ارتياح النّفس من كربهٔ الكدر)و كم من عيون امّنتهن و جرهٔ

متى حلّ منها المصطفى خير حجرهٔتحلّت به أبهى و شاح و عجرهٔ

(مقرا له اختيرت و دارا لهجرهٔ فأكرم بها دارا و أكرم بها مقر)

بقاع بأرواح المحبّين جأجأتفلمّا استبانتها الجسوم تثأثأت

و دانت لها هاماتها و تطأطات(هنالك خضراء القباب تلألأت

بها رفرف الأنوار لألاؤه ازدهر)و ذا مسجد الهادى محلّ التذاذه

بتوضيح منهاج الهدى و اتخاذهو تيك مغانى نشره و نفاذه

(و ذاك قباء و البقيع و هاذهقباب أهاليه الجهابذهٔ الغرر)

فكم مدمع من خشيهٔ الله ساكبهناك، و كم ماش إليها و راكب

و كاب لديها لازدحام المناكب(فليت مطايا الوهم كانت مراكبى

إليها أو الأرواح تخدى أو الفكر) الرحلة المعينية، ص: ۱۹۸ فلم انتجع إلا فيوض سحابهاو لبّى مرهون بأيدى صحابها

فيا لائما نفسى لطول انتحابها(إذا ما حططنا الرّحل بين رحابها

و داخلنا ذهل الملاقاة و الحير)و مسّت على ما ضاع منّا ندامة

و خامرت الأوصال منها مدامةو لاحت لميقات الوصال علامة

(فلا لى، لا لى لا علىّ ملامةفحالة مرء فاقد اللّبّ تغتفر)

و أرحل مفتون المرافق اصحرااإذا الرّكب منها صوب مكّة أسحرا

لأحظى بحجّ البيت فيها و أنحرا(أعفّر خدّى فى حراء و من حرا

أطوف ببيت الله فى الحجّ و العمر)و بين الصّفا أسعى لتصفو قربتى

و مروة سبعا كى أفرّج كربتىو أسرع بين العدوتين بشعبة

(و أضرع فى أخذى لأستار كعبةو أدعوا مجابا فى الحطيم لدى السّحر)

فلا تفرقى يا نفس ممّا جنيتهو قد لذت بالمأوى الحرام و ريثه

ألذّ بريّا وصله و كميته(و أركع فى محراب مسجد بيته

الرحلة المعينية، ص: ۱۹۹ و أكرع فى سلسال زمزمه تير) و أشرع فى تلك المناسك مذعنا

لأقضيها حقّا به كنت ممعناو إن عجت للتحصيب لا آل مدمنا

(أمرّغ خدّى فى المحصّب من منىو أهدى، و بعد الهدى أحلق للشّعر)

و أركن للرّكن الذى بمعاذهلمستلم إيّاه أشهى لذاذه

و أصدع بالتكبير مهما أحاذه(و من بين ما هاذه و ذاك و هاذه

أقبّل فى كلّ المناسك للحجر)و أجمع فى جمع و أبكر مشرفا

على مشعر لا أبتغى عنه مصرفاو أدعوا إلى الإسفار عنسى موقفا

(و فى عرفات الحجّ لم أنس موقفافكم عزّ من باك و أجرى من العبر)

و أرتاح للبطحاء أحيى بتربهاو بالحصيات السبع أرمى بقربها

ثلاث جمار ثمّ أغرى بحبّها(منازل منها، بعثه ليتى بها

أزور على ترتيبها أقتفى الأثر)منازل لا أرضى سواهن منزلا

على خير مبعوث بها الوحى أنزلا الرحلة المعينية، ص: ۲۰۰ و سنّ بها الحجّ المرتّب موئلاو ليس على ترتيب ما بعثت إلى

تراتيبه شعرا قرائح من شعر)أحاط الورى من موبقات الغوائل

و كلّمت على تاليهم و الأوائلطوامى بحار المدح منه السوائل

(ففى مدحه قسّ و سحبان وائلسيّان هما أو باقل و أبو حذر)

فكم غاصت المداح فى زفر الثناو ما منهم من عن فرائده انثنى

و أبدوا يواقيت القوافى فما وقى(مثالهم للعجز و العىّ و الونى

و هل يدرك الغوّاص ما اضمر الزّفر) فما البحر إلا من نداه كرشحة

و ما الشّمس إلا من سناه كلمحةو ما المسك إلا من شذاه كنفحة

(و ما مدح يوما بأبلغ مدحةتطاول إلا عن مدائحه قصر)

خليليّ مدح المصطفى بفسيحهمتيه بليغ المحتكى و فصيحه

فلا تحسبانی أدّعی ذرع فیحه(اقرّ بأنّی عاجز عن مدیحه

و من سامه حصرا فقد ربح الخسر) الرحلة المعينية، ص: ۲۰۱ فسیحا معی فی روضه و اسرحابهو لا تبرحا ما اسطعمتا برحابه

فمن لی بکنه المستقی بسحابه(و من لی بمستوف ثناء صحابه

نجوم الدّیاجی صفوة البدو و الحضر)ولاة هداة ما استمیلوا بزخرف

و لا مشتکی للّذین إلا بهم شفیو ما منهم إلا و بالمصطفی اصطفی

(و باعوا نفوسا بعد أن بایعوه فیرضی الله، لابیع احتکار و لا غرر)

فمن کأبی بکر إمام طریقهخلیفته سحم المحیّا حلیقه

مرافقه فی المنزلین، صدیقه(أرونی، أرونی کالعتیق رفیقه

و إلّا أرونی مثل سیّدنا عمر)أرونی کالفاروق، مبهج دهره

بمنهاجه الجاری علی متن ظهرهو مردی العدی عنه بسلطان قهره

(و إلا أرونی مثل عثمان صهرهو مثل أبی السّبطین حیدرة الزّفر)

الرحلة المعينية، ص: ۲۰۲ فذلک ذو النورین من فاز فی الألی‌تحلو بما للسبق بالخیر من حلی

و ذاک علیّ هل مسام علاه لاهو المهجر الأسمی و منتخب العلی

و فتّاح أشکال إذا حارت المرر) و حیث التظی جمر الوغی و تسعّرا

و کادت لها الأکباد أن تتفطّراو ضاق علی الأقران متسع الذری

(تصیر هباء عنده أسد الشّریو ما تلبث المرآة أن لاقت الصخر)

هم الخلفاء الرّاشدون هل امترواحشاهم، أرونی هل ترون و لن تروا

شبیه اولاء الرّاشدین و ما اقتنواو طلحة أو شبه الزّبیر و سعد أو

سعید و من حاکی ابن عوف و ما ادّخر)ته التّسعة السّادات بشّرها النبی

فطوبی، فکم أجر تلقّوه مجنب فمن یبغ شبه التّسعة الدّهر یدءب

(و شبه أمین الأمة المرتضی أبیعبیدة ختم المسک للسادة النّضّر)

هم عشرة، غر، سراة، أعزّةتلابسهم عند المکارم هزّة

الرحلة المعينية، ص: ۲۰۳ فهل عزّهم بالله تحکیه عزّةو هل أسد الله الغضنفر حمزة

له من یضاهی من ربیعة أو مضر) فتی المجد، عمّ المصطفی عضب ضربه

إذا زلّت الأقدام، مقدام حربهفهل یشبه العمّ الشهید بجنبه

(أو الأنجب الأسمی أبو الفضل من بهأبو حفص یستسقی فینسکب المطر)

کلا عمّی الهادی به الدّین أیداو صین به حصن الیقین و شیّدا

فما الفضل إلا حیث هذان قیّدا(أو الحسنان الهاشمیان سیّدا

شباب جنان الخلد نادرتا السّمر)من الفخر حلّا کلّ وهد و عدوة

بأشرف بیت ضمّه صدر ندوةفلذ بهما فی کلّ ممسی و غدوة

(فکم أنجبا من قدوة بعد قدوةو کم من نجیب فاق منهم و قد مهر)

سماة علی عجم السّموّ و عربهبقرب البنیّ المعنویّ و قربه

فکم منهم حام حماه بذبّه(و کم منهم فی الکون قطب بربّه

تصرّف أو غوث تصرّف أو ظهر) الرحلة المعينية، ص: ۲۰۴ فنعم بنو الزّهراء من نصّ أنّهم‌بنوا صلبه الماحى، و يا نعم من هم

صحابته المرضيّ فى الله عنهم(و من هاجروا الأوطان و الإلف منهم

و لم يثنهم خوف، و لم يثنهم حذر)نضوا فى رضا الله الحسام المهنّدا

و ذا دوا عن الدّين المريد المفنّدا أساة النّهى إن للهدى مسّهنّ دا

(عيون العلى تيجانها أبحر النّدىليوث الوغى نور الظلام إذا احتضر

تناوير زهر الكون أعلام بيده‌سواد مئاقيه تقاصير جيده

مقيموا سبيل الحقّ، محيوا وئيده‌فذاك فتى النّادى و بيت قصيده

و خنصره الأسمى المطاع كما أمر).و ذاك له خمر الشّهود مخامر

و ذلك بالمعروف قاض و آمرو هذا عن الفحشاء ناه و زاجر

(و ذا عن تليد المال منهم مهاجر)و طارفه البيض و الكوم و الحير)

فما اصطحبوا غير القنا السّمهريّةو غير صماصيم الظّبا المضرية

الرحلة المعينية، ص: ۲۰۵ فكم رفضوا من روضة خضرية(و كم غادروا من غادة قمريّة

تباهى ضياء الزّبرقان إذا بدر) هم السّابقون الأوّلون فما قصا

مداهم يدانيه مبار و إن قصافمنهم توارى البطل و الحقّ حصحصا

(مآثرهم لا تنقضى أو للحصىعديد و موج البحر عدّ إذا زخر؟)

و نعم الحماة الموثرون تحمّلاأولى الهجرة الفضلى عليهم تفضّلا

معادوا عدى المختار مردا و أكهلا(و أنصاره أكرم بأنصاره الألى

بهم عزّ دين الله و اعتزّ و انتشر) فلله ما أعلى و أبهى شموسهم

و اشهر فى نادى الأشاوس شوسهم و أقصر عن داعى المزايا جلوسهم

(لقد بذلوا أموالهم و نفوسهمو آووا رسول الله فى العسر و اليسر)

قفاة النبيّ المقتفى و جنوده‌إذا نشرت أعلامه و بنوده

فسادوا بمن ما فى الورى من يسوده(أولئك أبطال الوغى و أسوده

الرحلة المعينية، ص: ۲۰۶ إذا اصفرّت الأساد و انتفخ السحر)يشوقهم كالشّوق للظّلم فى اللّما

لموح المواضى إذ دجى النّقع أظلماو عاد خطيب القوم للهول أبكما

(و هزّ الرّماح السّمر يطربهم كمايطيرون عقبانا إلى رنّة الوتر)

بتفضيل جمع الصّحبة انعقدمن الامّة الإجماع حتما ليعتقد

فجمع يوازى منهم الفرد مفتقدو فرد جميع الصّحب جمع و عنه قد

تقاصر أهل المجد فى الظّل و القصر)هنيئا لمن أروى حشاه و قلبه

هواهم كما يروى الخدلّج قلبه‌و من لهم فى الله أخلص حبّه

(فيا خاتم الرّسل الكرام و صحبه‌أضفت لكم نفسى و إنّى على خطر)

فما أنا إلا خديمكم و لن‌أزال، و إن غيّرت فى السّرّ و العلن

مضافا إلى مغربى ضميركم الزّمن(فلا تجعلوا بين المضاف و بين من

يضاف له فضلا و لو زلّ أو عثرليذهب تنكير المضاف معرّفا

بمن كان من كلّ المعارف اعرفاو كونوا عليه من آخى و أعطفا

(و حاشاكم أن تجعلوه و لو هفاكغالب ما يأتى للولا من الخبر)

الرحلة المعينية، ص: ۲۰۷ ولى فليكن من موجب الخفض مانعلأن بكم فى مبتدا الفضل رافع

و لا يك عن إتباع وصفى قاطع(و من شرف المتبوع يشرف تابع

و من جالسه العطار طيّبه العطر)و يا سائر الأصحاب درعى و شلّتى

و من لم ينو عن هجرتيهم لأكّهٔ و من نصروا رغم العداهٔ المدكّهٔ

(و يا أهل بدر و البقيع و مكّهٔو من بايعوا طّه بمفردهٔ الشّجر)

و يا معشر الأملاك أعوان حزبهو من بكم يحمى السمّاء بشهبه

و من خصّه منكم تعالى بقربه(فإنّا توسّلنا بكم للذى به

توسّلنا لله فى نيلنا الوطر)و سيلتنا العظمى، حظيرهٔ سعدنا

مشفّعنا المحمود، منجز وعدنامؤملنا المبرور مصباح رشدنا

(محمّدنا المختار، كعبهٔ قصدنامقضى اللّبانات الملاذ من الغير)

ألا يا شفيع المذنبين تكفّلايا من له تعنو الوجوه تدلّلا

و يا موسع العافى جدى و تذلّلا(أناشدك الله الكريم تفضّلا

الرحلة المعينية، ص: ۲۰۸ فمنّ علينا بالمراد و بالظّفر)و منك أقم بالقسط فى الفضل وزننا

و أذهب و أبدل بالمسّرات حزنناو وال و واصل بالسّعادهٔ يمننا

(و كن حصننا من كلّ خوف، و أمنناو معقلنا، أنت المؤمّل و الوزر)

و آمّن و احم و احفظ و انصر و عمّرنو حط كلّنا، و امح الخطايا و كفّرن

و فينا ينابيع الهدايهٔ فجّرن(و فلّ، و شتّت، صدّ و اهزم و دمّرن

أعادينا، لا تبق منهم و لا تذر)و قلّل سراياهم، و أضرم شذاهم

و كثّر سباياهم، و أخمد جذاهمو لا تقذ منّا مقلهٔ بقذاهم

(و ضنّ بنا عن ضرّهم و أذاهمفلا بوس نلقى من عدانا و لا ضرر)

و إنّى لك الّهمّ مبسوطهٔ يدىو مستشفع باسم الجلال المحمّد

و أسمائك الحسنى لتقضى مقصدى(و أنشدك اللّهمّ بالنّور أحمد

فأجر و حرّك بالمراد لنا القدر)و نوّر بذا النّور المنير سراجنا

بصائرنا و اجلو انطماس انبلاجناو فينا غدا شفّعه قبل انزعاجنا

(و مر لى إلهى بالقضاء لحاجنابلا مهلهٔ كالبرق و اللّمح للبصر)

الرحلة المعينية، ص: ۲۰۹ و أظهر به فضلا على الكون فضلناو شمل العدى بدّد، بجمعك شملنا

فإنا حططنا عند بابك رحلناو إنّا غلبنا غالب فانتصر لنا

أيا غالب الغلاب يا خير من نصر)و أحى على وفق الهدى كلّ شرعهٔ

بنا و بنا أيّا أمت كلّ بدعهٔو مزّق بنا الأعداء فى كلّ بقعهٔ

(و عن بيضهٔ الإسلام فرّج بسرعهٔو نسبتنا و اكشف عن الأمّهٔ الضّرر)

و تدى الأيادى كن علىّ مدرّهاو نعماك شكرا أولنى مستمرّها

أيا واهب الالآء لى و مقرّها(أدم نضرة الدنيا علىّ و برّها

و خيراتها و العزّ و النّصر و البشر)وهب لى فتحا بالسّعادة موذنا

و جزما به أحيى بوعدك موقناو نصب صراط بالهدى منك معلنا

(و خفضا لعيش العمر فى منتهى الغنىبأحكام رفع القدر لا أدوات جر)

و روّح بك اللّهمّ روحى و البدنو لا تطبنى عنك البطالة و الدّدن

و عنّى تحمّل ما تحمّلت من مؤن(و أسألك الإسعاد و الحظّ لى، و أن

الرحلة المعينية، ص: ۲۱۰ تديم علىّ السّعد و الحفظ و الفجر) و أرجوك أن أحظى بيسر مشفّع

بعمر طويل فى رضاك مقطّعو تقطع إلا فيكبالفضل مطمعى

(و تثبتنى عند النّزوع و كن معىو عند مماتى و التّوجّه للحفر)

و تبّث يقينى، ثمّ لا ألق دهشةو زدنى سرورا باللّقاء و بشّة

و لا أخش من أجناد بطشك بطشة(و لا أرى فى قبرى مضيقا و وحشة

و فى الحشر لا ألقى و ما بعده ضجر)إلى أن أرى لى مقعد الصّدق مقعدا

مع المتّقين الغرّ عندك مسعدابقربى إمام المرسلين محمّدا

(و تنزلنى أعلى الجنان مخلّداو آكد حاجاتى إلى وجهك النظر)

و حقّ نجاحى مذ إلى بارئ الورىتشفعت بالمختار أكمل من رى

و بالصّحب فى إتمام قصدى ميسّراو صلى على النور المقدّس من سرى

به ليلة الإسرا على منتهى السّدر)و شرّف معراج السّماء ببدره

و أودع سرّ الكائنات بصدره الرحلة المعينية، ص: ۲۱۱ و صيّر مجلى الذّات مرآة درّه(و كلّمه فردا مشرّف قدره

و ما زاغ منه أو طغى ثمّة البصر)و لا زال مسمى أفضليّته على

سماة العلى فهو المحيط بما علايعوّده ما اعتادت الغزلة الفلا

(صلاة سمت فضلا على غيرها فلايحيطه و هم لا و لا ألسن الفكر)

و عظّم تعظيما تخرّ له القنو كرّم تكريما تضاعفه المنن

مكانته ما رنّحت شمأل فنن(و سلّم تسليما عليه يجلّ عن

مساومة الإحصاء و العدّ و القدر)و الآل الألى ما عن هداه تبرّم

و أمرهم فى مسلك الصّدق مبرمو من هو بالدّين الحنيفىّ مكرم

(سجيس اللّيالى ما تشوّق مغرمو ما غرّدت ورقاء فى مورق الشجر)

و الحمد لله الذى أكرمنا بمنه و فضله بحج بيته المحرم، و زيارة قبر نبيه صلى اللّه عليه و سلم المعظم، حتى أنشدنا هذا التخميس بالحرم النبوى و غيره من المدائح النبوية كقصيدتنا الدالية المتقدم ذكرها فى أوائل هذه الرحلة و كقصائدنا الثمانية و العشرين المسماة «مطالع الأنوار فى مدائح المختار» التى ذكرنا صفتها فى أوائل الرحلة، و أثبتنا منهن ثلاثا فيها هناك.

الرحلة المعينية، ص: ۲۱۲

مطلب كونه صلى اللّه عليه و سلم يشفع فيمن مدحه و لو ببيت

و قد أكثرنا بحمد الله أيامنا بالمدينة المنورة من إنشاء أمداحه صلى اللّه عليه و سلم، تقربا و استجلابا لبركته و شفاعته صلى اللّه عليه و

سلم، لما ورد فی بعض الآثار من أنّ من مـدحه صـلی اللّه علیه و سـلم، و لو ببیت واحد، کان شـفیعا فیه یوم القیامهٔ، و سواء فی ذلک أنشأ البیت أو أنشده، کما نظمه بعض الأجلهٔ فقال:

[الرجز]

و مادح النبی ببیت کاناله شفیعا فی القیام جانا

و فی الشفاعهٔ استواء من حکیو منشئ البیت السجلماسی حکی

و من أحسن ما أنشد فی المدائح النبویهٔ تلک الأیام، بذلک البلد الحرام، قصـیدهٔ الأستاذ الشیخ مربیه ربه التّائیهٔ، و قصیدهٔ صنوه الشیخ محمد الإمام الهمزیهٔ، فلکتا القصـیدتین لا تجاری فی مجالها، و لا تحاکی فی منوالها، لم یکن لهما شبیه فی الإجادهٔ و حسن الصناعهٔ، و تمام البلاغهٔ و کمال البراعهٔ و کیف لا و الشیخان الفریدان هما اللذان نظما فرائدهما و زفّا إلیه صلی الله علیه خرائدهما:

[الطویل]

فهل ینبت الخطی إلا و شیجهو تغرس إلا فی منابتها النخل

و قد اقتضی النظر إثباتهما فی هذه الرحلهٔ لإقرار عین الناظر، و تنشیف أذن السّامع، بما اشتملتا علیه من المحاسن و البدائع.

الرحلهٔ المعینیهٔ، ص: ۲۱۳

قصیدهٔ فی مدحه صلی اللّه علیه و سلم للشیخ مربیه ربه

فأما مدیحیهٔ الشیخ مربیه ربه التائیهٔ فهی :

[البسیط]

آثار ربع أثارت عند ذکرتهمکامن الشّوق فاشتدت بزورته

حیّاه جود الحیا بدیمهٔ سحراأروثه لا زال یرویه بدیمته

هبّت علیه الصّبا تنصبّ من صببلو لا الصّبا ما صبا صبّ لّصبوته

فأومض البرق وهنا فوق کلکهطورا یمینا و أحیانا بیسرته

بتنا علی أنس منه و بات علیأرجائه بین یسراه و یمنته

و أصبح المزن ینهمی بهجهجهو زمزم الرّعد فیه طول لیلته

ما البرق للرّبع إلا کان مرحمهٔیرثیه فی ظبیه من بعد فرقته

الرحلهٔ المعینیهٔ، ص: ۲۱۴ ظبی أغنّ مصاده الأسود و قدأو ثقته بفؤادی خوف نفرته

غصن سقایته عینی و منبتهقلبی، عجبت لمسقاه و منبته

نشوان یعثر فی مرط الشباب و لمیرحم مشوقا و لم یقل لعثرته

تحمّل الربع من فقدانه أسفاما قد تحمّلت شوقا عند رؤیته

لهیب و جنته بین الضلوع، و منـدمعی أخاف علی لهیب و جنته

آنست نار الهوی حتی أنست بهاو الزّند لم یشک من نیران قدحته

یا وجد شأنک و الحجا ودع و مقاما غیر من زلّ مأخوذ بزلّته

ما لاح برق سوی نور النّبیّ و ماذیالک الوجد إلا من محبته

أری حیاتی مماتی فی محبّتهیا لیتنی کنت من أرباب حضرته

أسکنته فی جنانی و هو جنّتهسقیا نعیم جنا قلبی و جنّته

سقاه راح الهوى صرفا و علّلهفلم يزل صاحيا فى حال سكرته

أصل المكون نوره و مبدأهو المنتهون تناهوا دون بدأته

الرحلة المعينية، ص: ۲۱۵ من الملائك إلا أنّه بشرهو النبىّ و آدم بطينته

محجّة الله، و هو عين حجّتهو حجّة الله تجرى فى محجّته

صدر المناصب فصل فى قضيّتهغزر المواهب عدل فى رعيته

و قدر همّته بقدر منصبهلأن منصبه كفء لهمّته

تعنو الوجوه لوجهه و وجهتهتهدى أسنّته الاعدا لسنّته

خطّ استواء المعالى شمّ أجبلهايشفى صدور العوالى بطش حدّته

أحاط بالدّهر علما لم يزل عجبايقلّب الدّهر فيه جفن حيرته

ودّ الكواكب أنّها مواكبهأو بيضه و خطاها دون خطوته

ينهلّ جودا و ينهلّ الغمام فذاتطبّع و هو طبع فى خليقته

تودّ هالة بدر التّمّ ناديهو دارة الشّمس من ضرّات حبوته

لو كان للخضرم الطّامى سماحتهلم يخزن الدرّ عن غوّاص درته

محا نحوس العدا ميمون طائرهو طائر النصر يشدو فوق دوحته

الرحلة المعينية، ص: ۲۱۶ و القهر و النصر و التأييد عدتهو هل يغالب معتدّ بعدّته

و الغيث و الليث و الأقمار فى شرفهفى كفّه و لقائه و رؤيته

و اليمن و الخير و السّرا بيمنتهو البأس و الفتك و الضرّا بيسرته

و النّصر و القهر يجريان صحبتهفمن مكاتبه أو من كتيبته

و النفع و الدّفع غايتان بحرهمايستنّ بين صلاته و صولته

و الحزم و العزم و التمكين أهبتهفلم تقم أهبة يوما لأهبته

و الصبر و الشّكر و الجهاد حرفتهيجرى المنى المنايا طبق حرفته

تعلو مهابته رائيه من بعدو إن دنا كان رقّا فى محبّته

يغدو الجبان غضنفرا بعزمتهمن قاده أسد يسطو بسطوته

لو يرتمى منه يوم حربه شررفى اليمّ أصبح نيرانا بلفحته

أو صافح الصخرة الصمّاء إصبعهفى السّلم أمست حريرا من مبرته

صغيرة الدّر لو من خلقه مزجتبالبحر لا عذوذبت عروق ملحته

هو الحيّ و ما للأسد و ثبتهإنّ الهزبر حيّ قبل و تبته

الرحلة المعينية، ص: ۲۱۷ أمدّ دولته، أباد عاديهمديد أمداده سريع صولته

ما فاته سودد و المجد مقتصرعليه و العزّ يجرى فى أعنته

لولاه ما رحمت أمّ بيّتهاو الله أرحم و هو عين رحمته

ما ارتاح قطّ لراحة و راحتهما بين غدوته لقى و روحته

روح أراويحنا سيف مسامعناممن يفوح الشذا من طيب قصّته

كم شاهدوا من عجيب يشهدون بهفى حمله و بروزه و نشأته

فما اعترى أمّه مغص و لا وحمو أولدته نقيا بعد تسعته

و سرّ مختتنا لله مختتنمن غير موسى تولّى قطع سرته

و الأرض قد أشرقت نورا بمولدهو ليلة القدر لم تعدل بليلته

يا حبّذا ليلة الاثنين آخرهاو الحمل فى رجب بليل جمعته

و شبّ شهرا شباب العام إن لهرزقا من الله يجرى غير درته

أمست حليمة ملئا ثديها غدقو لم يكن فيه درّ قبل رضعته

الرحلة المعينية، ص: ۲۱۸ عن كتمه ضاق صدر الغيب كيف لهأن يكتم البدر فى أثناء طلعته

مسراه فردا إلى من لا شريك لهيقضى بغير شريك فى قضيته

فمفخر العالم العلوى بمطلعهو مفخر العالم السّفلى بطلعته

أمست تباهج أرضنا السماء بهحتّى تراجع فلتهنأ برجعته

قد ارتقى مرتقى لم يرقه ملكو لم يحم من رسول حول حومته

ما ثمّ إلا رسول الله منفرداو معرج الروح ثمّ عند سدرته

لما توحش أزجى الله صوت أبىبكر فكان به إيناس وحشته

أوحى إليه الذى أوحاه و افترضتخمسون خفّفها أثناء عودته

كست سراياه وجه الأرض مفخرةو العلو تاه علوا عند سريته

فجلّ مرتبة عمن يشاكلهو ليس إلا العلىّ فوق رتبته

خير النبيئين من بفضله نطقتكتب النبيئين دهرا قبل بعثته

إن كان آدم صفوة و نوح دعاحتّى طغا الماء إيجابا لدعوته

و غرّق الله من فى الأرض قاطبةو لم ينجّ سوى من فى سفينته

الرحلة المعينية، ص: ۲۱۹ أو كان فى الدّين إبراهيم متّبعاو اختصّ منه ببيته و خلّته

أو كان موسى نجيّا مخلصا و لهخوارق و العصا قامت بحجّته

أو كان عيسى بإذن الله يبعثهمموتى و يدعى بروحه و كلمته

فإنّ طه حبيب الله يبعثهمموتى و يدعى برحه و كلمته

و أول الخلق خلقا و هو أوّلهمبعثا و أول جائر بأمته

و فى يديه لواء الحمد يومئذو الخلق يهمس كلا تحت ظلته

و هو الشفيع الخطيب فى مراكزهمما فاه ذلق و لم يفه بخطبته

فذالك اليوم يومه و كوثرهيجرى المصمّم شهرا فى مسيرته

بحافتيه قباب الدر لامعةو المسك طينته أكرم بطينته

تبارك الله ما أحلى مواردهو ليس يظما صاد بعد شربته

لولاه ما خلق الدنيا و خلّقهاليعرفن أهلها عليا مزيته

الرحلة المعينية، ص: ۲۲۰ و كلّ معجزة للرّسل أوتيهاأوجا بأبلغ منها فى نبوّته

و كلهم مستمدّ من زواخرهبقدر أمداده و قدر مدّته

لولاه آدم لم تغفر خطيئتهو نوح لم ينج من طوفان دعوته

و النار لم تك بردا للخليل و لم‌يفد الذبيح ألا فاعجب لفديته

و المفتدى هو اسماعيل إنّ له‌عندى أسانيد صحّت من أدلته

و ما تفلق بحر للكليم و ماأميت فرعون فى أعماق لجّته

له الأراضى انزوت من كلّ ناحيةحتى أرته أقاصى ملك أمته

و سبّحت فى أكفّه الحصا و حصى‌جيشا فأعماهم كل بحصّته

و الشمس ردت له من بعد ما غربتو أحبست لقريش بعد سريته

و الماء بين الأصابع الشّريفة فى‌شتى مواطن مشهود بكثرته

و المزن هلّ بنصره و ظلّلهو هكذا أبدا يسعى لخدمته

كم ممرع صيّب أهدى لحضرتهطورا يعمّ و طورا حدّ بغتيه

لو ينزع السهمّ من قوس الكواكب لم‌يكن له فى أبىّ وقع رميته

الرحلة المعينية، ص: ۲۲۱ أمسى به الكفر مهدوم البنا و غدادين الشرائع منسوخا بشرعته

لو كان شاهد شداد جلالتهلعفّر الوجه تعظيما لحرمته

أما و سطوته بمن طغوا و أبواإلا الضلال و حزبهم بسطوته

لمستقيم صراط الله مندرج‌فى محض سنته و فى أسنّته

تضعضع الكفر و اتخفاظ ذروتهيجرى إلى البعث من أيّام بعثته

قد بادرته ببدر كلّ بادرةجذّت بوادره و رأس حيّته

و اغتاله هرم أفنى شبيبتهو الدين أول يوم من شبيبته

و اجتثّ فى أحد و حاد محتدهو لم يزل تندب الصرعى ببغيته

و حزبه انهدّ فى الأحزاب موقفهو هال أحزابه أهوال وقعته

و يوم خيبر لم يترك له خبراو يوم مؤتة كان يوم موتته

و الصلح و الفتح كانا توأمين على‌إزهاقه و ذهاب روح غيرته

و حان يوم حنين حينه و جرى‌على محبته تصحيف محنته

و اذكر أسود المهاجرين من هجرواأوطانهم فى رضى المولى و خشيته

الرحلة المعينية، ص: ۲۲۲ فما أمالهم الغصن الممال و لا اللّحظ المحاكى سهامهم بطعنته

و لا انثنوا لثنايا شادن كحل‌حاشا و لا التفتوا لحسن لفتته

كأنما الخال مسك فى مورّده‌كأنما سنة تجرى بمقلته

كلا و لا جنحوا يوم الوداع لمن‌بين الجوانح شبّت نار فتنته

من كلّ ممتلئ الإزار ناظره‌يفدى نواظره المرضى بصحّته

فرّوا إلى الله كلّ عن حلائله‌عن والديه و صحبه و إخوته

ما صدهم عن رسول الله ما وجدوابل زادهم فى التزامه و صحبته

أولئك الأولون السّابقون على‌جرد اليقين إلى تصديق دعوته

و اذكر مواطن للأنصار شاهدةبأنهم نصروه حقّ نصرته

تبوءوا الدّار و الايمان، حبّهم‌لمن يهاجر فيهم عن عشيرته

سمّاهم الله أنصارا و بشّرهم‌بالمصطفيأنهم هم دار هجرته

و الموثرون لو اشتدّت خصاصتهم‌و القائمون بعزّه و منعته

فكم أعزّوا ذليلا بعد ذلّته‌و كم أذلوا عزيزا بعد عزّته

الرحلة المعينية، ص: ۲۲۳ هم الصّحابة من فازوا بصحبتهم‌لخير مصطحب سادوا بصحبته

فبايعوه على ما الله قال له‌و الله جلّ تولّى عقد بيعته

كل نحا نحوه و سنّ سنته‌يرعى رعيّته يحمى لحومته

من كلّ من شاب فى الأهوال مفرقه‌لم يله إلا بسيفه و صهوته

تكبو الجياد و لا تكبو عزائمه‌ينبو الحسام اليمانى دون نجدته

يجرّ أذياله فى كلّ معترك‌شاكى السلاح مناه فى متيّته

إذا تخلّل درعا خلته أسدايصول أو خلت ثعبانا بحلّته

لله كم صبّحوا من جحفل لجب‌تعثّر النجم فى منسوج هبوته

و معقل عقلوا سبيا عقائله‌أمسى قفارا يعزّى فى أعزّته

سل العراقين هل للفرس باقيةو هل بقاء لكسرى بعد كسرته

و سل عن الرّوم شامهم و قيصرهم‌عن نصره قصّرت ألطاف حيلته

يا مهبط الوحى معدن العلوم و يامن يعلم السّر يا أسرار حكمته

يا من محيّاه مخضلّ الحياء به‌يكاد يقطر ماء من أسرار حكمته

الرحلة المعينية، ص: ۲۲۴ يا ضئضئ المجد شؤبوب المكارم يامن فى الغيوب حضوره كغيبته

يا مالى العين و الأسماع منقبةو بهجة و كمالا عند ذكرته

يا من إذا الغيث غاض فاض مزبده‌و غرّق الجدب فى أنهار ضفّته

يا من تعاظم هيبة و موهبةو الناس بين رجائه و خشيته

يا من أباح حصون الشّرك بارقه‌حتّى محا بسناه ليل ظلمته

يا أوجه الخلق وجها عند خالقه‌و من تخرّ الوجوه نحو قبلته

فهب شفاعتك العظمى لمعترف‌بما اجتناه و بالغ فى مبرّته

يا رب هب لى به عظيم منزلةهذا عبيد شكا من عظم زلّته

يا ربّ و اجعل رضاك حلّتى أبداو الشّكر سمنى بحليه و حليته

فى ذمة الله من أولى الأمور له‌و هو الذى لا يضيع من بذمّته

أنعش أغثنى أرش يا ملجأى أملى‌من لا يبالى بذنب عفو رأفته

الرحلة المعينية، ص: ۲۲۵ استغفر الله يا ذا المنّ مغفرةللعبد بالتاء تمحو حاء حوبته

عبد أطاع الهوى و الفجر مختلطبليله و أطاع غىّ شرّته

إنى و من لى و كلّ من تعلق بى‌فى سور مأمنه و أمن حوطته

أصلح بنا الدين و الدنيا و أمّة منبه تشفّع يجلو غين غمته

يا رب أصلح لنا الدارين إن لناتمسّكا بالنبىّ الهادى و عروته

إذا تسامت لشكره قرائحناتملى شمائله ضروب نعمته

كأنما اللؤلؤ المكنون ينثر أومختوم مسك يفضّ عند مدحته

لو حاول الشّعرا نظم الكواكب فی‌سمط الثناء لأعيوا دون جملته

و ليس يحتاج مدحا بعد خالقهإذ غيره لا يؤدّی نشر طيّته

فاقرأ لياسين و الضّحی و مثلهماإن كنت جاهل قدره و رتبته

يا ربّ صلّ صلاة لا نظير لهاعليه ما ارتاح مرتاح لرحمته

سلم سلاما عليه لا يكافئهبين النبيئين إلا قدر رفعته

الرحلة المعينية، ص: ۲۲۶

قصيدة للشيخ محمد الإمام فی مدحه صلی اللّه عليه و سلم

و أما مديحة الشيخ محمد الإمام الهمزية فها هی

[البسيط]

ما كنت مذ زمن ترجوه هذاؤهذا شفيع الوری بشراك هذاؤه

هذا النبيّ الذی ما مثله بشرو إن تشأ وصفه تنبيك أسماؤه

هذا النبيّ سراج الكون جوهروو من تدور به للكون أرحاؤه

و ذا خليفته الصّديق صاحبهمن لا تری فی جميع الصحب أكفاؤه

فريدة القوم فی كلّ المناقب بل‌يتيمة العقد عقد الدّين عصماؤه

و ذاؤه عمر الفاروق تلوهمامن لا تزيغ عن التوفيق أراؤه

موطّد الدين و المرسی قواعدهحتی استقامت بأيد العدل عوجاؤه

و ذاك منبره الأسمی و مسجدهو حيث أزواجه كانت و أبناؤه

حيث النّبوءة تبدو من منازلهو حيث تتلی من التّنزيل أنباؤه

الرحلة المعينية، ص: ۲۲۷ و ذا البقيع ألا أحبب به بلداتقضی به لأخ الحوجاء حوجاؤه

و ذا النقيع و ذا وادی العقيق و ذامعسول أمواهه الجاری و حصباؤه

حيث الأحيّة تزهو فی جوانبهو حيث يجری إلی ساحاته ماؤه

و حيث تلتفّ بالأيك الغصون بهو حيث تمتدّ تحت الدّوح أفياؤه

و لتزم طرفك نحو السّفح من أحدتذهب علی الفور لمح الطّرف أقداؤه

و ذی مدينته الغرّاء موطنهدار السرور لمن وافی و نعماؤه

و ذی حدائقها تهتزّ باسقةحسنا كما هزّت النشوان صهياؤه

محلّ هجرته مأوی لعترتهأنوار شمس الهدی فيها و أضواؤه

مقرّ من هاجروا لله أو نصرواأصحابه و هم حقّا أحبّاؤه

الرحلة المعينية، ص: ۲۲۸ و هم هم جنده فی كلّ نائبةو هم هم أنجم الإسلام لألاؤه

و هم عيون الهدی تيجان هامتهسواد مقلته بل هم سويداؤه

يا حبذا بلد كان الحبيب به‌تمحی به عن أخ الحوجاء حوجاؤه

فاستفرغ الجهد فی نيل الوصول له‌إصباحه نحوه دأبا و إمساؤه

و استعمل الذّهن فی صوغ المدیح لهیکون إنشاده فیه و إنشاؤه

قالوا ألم تر أحزاب العدی حشرتمن دونه فکست للجوّ ظلماؤه

فقلت هل یرعوی قلب المحبّ و هل تثنی عن الفلک الدّوّار جوزاؤه

کیف اصطباری و هذا الرّکب مرتحل تهفوا بذکر حبیب الله أنداؤه

من کلّ حرّان قد ذابت حشاشتهمن حرّما اتّقدت بالشوق أحشاؤه

إن سدّت الطرق عن مغناه أو منعتفاستعجمت عن دقیق الفکر آراؤه

فانصب من العزم جسرا للعبور لهلتنزوی من سحیق الرّبع أرجاؤه

الرحلة المعینیة، ص: ۲۲۹ و لا تردّک أعداء له عرضتفلن تردّ عن المحبوب أعداؤه

ما حکم ذی الشّوق کلا حکم مسألةبل ما اقتضت من دواعی الوصل أهواؤه

و إنّ لله ألطافا مشاهدهاتجری بریح من التّوفیق آناؤه

فاقطع بماضی سیوف العزم منصلتاحرف المضارع إن یعجبک إمضاؤه

لا تنتظر بابترام الأمر أهبتهفقبل تشحیذ حدّ السیف إنضاؤه

و لا تکن مثل من کانت عزیمتهکما تلوّن فوق الغصن حرباؤه

إنّ الفتی من متی یهمم بناحیةکادت تسابق همّ القلب أعضاؤه

لا تطبی قلبه بیضاء غانیةریّ الخلاخل غرثی الکشح هیفاؤه

لعساء تفترّ عن در متی برزتتندکّ من طود عقل المرء صمّاؤه

الرحلة المعینیة، ص: ۲۳۰ لم یدر ذو العذل ما یخفی المشوق و ماتضمّنت من ألیم الوجد أحشاؤه

هم تقلقل فی صدری أجمجمهو الیوم قد غلب المصدور إخفاؤه

لم تجد سوف سوی تسویف صاحبهاحتّی تفوت من المقصود آناؤه

أری من العجز کون الصّب فی طرفمن البساط و فی الثّانی أحبّاؤه

لا یؤیسنّک ضعف عن وصولکهقد تسبق الذّود عند العود عرجاؤه

قلبی بتلک المغانی هائم کلفإن هام قلب فتی تامته حسناؤه

واها لصبّ بأقصی الغرب ینعشهرجاؤه و یذیب القلب إرجاؤه

ما الشّام قصدی و ما تبدیه غوطتهو لا العراق و ما تخفیه زوراؤه

کلّا و لا الیمن الزّاهی برقّتهو ما وشت من لطیف الصّنع صنعاؤه

کلّا و لا أربی ما شاد تبّعهو لا الذی نمّقت من بعد أذواؤه

الرحلة المعینیة، ص: ۲۳۱ و لا اشتیاقی إلی نجد و أربعهو لا عقائل ضمّتهنّ أحیاؤه

و لا بمصر و ما تبدی عجائبهامن کلّ ما حیّر الأذهان أنباؤه

کلا و لا القصد ما یجنی من أزهرهامن یانع العلم إذ تملیه قرّاؤه

فللحجا حاجز عند الحجاز لهعن شوق أرض سوی ما ضمّ أرجاؤه

کانت لقلبی أهواء مفرقةفاستجمعت فی الحجاز الیوم أهواؤه

فلا لبانة لی إلا بساحتهففی المدینة لبناه و أسماؤه

و حبّذا البلد السّامی بمبعثهو بیته و الذی ضمّته بطحاؤه

و حبّذا مازماه و الصّفا و منى‌حيث الصّفا و منى قلبى و رغباؤه

فتلك أوّل أرض شمّ تربتها الهادى و أول ما مسّته أعضاؤه

و كان مسرح عينيه مطارحهاو كانت أبناؤه فيها و أباؤه

لطفا بمغترب فى أرض عترتهلم تجل غربته فيها أودّاؤه

إن شام برقا بأكناف الحمى برقتأشواقه وهمت للجفن أنواؤه

الرحلة المعينية، ص: ۲۳۲ و إن رأى خبرا تهتج لواعجه‌كأنما اشتعلت بالنّار أحشاؤه

أو لامه لاثم فيما يحاوله‌كأنّما كان عند اللّوم إغراؤه

يا نعمه بلدا طوبى لساكنه‌تشد و على فنن الإسعاد ورقاؤه

به ينال جميع السّؤل قاصدهو تنجلى عن حجا المغموم غمّاؤه

و يشتفى من عضال الداء أجمعهمن كلّ ما عجزت عنه أطبّاؤه

و يستنير به ديجور باطنه‌نورا و تفعم بالخيرات أوداؤه

دين علىّ إذا ما جئت تربته‌تمريغ وجهى بها شكرا و إغضاؤه

و ألثم التّرب تشريفا لحضرته‌لتشتفى من رسيس الشّوق أدواؤه

أقول بشراى ذا مغنى المشفّع فى‌كلتا الحياتين يا بشراى هذاؤه

هناك ألقى عصا التّسيار مبتهجاو تستريح إذا للعزم أنضاؤه

فيصبح الصّدر مشروحا بحضرته‌مؤيّدا محت الضرّاء سرّاؤه

الرحلة المعينية، ص: ۲۳۳ أقول إن يدعنى شوق إلى وطنى‌ما كنت مذ زمن ترجوه هذاؤه

تلك العزيمة و الرّحمان يعلمهاالعزم منّى و من مولاى إمضاؤه

أنت المؤمّل فى تبليغ عبدك ماإليه وجهته تلفى و إيماؤه

(و اجمع لشملى مع الأحباب قاطبةجمع السلامة يا من جلّت أسماؤه)

فوفّقنّى لما يرضيك من عملو فى المقال أيا من جلت أسماؤه

ثمّ الصلاة على المختار ما طلعتشمس و ما انبلجت للصّبح أضواؤه

نزولنا عند ابن الشيخ محمد الخضر بالمدينة المنورة و إحسانه إلينا هو و من هناك من الشناجطة جزوا خيرا

و لم يزل نزولنا أيامنا بالمدينة المنورة عند الشيخ محمد بن عبد الله بن الشيخ محمد الخضر ابن مايابى الجكنى و بالغ فى إكرامنا، و الإحسان إلينا، جزى خيرا.

و من إحسانه أنه دائما يهيئ عند كل وقت من أوقات الصلاة عربية، يركبها الشيخ

الرحلة المعينية، ص: ۲۳۴

مربيه ربه و من شاء من خاصته معه إلى المسجد النبوى ذهابا و إيابا، و يتولى القيام بالشؤون التى تنوبنا بنفسه، و يباشر خدمتنا بيده، من تناول الطعام و الشراب و إصلاح الفراش و اللباس، إلى غير ذلك من إكرامه لنا، جزى خيرا. و كان من هناك من الشناجطة يأتون دائما لزيارتنا كسائر أهل المدينة المنورة. و كلّ من أتانا يباشر بالإحسان زيادة فى الاعتناء بنا مع كمال التواضع، و الانبساط، و كذلك ابن عمه محمد فاضل ابن الشيخ محمد تقى الله ابن مايابى، فقد كان يكثر التردد علينا، و يظهر السرور و الفرح بمقدمنا، و يبلغ فى إكرامنا، و كذلك جميع الشناجطة الذين هناك لم يقصروا فى إكرامنا و قلما يفارقون الشيخ مربيه ربه لطلب الإفادة منه، و أخذ

الأوراد عنه، و الاستمداد به، و لا سيما الجكنيون، فهم أكثر من هناك، و أظهروا لنا من المحبة و المودة و القرابة ما لا يوصف، كمن ذكر من أهل مايابى، و مثل ابن عمهما محمد محمود بن الشيخ، و السيد محمد عبد الله بن آد، و الشيخ عمر، و كذلك محمد بن سيد من قبيلة بارتيل و هو من تلامذة شيخنا الشيخ ماء العينين، و كذلك محمد نور التركزى، و هو رجل ذائق، واصل، عارف، ديّن، من موارد الشيخ أحمد بن الشمس، مريد شيخنا الشيخ ماء العينين، فقلما يفارقنا، و كذلك الشيخ موسى الفوتاوى، من موارد الشيخ أحمد بن الشمس أيضا، إلى غير ذلك ممن لم تحضرنى أسماؤهم، و لم أتفرغ لكتبها، لقلة مدة إقامتنا فى المدينة المنورة، و للاشتغال فيها بحمد الله بما هو آكد عندى من ذلك.

فائدة فيما أتى به شيخنا الشيخ ماء العينين فى رحلته فى مقدار ما بين قبره صلى اللّه عليه و سلم و مناراته و أبواب سور المدينة المنورة و أسماء الجميع

فائدة، قال شيخنا الشيخ ماء العينين رضى اللّه عنه فى رحلته فى مقدار ما بين منبره

الرحلة المعينية، ص: ۲۳۵

صلى اللّه عليه و سلم و قبره الشريف، و فى عدد أبواب حرمه صلى اللّه عليه و سلم، و مناراته و أبواب سور المدينة، و أسماء الجميع، ما نصه: «فائدة. قدمت ما بين منبره صلى اللّه عليه و سلم، و قبره الشريف الذى ورد فى الحديث، و هو قوله صلى اللّه عليه و سلم: «ما بين قبرى و منبرى روضة من رياض الجنة» . و قد أفتى كثير من العلماء بأن من دخله و حلف من امرأته أنه دخل الجنة حيّا، لا تطلق عليه، فوجدته قدر خمسين قدما، لأنى قدمت من النبر إلى الشباك المتوليه، فوجدته أربعين قدما بقدمى، و ما بين الشباكين قدرته بعشرة، و بعد ذلك قيل لى إنه كذلك و الله تعالى أعلم.

فائدة فى عدد أبواب حرم النبى صلى اللّه عليه و سلم و مناراته و أبواب سور المدينة المنورة التى تدخل إليها و تخرج منها، و أسماء الجميع، أما أبواب المسجد فأولها من جهة المغرب باب السلام، و يتلوه باب الرحمة، و يتلوه الباب الجديد، المعروف بباب عبد المجيد، و يتلوه باب جبريل، و يتلوه باب النساء، فهى خمسة، و أما المنارات، فمنارة باب السلام، و يقال لها الريسى، و منارة باب الرحمة و منارة عبد المجيد، و قد وجدتها تصنع مع بقية المسجد، و ذلك لأن عبد المجيد بنى الحرم النبوى كله، و جدده إلا موضع الروضة الشريفة، تركوه لأنهم علموا أنهم لا يقدرون على بناء مثل بنائه، و قد وجده، أى الحرم ثمانية صفوف، و زاده بأربعة، فصار إثنى عشر صفا، و هذه المنارة أكبر منارة رأينها إلا منارة واحدة فى مراكش تسمّى الكتبية، و سيأتى الكلام عليها إن شاء الله، و يتلو منارة عبد المجيد، منارة تسمى السليمانية، نسبة إلى السلطان سليم، فهى أربعة، و أما أبواب سور المدينة فأولها من جهة المغرب العنبرى، و هو الذى يدخل منه الحجاج غالبا حين مجيئهم من مكة المشرفة، و يتلوه يمينا باب قباء، و يتلوه باب العالى، و يتلوه باب الجمعة، و يتلوه الباب الجديد، و هو الذى جعله أيضا عبد المجيد، و يتلوه باب السلام، و يتلوه باب الكوم، فهى سبعة، و أما الباب المعروف بالمصرى، فإنه لا يخرج من المدينة كلا، و إنما هو مخرج للمناخة، و تلك معدودة من المدينة، على ساكنها أفضل الصلاة و السلام، انتهى كلام شيخنا الشيخ ماء العينين رضى اللّه عنه، و هو فى غاية الضبط و الإتقان، و لذلك اكتفينا به جزاه الله عنا برضاه الأكبر و أكرمنا بجاهه و جاه نبينا محمد صلى اللّه عليه و سلم، برضى الله و النظر إلى وجهه الأعظم.

الرحلة المعينية، ص: ۲۳۶

ذكر مدة إقامتنا بالمدينة المنورة و فضيلة من صلى فى المسجد النبوى أربيعن صلاة على صاحبه الصلاة و التسليم

و كانت مدة إقامتنا بالمدينة المنورة، ثمانية أيام، حتى تفضل الله علينا بأن صلينا فى مسجده صلى اللّه عليه و سلم أربعين صلاة مكتوبة، ففى الحديث عنه صلى اللّه عليه و سلم، أنه قال: «من صلى فى مسجدى أربعين صلاة، كتب له براءة من النار، و براءة من العذاب و براءة من النفاق»، و حدثنى الأستاذ الشيخ مربيه ربه، أن بعض العلماء، لا يشترط كون تلك الصلوات من الفرائض، بل حصل عنده الفضيلة بأربعين صلاة فى مسجده صلى اللّه عليه و سلم، و لو من النوافل، نحمده تعالى على ما أنعم به علينا من فضله،

نرجوه تعالى أن يتقبل منا، و أن لا يكلنا إلى أقوالنا و لا إلى أعمالنا، و أن يتولانا بمحض فضله و كرمه، ثم لما صلينا صلاة الصبح بالحرم النبوى يوم السبت الثامن و العشرين من ذى الحجة تقدمنا إلى محل مواجهته صلى الله عليه و سلم لزيارة الوداع، على الحالة التى لا يعلمها إلا الله، و لا حول و لا قوة إلا بالله، فدعونا الله بما المرجو منه تعالى إجابته بذلك المقام، و نحمده تعالى حيث أنعم علينا بالقيام عند مواجهته الشريفة عليه الصلاة و السلام.

[الخفيف]

و رجعنا و للقلوب التفاتات إليه و للجسوم انثناء

و سمحنا بما نحب و قد يسمح عند الضرورة البخلاء

خروجنا من المدينة المنورة على ساكنها السلام و أبيات لجامع الرحلة أنشأها و قتئذ

فخرجنا من المسجد النبوى قرب طلوع الشمس من يومنا، و خرجنا من المدينة المنورة بعد طلوعها، فلما نهضت بنا السيارة، التفت إلى ذلك المنظر البهيج، مستنشقا طيب ذلك الأريج، باهتا فى تلك الجلالات الباهرة، و الأنوار الساطعة

الرحلة المعينية، ص: ۲۳۷

الزاهرة، و المشاهد الكريمة الشريفة العظيمة، فجرت على لسانى هذه الأبيات، لا جعله الله آخر عهدى بتلك الحضرات العليات، و أعادنى إليها مرارا، و أماتنى على حسن الختام بجوار نبيه عليه الصلاة و السلام، و الأبيات هى:

[البسيط]

متى الرجوع لمن قلبى بهم نزلافلا و ربّك لا أبغى بهم بدلا

أستودع الله من أودعتهم خلدىفلم أطق حيرة قولا و لا عملا

إنى لأغبط قلبى حيث عندهم‌ثوى و أرثى لجسمى أنه ارتحلا

نزلنا بجدة و ركوبنا منها إلى السويس قافلين، و بيتان لجامع الرحلة أنشأهما و قتئذ

ثم سرنا يومنا، فبتنا ليلة الأحد فى محلة قريبة من رابغ، و جئنا رابغا بعد أن أدلجنا وقت صلاة الصبح، فنزلنا عنده إلى وقت الضحى، فركبنا و دخلنا جدة وقت القيلولة، فوجدنا الباخرة قد دخلها من كان فيها من الحجاج، و هى تنتظرنا، فنزلنا بجدة، فلما صلينا الظهر، ركبنا زورقا إلى الباخرة، فدخلناها عشية يوم الأحد التاسع و العشرين من ذى الحجة، فاحتفل أهلها لدخولنا احتفالا عظيما، فلما كان قبل الغروب بقليل من اليوم المذكور، أقلعت الباخرة بنا قاصدة السويس، راجعة مع اثرها لجهة المغرب، فنظرت إلى جهة الحرم الشريف، و قلت:

[الرجز]

لا تجعل اللّهم ذا من كرمكأخر عهدنا بأرض حرمك

و أينما كنا فجد بنعمكربّ علينا و احمنا من نقمك

الرحلة المعينية، ص: ۲۳۸

مرسى الباخرة بنا افتتاح عام ۱۳۵۸ بجبل الطور

فلما كانت صبيحة يوم الثلاثاء، و هو أول يوم من المحرم فاتح ۱۳۵۸، عرفنا الله خيره و خير ما بعده، و وقانا ضريهما، رست بنا الباخرة عند جبل الطور، فظلت هناك يومئذ حتى دنت الشمس من مغربها.

مرسى الباخرة بنا فى السويس و طلوع العلامة الشيخ محمد حبيب الله بن مايابى إلينا فيها هو و من معه، و ما جرى بيننا و بينهم

أقلعت بنا الباخرة، فرست صبيحة يوم الأربعاء بنا فى السويس فى محلها الذى رست بنا فيه، و نحن ذاهبون إلى الحج، فلما ارتفع النهار، طلع علينا و نحن فى الباخرة الأستاذ العلامة الشيخ محمد حبيب الله بن الشيخ سيد عبد الله بن مايابى الجكنى، و معه الأديب المجيد السيد محمد بن اليمانى المتقدم ذكرهما، ففرح بهما الشيخ مربيه ربه و سائر الوفد، و رفع الشيخ مجلسهما، و معهما الأديب الشيخ المختار بن أحمد محمود الجكنى، القاطن بمصر وقته، و أتحف الشيخ محمد حبيب الله سيادة الشيخ مربيه ربه و أقرباءه بشيء من الكتب، منها ما هو من مؤلفاته، و منها ما هو من غيرها، و تحدثنا معه قدر ساعتين و كتب لى إجازة فى مؤلفاته و جميع مروياته، و أتحفنا أيضا بشيء من الزاد معتبر، و أنشدنا قطعة لنفسه، أنشأها فى مدح سيادة الشيخ مربيه ربه، و تهنشته بالحج، كتبها بخطه، و هذا نص ما كتبه.

قطعة امتدح بها الشيخ محمد حبيب الله سيادة الشيخ مربيه ربه

هذه قطعة قليلة ساقها الاشتياق مع الاستعجال و اشتغال البال بالمرض و هى:

[الوافر]

مربّه الإله إليه شوقى تزايد بالغداة و بالعشىّ

الرحلة المعينية، ص: ۲۳۹ متى حجّ المير الفخم كنّأكمن بالحجّ أحرم للعلىّ

و من فرط اشتياقى كاد جسمى يطير إلى الأبىّ ابن الأبىّ

و لو أنى ملآت الطّرس مدحالهذا الشهم ذى المجد السّنىّ

لما أدّيت ما فى القلب ممّاأكنّ له إلى يوم اللّقىّ

فتى رام المكارم فى صباهو لم يبرح يسارع فى الرّقىّ

و لمّا لم أقابلكم لعذرحمى عن رأى وجهكم البهىّ

فبالبيت الحرام لكم أهنىو فتح فى مواجهة النّبىّ

صلاة الله دائمة عليهنعمّ الآل بالعرف الزّكىّ

أنشأها طالب دعواتكم النافعة، خادم السنة، محمد حبيب الله الشنجيطى إقليما، الجكنى نسبا المدنى مهاجرا، انتهى من خطه.

قصيدة للشيخ المختار الجكنى امتدح بها أيضا سيادة الشيخ مربيه ربه.

و كذلك أنشأ ابن عمه، الشيخ المختار بن أحمد محمود المذكور قصيدة فى مدح سيادة الشيخ مربيه ربه، أتى بها معه، و أنشدها ابن عمه الشيخ محمد حبيب الله

الرحلة المعينية، ص: ۲۴۰

فى المجلس نيابة عنه فى الإنشاد بين يدى الشيخ أعزه الله مطلعها:

[البسيط]

قد أشرق الشّرق بالأنوار إذ سطعاتنوير طلعة شمس الغرب مذ طلعا

و ازدان و اتسعت أرجاؤه و علتو حقّ للشرق لمّا ضاء و اتسعا

فقد أتاه إمام ما أتى بلدامن سائر الأرض إلا أزدان و ارتفعا

نجل الحلاحل ما العينين من شهدت‌أفعاله و السجايا أنه برعا

ربّاه دون مربّ فحوى الآداب و الخلق المحمود و الورعا

له يدان يد على العدو ردى‌تغتالهم و يد تغنى من انتجعا

إلى أن قال:

حلاحل نفع الله الأنام به‌كما بآبائه من قبله نفعا

من معشر علموا بالفضل و اتسعوامستمسكين بما الهادى لهم شرعا

الفضل شنشنة فيهم و عادتهمو فيه أصغرهم أباءه تبعا

الرحلة المعينية، ص: ۲۴۱ لم يأت منهم فتى يوما إلى أفق‌إلا تسربل فضل الفق و آدرعا

هذا و كم ذى غنىّ من سيب راحهم‌استغنى، و كم ذى صفى فى صفوهم كرعا

لا زال فضلهم يعلو الأنام و لازال الأنام بما حازوه منتفعا

بجاه جدّهم طه و من معه‌صلّى عليه العلى ما نوره سطعا

ثم ودعوا و انصرفوا من ساعتهم، بما اقتضاه الحال جزاهم الله خيرا

بيتان لجامع الرحلة يخاطب بهما المركب لما أعجبه سيره و آخران يخاطب بهما البحر لما هاج

فلما صلينا المغرب ليلة الخميس الثالثة من المحرم، أقلعت الباخرة بنا من مدينة السويس قاصدة بور سعيد، فرست بنا عنده، بعد طلوع شمس يوم الخميس، فلمّا كان بعد ظهره، أقلعت بنا متوجهة طرابلس، و لبثنا بينها و بين بور سعيد ثلاثة أيام، و فى بعض هذه الأيام طلعت أنا و الشيخ محمد الإمام و جلسنا على سطح مركبنا المسى «ماركيس دى كومياس»، فإذا به سائرا سيرا رفيقا لينا، مع غاية إسراعه، و حسن هيئته، ما شاء الله، لا قوة إلا بالله، فتبارك الله أحسن الخالقين، فقلت ارتجالا:

[الخفيف]

ته جمالا لا مسّك الدّهر باس‌و ابتهج ماركيس دى كومياس

لك باد على البواخر فضل‌فهى جسم و أنت فيه الرّاس

الرحلة المعينية، ص: ۲۴۲

فلما كان يوم قدومنا على طرابلس اضطرب البحر اضطرابا شديدا، و علت أمواجه، و تكاثرت حتى دخل الجزع أهل الباخرة، و كنت أنا و الشيخ محمد الإمام و بعض الإخوان واقفين بجانبها، ننظر اضطراب البحر، فجرى على لسانى هذان البيتان، مخاطبا بهما البحر:

[الخفيف]

لا تروّع بكثرة الأمواج‌أيّها البحر أنفس الحجاج

إنهم فى نهج العبادة فاخش الله فى أهل ذلك المنهاج

مقدمنا على مدينة طرابلس، و مسيرنا منها:

اشارة

فبفضل الله و رحمته، هذا البحر أسكنت أمواجه، فرست بنا الباخرة عند طرابلس وقت الظهر يوم الأحد السادس من المحرم الحرام، فلبثنا عند مدينتها أربع ليال، و اجتمعنا ببعض أعيانها و علمائها ممن تقدم ذكره، و من غير ذلك، ثم أقلعت الباخرة بنا منها قيلولة يوم

الخميس، و هو يوم عاشوراء، متوجهة بحول الله، مليلية، فسبتة فلبثنا بين طرابلس و مليلية ثلاث ليال.

لطيفة

و لما حان وقت وصولنا لها، علونا سطح الباخرة، أنا و الشيخ محمد الإمام و بعض وفدنا مترقبين رؤية مدينة مليلية، فاستبطأنا رؤيتها، فأنشدنا الشيخ محمد الإمام ارتجالا هذا البيت:

[الطويل]

ألم يان أن تبدو ديار مليليهليبرد من داء الغرام غليليه

الرحلة المعينية، ص: ۲۴۳

و استجازنى فقلت:

و لم تك لى فى دورها من لبانةو لكنّها نحو الحبيب سبيليه

وصولنا لمدينة مليلية و ابتهاج أهلها بمقدمنا

فوصلناها وقت الظهر يوم الأحد الثالث عشر من المحرم الحرام، و كان يوم وصولنا لها كيوم العيد، لما أظهره أهلها من الاحتفال و الفرح و المسرة و الابتهاج و إظهار الزينة و الانبساط التام فى الخاص من أقوامهم و العام. لما دانت الباخرة من المدينة، اجتمع كثير من الناس على مينائها، حتى امتلأت، و وقف كثير بساحل البحر و كثير فوق سطوح الدور و جاءت السيارات من كل جهة، و اصطفت بإزاء الميناء، و الناس صفوف حولها، و نصبوا كثيرا من الرايات و الأعلام، و وقفوا ينتظرون وصول الباخرة إلى الميناء رافعين أصواتهم بالتهليل و التكبير و الصلاة على النبى صلى اللّه عليه و سلم و الأدعية، مع ضرب الدفوف و سائر آلات الطرب و الأفراح، و إظهار التماس البركات و الدعوات الصالحات من الحجاج، و كذلك الباخرة نصب ضباطها أعلام الفرح و الاستبشار فى جميع جوانبها، و وقف أهلها بحافاتها، منتظرين وصولها إلى الميناء، و كل من الفريقين يشير إلى الآخر بالسلام و الترحيب و التهنئة، و وقف أعيان الدولة و ضباطها بإزاء الميناء بعساكرهم فى زىّ عجيب و تنظيم غريب. و ما زال لكل فى تزايد الأفراح و الحبور و الانبساط و الانشراح و السرور إلى أن رست الباخرة بإزاء الميناء، فأقبل الفريقان بعضهم على بعض بالتهانى و إفشاء السلام، و حمد الله و شكره على السلامة و الاجتماع، فطلع علينا بالباخرة أعيان البلدة من أهل المخزن و غيرهم، كالجنرال موح مزيان الريفى و أبيه، و الباشا الحاج عبد القادر بن الحاج الطيب، نائب الصدر الأعظم بالمنطقة الريفية، و غيرهم، فبدأوا بالسلام على سيادة الشيخ مربيه ربه، أعزه الله و وفده و جلسوا معنا، قدر ساعة، ثم انقلبوا ليسلموا على أعيان أهل الباخرة.

الرحلة المعينية، ص: ۲۴۴

أبيات لجامع الرحلة لما فرح الناس بعضهم ببعض

و لما رأيت فرح الناس بعضهم بعض، قلت هذه الأبيات تلك الساعة- أجاب الله دعائى فيها و بغيرها، و حقق رجائى بفضله- و هى:

[الرجز]

ربّ افرحن بى و فرح النبىبى و أملاكك فى منقلبى

و فرّحن بى سعداء الأمّةفرّحنّى برضاك ثمّه

و اجعل صراطى أبدا تقاكو خير أيّامى إذا ألقاك

مجاورا أحمد فى دار السّلامعليه أكمل الصلاة و السلام

ثم ودع الناس بعضهم بعضا، و تسامحوا و اشتركوا فى الدعاء، و أقبل الحجاج الريفيون و من حولهم لتوديع سيادة الشيخ مربيه ربه و وفده، فودعونا، و ودعوا من بقى من إخانهم المسلمين فى الباخرة، و نزلوا راجعين لأهليهم بحمد الله، و كانوا ستمائة حاج، صحبنا الله و إياهم بالسلامة و تقبل منا و منهم.

نزولنا بمدينة سبتة و احتفال أهلها لنا

ثم لما وصلنا المغرب ليلة الإثنين الرابعة عشر من الحرم، أقلعت الباخرة بنا قاصدة سبتة، فرست بنا عندها فجر تلك الليلة، فلما كان وقت الإسفار، أقبل علينا أهل مدينة سبتة باحتفال و أبهة عظيمة، من أهل المخزن و غيرهم، فنزلنا من ساعتنا، و سلمنا عليهم و ودعنا أهل الباخرة، و شكرناهم على ما قابلونا به من جميل صنعهم، و تلقى لنا بعض الأحبة من تطوان كأبناء القائد إدريس و غيرهم جزوا خيرا.

الرحلة المعينية، ص: ۲۴۵

مقدمنا على مدينة تطوان و تلقى أهلها لنا بالإكرام

فلما فرغنا من السلام و التهنئة بالقدوم، هيأ نائب الأمور المخزنية لسيادة الشيخ أعزه الله سيارة، فركبها هو و حرمه، و هيأ لسائر الوفد القطار، فركبناه بعد طلوع الشمس بقليل، و نزلنا وقت الضحى من يومنا بمدينة تطوان، فتلقى لنا الترجمان «بنت» بالفرح و التهنئة و الإكرام نيابة عن الدولة، و باشر شؤوننا و حمل أمتعتنا، حتى أنزلونا دار الضيافة فى محل نولنا السابق مرورنا بتطوان ذهابا، و لم يقصروا فى الإحسان و الإكرام، فلما كان بالغد يوم الثلاثاء، وقت الضحى أتانا «كوما ندنتى» و رحب بنا، و أظهر الفرح و الاستبشار بمقدمنا، و قال إنه أتى نائبا فى ذلك عن المقيم العام لاشتغاله يومئذ بكثير من الأمور المخزنية، ثم قال لسيادة الشيخ أعزه الله، تقيمون للاستراحة بالرحب و السهل إلى يوم الجمعة القابل تسافرون إن شاء الله فى البحر لكنارى، ثم منها إلى أهلكم بطرفاية.

ثم لما كان وقت الظهر، أتانا السيد مسعود بن محمد الشراد، فندبنا بمحله، و هيأ لنا سيارات ركبناها إليه، فأحسن إلينا و أكرمنا غاية، و أحضر من أطايب الطعام و الشراب ما لا يوصف، فرجعنا إلى محلنا.

مطلب فى ذكر المجلس الذى عقده الخليفة لاستقلال الأوقاف، و إرساله للشيخ مربيه ربه أنه كان ينتظره به، و استدعائه لنا آل الشيخ ماء العينين خصوصا من وفدنا

و فى عشية يومنا أتانا قائد المشور السيد محمد المصطفى بن القائد إدريس و وزير الأحباس، الفقيه السيد محمد بن عبد القادر بن موسى من عند الخليفة مولانا الحسن بن المولى المهدى نائبين عنه فى التهنئة لنا بالحج و القدوم بالسلامة، و ذكرا أنه يقرؤنا السلام، و قالا للشيخ أعزه الله، إنه كان ينتظر قدومه من الحج رغبة فى حضوره لمجلس افتتحه لأمر الأوقاف يهيئ فيه استقلال أحوالها، و يريد أن يشهده الأعيان من أهل العلم و المراتب السنية و المناصب العلية، و أنه، أى الخليفة عازم على عقد المجلس بالغد يوم الأربعاء السادس عشر من المحرم، و يستقدم له سيادة الشيخ

الرحلة المعينية، ص: ۲۴۶

أعزه الله و قرابته خصوصا دون سائر وفده، فأمرا بالتهيئ له، و ودعا و انصرفا، فلما ارتفع النهار يوم الأربعاء، أتانا وزير الأحباس المذكور، و خليفته قائد المشور، و هو أخوه الولى ابن القائد إدريس يستدعيان الشيخ و قرابته للمجلس المذكور، و بيدهما كتاب للشيخ أعزه الله من عند الخليفة يقتضى ذلك، و كذلك أتيا لكل واحد من قرابته المدعويين بكتاب من عنده بذلك، و الجميع سبعة و هم:

۱. شيخنا الشيخ مربيه ربه بن شيخنا الشيخ ماء العينين

۲. و أخوه الشيخ محمد الإمام بن شيخنا

۳. و ابن أخيهما محمد ماء العينين بن الشيخ أحمد الهيبة

۴. و ابن أخيهما سيدى بوى بن الشيخ حسن

۵. و ابن أخيهما سيداتى بن الشيخ الولى

۶. و ابن أختهما الشريف يحجب بن خطر بن سيد محمد

۷. و ابن أختهما جامع الرحلة ابن عمهما ما العينين بن العتيق.

فدخلنا دار المخزن مع أول القادمين، و وجدنا بها مجلسا أنيقا رائقا، و منظرا حسنا فائقا معدا للجماعة، فدخل العلماء و القضاة و الأشراف و أعيان المخزن و كبراء الدولة، فجلس الناس على مرابتهم، و رتبوا على مناصبهم، فلم نلبث إلا هنيئة حتى دخل المقيم العام، و بعده بقليل دخل مولانا الخليفة، فجلسا فى صدر المجلس و فى مقابلتهما سيادة الشيخ مربيه ربه و أخوه الشيخ محمد الإمام، و كان هذا الاحتفال من أعظم الاحتفالات، له سكينة كبيرة، و مهابة عظيمة، و أبهة غريبة، و جلالة مثيرة.

قصيدة لجامع الرحلة افتتح بها الكلام فى المجلس يمدح بها الخليفة و يهنئه بحفلته بارتجاع الأوقاف إلى سنتها الأول

فأول من افتتح فيه الكلام، سالكا أسلوب النظام على وفق ما يقتضيه المقام، جامع الرحلة ما العينين بن العتيق فى مدح مولانا الخليفة و تهنئته بموجب هذه الحفلة الجميلة، و الأبهة الجليلة، من ارتجاع الأوقاف إلى السنن المشروع، و السير فيها على نهج السلف الذى تباهى به الخلف فقال:

الرحلة المعينية، ص: ۲۴۷

[الكامل]

يرتاح للحسن المجيد بصرفهحسن القرض إلى محاسن وصفه

فالشعر حلى يستطاب بصوغهللطيب الأخلاق عاطر عرفه

فاصرف إلى الحسن الخليفة وجههمن كفّ أذى الزّمان و صرفه

و أنام أجفان الرّعية فى ظلال العدل آمنة تيقظ طرفه

عصماء عقد الملك بيت قصيدهإنسان عين المجد، ما رن أنفه

ما حلّ ساحة عرضه دنس و منيحلل بساحته النوائب يكفه

فالليث يذهل فى حماسة قلبهو الغيث يخجل من سماحة كفه

يلقاك فى عزّ المهابة و الوقاربخلقه المنسى النسيم بلطفه

فيذمّ نعت الأزهرين لنعتهو يشمّ عطف الوالدين بعطفه

فطن ينال برفقه متوحّداما ليس يبلغه الخميس بعطفه

ما تبغ من نائى المطالب يدنهأو تشك من داء المعاطب ينفه

الرحلة المعينية، ص: ۲۴۸ أو ترج من باهى المبرّة يوتهأو تخش من داهى المعرّة يكفه

بل لا يريم على المحامد عاكفاأنى ترمه مع المحامد تلفه

من ضئضئ النّسب الشريف و فرعهو خلاصة الحسب الكريم و صرفه

يا بن الإمام المرتضى المهدى قدشيّدت شامخ فخره من خلفه

ما سنّ من أثر جميل فى العلى‌أو سنه أسلافه لم تعفه

جدّدت مفخرة الجدود وزدتهاحرصا على تلد الفخار و طرفه

لك درّ فى المهد الحجا فرضعت مالم يرتضعه خليفة من خلفه

و إذا رحيق المكرمات أدير فى‌أندائها، كنت الجدير برشفه

قطفت يداك الغضّ من زهراتهاإذ عزّ كلّ يد تناول قطفه

ترعى نواظرك الرعية رعى منفى عدله عدم النظير و ثقفه

الرحلة المعينية، ص: ۲۴۹ لله مجلسك المبارك واقفاللشعب فى أقصى مصالح وقفه

صفّيته من كلّ شائبة و ماأوقفت غير المصطفين بصفّه

و سننته للوقف شورى رغبةفى سنّة السلف السّنىّ و عرفه

فليهنك السّعد الذى يبقى لكالتاريخ مدحته بصفحة صحفه

و اقرر و طب نفسا و عينا بارتقاء ولىّ عهدك فى حجاه و ظرفه

بك يأتسى، و من ائتسى بك فى المكارم تهده النّهج القويم و تقفه

تلك السيادة لم تزل من والدلإبن و هذا الوصف لم استوفه

الأعيان الذين ألقوا خطبا فى المجلس فى مقتضى الحال

ثم قام الفقيه السيد محمد بن عبد القادر بن موسى، و ألقى خطبة حسنة أجاد فيها و أفاد، و أطال و أطنب فيما يقتضيه المقام فى أحكام الأوقاف، خصوصا فى المغرب، و بدء أمرها الإسلامى، إلى أن ذكر ما تدعو إليه الحاجة بما يناسب الحال الواقع و بالغ فى وصفه بأحسن عبارة، لله دره.

ثم قام وزير العدالة سيد محمد بن التهامى فلالى ، و ألقى خطبة فيما يناسب

الرحلة المعينية، ص: ۲۵۰

الحال، حسنة مختصرة.

ثم قام الوزير الصدر الأعظم سيدى أحمد الغنيمى، و ألقى خطبة و جيزة فى مقتصى الحال، جيدة.

ثم قام المقيم العام، و ألقى خطبة حسناء، مؤذنة باعتناء دولة إسبانيا الجديدة بأمور المسلمين، و بشدة التعاضد الواقع بينهم و بين الشعب المغربى، و مساعدة رئيس الدولة الأعلى أمانى الشعب المغربى.

ثم قام مولانا الخليفة، و ألقى خطبة فريدة فى المعنى أيضا، و شكر للدولة ما ساعدت به من استقلال أمر الأوقاف، و أن ذلك يشعر بالموافقة على ما هو أعظم، و أبدع فيها و أحسن، مع الإيجاز الوافى بالمطلوب مما يقتضيه الحال و المقام فى الموضوع، لله أبوه، لا فضّ فوه.

قيام أهل المجلس إلى المأدبة التى أعدها لهم الخليفة بعد انقضاء المجلس

و هذه الخطب أغنانا نشرها فى الجرائد عن الإتيان بنصوصها، فتلقى أهل المجلس جميع ما ذكر بالاستحسان و القبول و الفرح و التصفيق، و سرّوا به غاية السرور، و لبسوا حلة الابتهاج و الحبور، ثم قام الجميع إلى دار حاجب الخليفة لمأدبة أعدها لهم مولانا الخليفة هناك، فدخلنا عند الحاجب، فأحضر من ملاذ الطعام و الشراب و آلات الطرب و الأفراح ما حصل به للكل غاية الانبساط و الانشراح، فأشتركنا الدعاء مع الجماعة، و توادعنا، ثم رجعنا صحبة سيادة الشيخ أعزه الله إلى محلنا فى دار الضيافة.

و بالغد، يوم الخميس السابع عشر من المحرم، دعانا الباشا السيد محمد فاضل ابن القائد إدريس إلى داره، فسرنا إليه مع سيادة الشيخ مربيه ربه، فى سائر وفده، و بالغ فى الإكرام و الإجمال و الإحسان و الإجلال، جزى خيرا

زيارة بعض أعيان تطوان لسيادة الشيخ مربيه ربه

فلما رجعنا لمحلنا بدار الضيافة، زارنا الشيخ المكى الناصرى، و الفقيه السيد عمر

الرحلة المعينية، ص: ۲۵۱

الطنجى إمام المسجد، و باشا تطوان السيد محمد بن محمد اشعاش، فى بعض رؤساء البلد و كانت تلك عادة رؤساء البلد، فإنهم دائما يترددون لزيارة سيادة الشيخ أعزّه الله أيامنا بتطوان.

تذكرة فى كون الوالد العتيق و الشيخ حسن توفيا فى طريق الحج، و ذكر فضيلة من توفى فيها

تذكرة، دخلت فى هذه الأيام أنا و سيدى بوى بن الشيخ حسنّ على الشيخ مربيه ربه، فأدنانا منه، و ضمنا إليه، و أظهر لنا من الخصوصية مالا يعبر عنه، و دعا لنا بما المرجوّ منه تعالى إجابته، ثم قال أعزّه الله، هنيئا لوالديكما، الشيخ حسنّ ، و العتيق بأن توفاهما الله فى طريق الحج، لقوله صلى اللّه عليه و سلم: «ثلاثة فى ضمان الله عز و جل، رجل خرج إلى مسجد من مساجد الله، و رجل خرج غازيا فى سبيل الله، و رجل خرج حاجا». و لقوله صلى اللّه عليه و سلم أيضا، «خمسة أنا أتكفل لهم بالجنة، الولد البار لوالديه، و المرأة المطيعة لزوجها، و من مات فى طريق مكة، و من كان حسن الخلق، و من كان مؤذنا فى مسجد من مساجد الله احتسابا». ثم قال أعزه الله: و أحمد الله أن حقّق لهما رجاءهما بحجكما أنتما بعدهما، لأن الولد حسنة من حسنات أبيه، إلى غير ذلك مما قابلنا به من فضله و إحسانه، جزاه الله عنا بأحسن جزائه.

قال جامع هذه الرحلة ما العينين بن العتيق ما ذكره الشيخ أعزه الله من وفاة الوالدين الشيخ حسنّ و العتيق، فى طريق الحج وقع لكل منهما بمدينة فاس بعد أن وصلها بقصد الحج.

الرحلة المعينية، ص: ۲۵۲

مطلب تاريخ سفر الشيخ حسّن بنية الحج إلى فاس من عند أهله و أين تركهم

فأما الشيخ حسنّ، فقد سافر عن حضرته، و كان بيتنا إذ ذاك فيها و فى بوادى درعة من مقابلة قرى طاطا عام ۱۳۳۳ ثلاثة و ثلاثين ثلاثمائة و ألف، فودّعنا رضى اللّه عنه، و سافر بنية الحج، و أتى على طريق الجبل إلى مراكش، فأحسن إليه الجلآويون غاية و أكرموه حتى وصل رئيسهم الحاج التهامى باشا مراكش فى مراكش، ففعل معه من الإجلال ما لا يوصف، و تكفّل له أن يتولى شؤون حجه هو و من شاء معه، و أن يبذل له ما يقوم بمؤن ذلك كله، فسار بتلك الصفة على تلك العزيمة، حتى وصل فاس، فأراد الله أن صادف مجيئه له طروّ الحرب الكبرى التى وقعت فى ذلك التاريخ بين الأجانب، فانسدت طريق الحج.

مطلب تاريخ وفاته رضى اللّه عنه بفاس و محل مدفنه

فتربص رضى اللّه عنه بفاس نازلا فى زاوية والده شيخنا ماء العينين ينتظر تيسير الطريق حتى مرض و توفى رضى اللّه عنه عاشر شوال عام ۱۳۳۴، و دفن بزاوية شيخنا الشيخ ماء العينين، و قبره هناك مشهور يزار، و تقضى عنده الحوائج، رضى اللّه عنه و أرضاه.

مطلب تاريخ سفر والدنا العتيق بنية الحج إلى فاس من عند أهله و أين تركهم

و أما الوالد العتيق، فقد سافر عن أهله بحضرة شيخنا الشيخ ماء العينين بالساقية الحمراء عام ۱۳۰۹ تسعة و ثلاثمائة و ألف بقصد الحج، و أنا إذ ذاك لا أعقل، لأنه بعد فطامي بقليل، فلما بلغ فاس، صادف فيه السلطان مولاى الحسن، فاعتنى به غاية و أكرمه، و كان نزوله عند مريد شيخنا الشيخ ماء العينين، قائد مشور السلطان، و هو

الرحلة المعينية، ص: ۲۵۳

القائد إدريس بن يعيش.

كتابه إلى السلطان المولى الحسن و القصيدة التى أودعها فى مدحه و استدعائه إلى إسعافه بما قدم له من أمر الحج

و قد ظفرت بكتاب له رحمه الله بخط يده، و كتبه للسلطان مولاى الحسن و أودعه قصيدة من إنشائه فى مدحه، يستدعى إسعافه بأمر الحج الذى قدم لأجله، و نص كتابه، رضى اللّه عنه ها هو: «بسم الله الرحمان الرحيم، و صلى الله على النبى الكريم، الحمد لله وحده، الحمد لله الذى خلق بعض عبيده لحوائج الأنام، و قوّى بهم فى أقطار البلاد الإسلام، و ألهمهم الشكر على ذلك أحسن الإلهام، فصرفوا فى وجهه ما أسدى لهم من الإنعام، و السلامان على من ختم به الرسل الكرام، و على آله و أصحابه بدور الظلام، و نصر الله مولانا و أيده، و مد فى جميع البلاد يده و أظهر به الحق و حققه، و أزهق به الباطل و مزّقه، و أطال حياته فى التنعيم و حفظه من كل آفة إلى دخول النعيم، و لا زالت شمس عدله مشرقة، و العظماء من إجلاله مطرقة، و بعد فإليه من الكاتب، سلام أعلى من المشترى و الكاتب، سلام لا- يخطر مثله على الأفهام، و لا تخطه فى المهارق الأقلام، و رحمة و تحية، كسيرته الزكية، موجبه، ليكن فى كريم علمكم أنى قدمت أنا و أخ لى إليكم، نريد أن يتفضل الله علينا بالحج فى هذا العام، و زيارة الرسول عليه الصلاة و السلام، و قد علمنا أن الوقت ضاق، لكن يعمى عن ذلك المشتاق، و قد كنتم الوسيلة إلى ذلك، و المعينين على كل ما نالك، فتوكلنا على الملك القهار، و ألقينا لديكم عصا التسيار، و لا سبب لنا إلى ما نؤمله إلا أن تفعل بنا ما أنت أهله، و الله يجزيك عنا و عن جميع المسلمين بأحسن ما تجازى به أمراء المومنين، ثم إنى أتوجه إليك بجدك صلى اللّه عليه و سلم، و أن تدعو الله لى بتيسير ما أبديته و ما هو مكتتم، و أن تدعو لى بكمال العبودية، و مشاهدة كمال الرّبوبية، و أن لا تخزجنى أبدا من همتك، وليكن فى كريم علمك أننى من أهل وصيتك، و السلام كما بدأ يعود، ما عبد عابد للمعبود، و قد جعلت هديتى شيئا من الشعر، سمحت به قريحتى، و إنه فى حقكم ليسير، لكن جهد المقّلّ كثير، و التزمت فيه

الرحلة المعينية، ص: ۲۵۴

التوشيع ، الذى هو من أنواع البديع، و جعلت فيه شيئا من الغزل، و ليس ذلك من السفه و لا من الهزل، بل لقوله صلى اللّه عليه و سلم: «لا تمدحونى بخصى الشعر»، و هو ما ليس فيه غزل، فقلت و على الله توكلت، و هو حسبى فيما توجهت:

[البسيط]

نئآك لما نأتك العالى الطّرب و عزّك المطربان اللّهو و اللعب

أم أنت من حبّها و ذكرها دنف أودى بك المضنيان الحزن و الطّرب

لم يبقيا منه إلا عظما أو عصبافدى لها الباقيان العظم و العصب

شطّ المزار بها، فهل يبلّغنى يوما لها المبلغان الوخد و الخبب

كم دونها مهمه قفر فريت إلى من زانه شيمتان العلم و الأدب

و زانه خصلتان جود أو حسب يا حبّذا الخصلتان الجود و الحسب

أميرنا و أرى الأوصاف توضحه ما يوضح الموضحان الإسم و اللقب

الرحلة المعينية، ص: ۲۵۵ من هو ملجأ أهل الأرض يلجئها لبابه الملجئان الخوف و الرّغب

فللضّعيف عطوف منحن أبداكأنّه المشفقان أمّه و الأب

و فى الحروب إذا نار الوغى اشتعلت كأنه الحارقان الجمر و اللّهب

فأطرق الصيد من إجلاله و ثنى رقابها الثانيان القهر و الغلب

و فى سما عدله شمس الهدى طلعت فنارت الجهتان الشّرق و الغرب

من استقام على طرف الهدى و به استقامت الفرقتان العجم و العرب

يا خير من كان للحاجات أجمعها يأوى له الواهيان الطّلح و الغرب

هذا و مدحك سار السائرات به الخيل و الحمر و البغال و النّجب

مديح صدق و إنّ الصدق متّضح لا يستوى البينان الحق و الكذب

فحقّ لى مدحكم و إن مدحت فما مقصودى المفتنان الورق و الذهب

إذ كم تجود بذين دون ما سبب إذ يفقد السببان المدح و الطّلب

الرحلة المعينية، ص: ۲۵۶ بل جئت من بعد و الخوف فى طرقى ما صدّنى المانعان البعد و الرّهب

و مقصدى أنتم و الحج يا سببه و حبّذا المقصدان الحجّ و السّبب

صلّى الإله على المختار جدّك ما يقضى به المطلبان الفوز و الأرب

و الكاتب عبيد ربه محمد الملقب بالعتيق بن محمد فاضل، حفيد شيخنا الشيخ محمد فاضل بن مامين و ابن أخته و ابن عم محبيك شيخنا ماء العينين و أخيه شيخنا سعد أبيه، و مريدهما، و السلام. و إن عثرتم على خطإ أو سوء أدب، فاعفوا و اصفحوا، و الله يحب المحسنين، انتهى من خطه رضى اللّه عنه.

مطلب تاريخ وفاة الوالد رضى اللّه عنه بفاس و محل مدفنه

فقابله السلطان مولاى الحسن بما لا مزيد عليه من الإكبار و الإعظام، و المبرة و الإكرام، و نفذ له كل ما تدعو له الحاجة من مؤن الحج و لوازمه، فلما تهيأ للخروج إليه من فاس، أصابه مرض الجدرى، فتوفى بسببه، رضى اللّه عنه، و دفن بزاوية الولى الشهير، الشيخ عبد القادر الجيلانى عام ۱۳۱۰ ه. عشرة و ثلاثمائة و ألف. قال شيخنا الشيخ النعمة بن شيخنا الشيخ ماء العينين فى كتابه «الأبحر المعينية فى الرحلة المعينية، ص: ۲۵۷

المدائح المعينية» فى آخر ترجمته للوالد المذكور- رحمه الله- ما نصه: «توفى عام عشرة بعد ثلاثمائة و ألف بمدينة فاس، قاصدا للحج- رضى اللّه عنه-، و حضر جنازته السلطان مولاى الحسن و أعيان الدولة و القضاة و العلماء، و دفن بزاوية الشيخ عبد القادر الجيلانى، و قبره معروف يزار، و قد زرناه مع شيخنا لما قدم على السلطان مولاى عبد العزيز بفاس عام عشرين بعد ثلاثمائة و ألف» .

مطلب تاريخ وفاة الوالد رضى اللّه عنه بفاس و محل مدفنه

فقابله السلطان مولاى الحسن بما لا مزيد عليه من الإكبار و الإعظام، و المبرة و الإكرام، و نفذ له كل ما تدعو له الحاجة من مؤن الحج و لوازمه، فلما تهيأ للخروج إليه من فاس، أصابه مرض الجدرى، فتوفى بسببه، رضى اللّه عنه، و دفن بزاوية الولى الشهير، الشيخ عبد القادر الجيلانى عام ۱۳۱۰ ه. عشرة و ثلاثمائة و ألف. قال شيخنا الشيخ النعمة بن شيخنا الشيخ ماء العينين فى كتابه «الأبحر المعينية فى الرحلة المعينية، ص: ۲۵۸

المدائح المعينية» فى آخر ترجمته للوالد المذكور- رحمه الله- ما نصه: «توفى عام عشرة بعد ثلاثمائة و ألف بمدينة فاس، قاصدا للحج- رضى اللّه عنه-، و حضر جنازته السلطان مولاى الحسن و أعيان الدولة و القضاة و العلماء، و دفن بزاوية الشيخ عبد القادر

الجيلانى، و قبره معروف يزار، و قد زرناه مع شيخنا لما قدم على السلطان مولاى عبد العزيز بفاس عام عشرين بعد ثلاثمائة و ألف» .

مطلب ذكر السيد محمد بن جعفر الكتانى لوالدنا المرحوم بالله فى تأليفه «سلوة الأنفاس بمن أقبر من العلماء و الصلحاء بفاس»

و ذكره أيضا العلامة الشريف، السيد محمد بن جعفر الكتانى فى تأليفه المسمى سلوة الأنفاس و محادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء و الصلحاء بفاس»، فقال فيه ما نصه «و من أهل فاس الجديد، الفقيه الشريف المنيف، ذو الأدب الظاهر، و النسك الباهر، أبو عبد الله سيدى محمد، المدعو العتيق بن محمد فاضل الشنجيطى، الحوضى منشئا، المتوطن الساقية الحمراء، كان رحمه الله ذا أدب وفقه، و مشاركة فى بعض العلوم، صواما، قواما ذاكرا، خاشعا، أخذ العلم و غيره من الأدعية و الأوراد عن شيخه و خاله، الشيخ الشهير، القدوة الكبير، من ظهر فى هذا

الرحلة المعينية، ص: ۲۵۹

الوقت ظهور شمس الظهيرة، و انتشرت أياديه انتشار الكواكب المنيرة، العلامة المشارك، الذى لا يدركه فى علومه و أهل عصره متدارك، ذى التآليف الكثيرة، و الكرامات العديدة الكبيرة، أبى عبد الله سيدى محمد مصطفى مء العينين ابن الشيخ محمد فاضل بن مامين، الشريف الحسنى الإدريسى، الشنجيطى- متع الله بوجوده و أفاض على البسيطة فيض مدده وجوده آمين، و به تربى و تأدب و تخلق و تهذب، ثم إنه قدم لهذه الحضرة السعيدة دعاه إليها داعى المنون، فأصيب بالجدرى و توفى به و ذلك بفاس الجديد فى عام عشرة و ثلاثمائة و ألف، و كان له هناك جنازة عظيمة حفيلة، حضرها أعيان الحضرة السلطانية، فمن دونهم، و دفن بالزاوية المنسوبة للشيخ الأكبر و الغوث الأشهر، سلطان الأولياء، و قطب دائرة الأصفياء، محيى الدين و تقى الدين أبى محمد سيدى عبد القادر الجيلانى بن أبى صالح موسى»

تاريخ سفر صاحب الرحلة لزيارة قبرى والده و الشيخ حسن بفاس

و قد كنت دائما معلق البال بزيارة قبره- رضى اللّه عنه- فلم تساعدنى الأيام، لكثرة الموانع و العوائق الوقتية إلى عام ۱۳۵۶ ه. ستة و خمسين بعد ثلاثمائة و ألف، سافرت من عند الأهل بنواحى طاطا بقصد زيارته و زيارة قبر شيخنا الشيخ حسنّ، فدخلت فاس أواخر ربيع النبوى من العام المذكور، و لبثت فيه عشرة أيام، أتردد إلى زيارتهما- لله الحمد- كل ساعة، نرجوه تعالى أن يجعلهما فى أعلى الفراديس، و أن يرزقهما رضاه الأكبر، و يتقبل منهما، و أن يتقبل منا، و يغفر لنا و يصلح أحوالنا و مئالنا بجاههما، و جاه جدهما رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و الحمد لله على ما أولانا من فضله.

الرحلة المعينية، ص: ۲۶۰

مطلب اجتماع جامع الرحلة بالسلطان سيدى محمد بن المولى يوسف ليلة عيد المولد الشريف بالرباط و ذكر القصيدة التى أنشأها حينئذ فى مدحه و تهنئته بالعيد النبوى

و فى ذهابى لزيارتهما- رضى الله عنهما- أدركنى عيد المولد الشريف بالرباط فى دار حاجب السلطان، مولانا سيدى محمد بن مولانا يوسف، و هو الفقيه الصوفى السيد محمد الحسن بن القائد ادريس بنعيش، أخو قائد المشور بتطوان السيد محمد المصطفى و محمد فاضل المتقدم ذكرهما، فلما صلينا المغرب فى دار الحاجب المذكور ليلة المولد الشريف، استدعانا إلى دار المخزن للاجتماع بالسلطان فسرنا معه، فاجتمعنا بجلالة مولانا السلطان سيدى محمد فى مسجده الخاص بدار المخزن، فاجتمع عنده تلك الليلة كثير من العلماء و الأدباء و الشعراء، حتى غص المسجد بهم، و السلطان جالس بينهم كأحدهم لم يتميز بعلامة من أبهة الملك عنهم، و باتوا مشتغلين فى إنشاد المدائح النبوية، بالأنغام الحسنة و الألحان المطربة، و مما ختموا منها قصيدتى البوصيرى الميمية و الهمزية

الشهيرتين، و قصيدة كعب بن زهير رضى اللّه عنه الشهيرة فى مدحه صلى اللّه عليه و سلم، فلما كان قبل طلوع الفجر بقليل، ختموا المجلس بقصائد من إنشاء بعض تلك الأجلة، فى مديح مولانا السلطان، و تهنئته بعيد المولد

الرحلة المعينية، ص: ۲۶۱

الشريف، و ما تفرق النادى، حتى صلوا الصبح بمحضر من السلطان، و كنت ممن أنشأ تلك الليلة فى مدح مولانا السلطان، و تهنئته بالعيد المولدى، لا بأس بإيرادها هنا، و هى :

[الكامل]

بشر المنى بك أشرقت أعلامهايشدو على فنن السّرور حمامها

و حظائر الأفراح منك تنسمتأرواحها و تبسّمت أكمامها

زانت إمامتك الزمان و كيف لاتزدان أزمنة و أنت إمامها

لم تبق من رتب الكمال مزيةإلا و انت ملاكها و قوامها

للّه درّك يا ابن يوسف من فتىيرعى به للمكرمات ذمامها

أنت المليك الكامل الكرم الذىنجلتك من غرّ الملوك كرامها

أجدادك الصيد الغطارفة الألىغبطت بها الغرب العراق و شامها

موفورة أعراضها مبذولةأموالها موصولة أرحامها

و حميدة أخلاقها و سديدةآراؤها و حديدة أفهامها الرحلة المعينية ؛ ص۲۶۱

الرحلة المعينية، ص: ۲۶۲ فمحلّ إيطان السّماحة راحهاو محلّ تيجان الخلافة هامها

ترك العلى لبنيه إسماعيلهاإرثا و أورثها بنيه هشامها

حتى جلست على أريكة عرشهاملقى إليك عنانها و زمامها

لم تحك فى فخر الجدود و من يرمفخر النفوس فما سواك عصامها

تحنوا لمنبرك الرؤوس مهابةإنّ الأسود مهيبة آجامها

أسهرت جفنك فى تدابير الأمور فأصبحت بك متقنا إبرامها

و كفيت ما تشكو الرعية فانجلتلأواؤها بك و انتفت أسقامها

و تعلّمت جهلاؤها و تأدبتأحلافها و تيقّظت نوامها

عنيت بسيبك عن بعولتها أياماها و عن آبائها أيتامها

كم من مدارس للعلوم نشرتهانشرت ثناءك فى الورى أقلامها

و مساجد شيّدتها و عمّرتهاأضحى بفضلك حاكما إحكامها

و كم اعتصمت بسنة الهادى فماترضى سوى ما تقتضى أحكامها

الرحلة المعينية، ص: ۲۶۳ و كم احتفلت بعيد طلعته فعندكلا تزال بهيجة أيّامها

فاهنأ بها من ليلة سرّت بشائرها بجدّك و استنار ظلامها

هى ليلة القدر الولادىّ التىعن البرية خيرها و سلامها

هل فى اللّيالى مايوازى ليلةعن طلعة المختار زيح لثامها

من حبّه بالغت فى تعظيمهاأو ليس من تعظيمه إعظامها

أحبب بها من مدحة نبويةباتت تدار بمنتداك مدامها

ما أنت إلا البدر فی هالاتهلمّا أحاط بجانبیک ندامها

فلقد رقیت سنام کل مکانهٔفی الفضل عزّ المرتقین سنامها

و نثرت کلّ یتیمهٔ للمجتدیفبدا بمدحک للمجید نظامها

و دعت مکارمک الوفد فلم ترمتترا إلیک فیستفاد مرامها

و ولیّ عهدک یقتفیک فنفسهعن رسل مجدک یستحیل فطامها

أنتم قدیما سادهٔ أبناؤکمما إن تزل عن إثرکم أقدامها

ماذا أعدّد من خلالکم التیلا یستطاع کمالها و تمامها

الرحلهٔ المعینیهٔ، ص: ۲۶۴

مطلب اجتماعنا تلک اللیلهٔ بالنقیب ابن زیدان، و ذکر کتابه الذی بعث لنا قبل ذلک و صحبته الأجزاء المطبوعهٔ من تألیف الإتحاف، و ذکر جوابنا له و القصیدهٔ التی قرظنا بها کتابه المذکور

و اجتمعت فی هذه اللیلهٔ بکثیر من أجلهٔ العلماء، و أئمهٔ الفضلاء و یلامع الأدباء، و فیهم العلامهٔ الأستاذ الفقیه المشارک الأدیب، النبیه، الشریف، نقیب العائلهٔ السلطانیهٔ، السید عبد الرحمان بن زیدان ، فقابلنی بما لا یوصف من السرور و الفرح بماقاتی، و لم یفارقنی تلک اللیلهٔ و لا أیامنا بالرباط بعد ذلک، حتی رکبنا فی السیارهٔ معا إلی داره بمکناس، فبالغ فی إکرامنا و الإحسان علینا، و لبثنا عنده أیاما فی أحسن حال، نبیت و نظل فی المذاکرهٔ العلمیهٔ و الأدبیهٔ، نتعاطی عنده کؤوس الإفادهٔ من جمیع الفنون، و کان من أغزر الأشراف علما و أدبا، و أوسعهم اطلاعا، و أحلاهم مجلسا، و أکرمهم نفسا، و أقومهم نهجا، فحمدنا الله علی ما منّ به من اجتماعنا، لأن کل واحد منا کان معلق البال بلقاء الآخر، و قد کان بعث لی کتابا عام ۱۳۵۵، و معه خمسهٔ أجزاء، تمّ طبعها من تاریخه المسمی «إتحاف أعلام الناس»، و نص ما کتبه لی:

«الحمد لله وحده، و صلی الله علی سیدنا محمد و آله و صحبه، من عبد ربه خدیم العلم و العلماء عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان بن علی بن محمد بن عبد الملک بن زیدان بن فخر الملوک وجد سلاطین المغرب الأقصی السلطان إسماعیل الأکبر، دفین مکناسهٔ الزیتون، إلی حبه صاحب الفضیلهٔ و النبل، العلامهٔ ابن العتیق، آدام الله إجلاله و إکباره و سؤدده و فخاره، و أمنه و رعاه، و أمنه و رعاه و زاد فی

الرحلهٔ المعینیهٔ، ص: ۲۶۵

حسنه و مغناه، و سلام علی جنابه الأرفع، و رحمهٔ الله و برکاته، أما بعد، بإن رابطهٔ العلم و الأدب، و صفاء الود المؤسس علی تقوی من الله و رضوان، تراث توارثه الأبناء عن الآباء، حدا بی إلی مفاتحهٔ جنابکم الملحوظ بعین الإکبار و الإجلال بالمراسلهٔ و إهدائکم ما تم طبعه من تاریخنا من إتحاف أعلام الناس، و هو أجزاء خمسهٔ، راجیا أن لا ینبذ وراءکم ظهریا، و أن تعیروه حصهٔ من وقتکم الثمین، المعمور بما یقرب من الله زلفی اقتفاء لآثار الأسلاف المتقین، و تنبیهی علی ما زاغ به القلم، أو نبا عنه البصر، و ضمه من خطا و خطل، شأن البشر، و قد زرت فی هذه الأیام الأخیرهٔ القطر السوسی، و لم یکن لی علم بمحل استقرارکم، حتی رجعت لتارودانت، و راجت المذاکرهٔ بینی و بین محب الطرفین الفقیه الأدیب، السید محمد الشنجیطی البیضاوی ، باشا تارودانت فی العلماء و الأدباء المعاصرین، فأخبرنی بأنکم العلم المفرد فی هذا الزمان، و شنف سمعی بما منحکم الله من الشمائل الشماء، و میزکم به دون من عداکم من علو الکعب فی الأدب الراقی و الشعر الفائق الرائق، و الوقوع علی بدیع النکت العلمیهٔ و الدقائق، أسفی علی عدم زیارتکم، و تجدید المواثق و العهود و إحکام ربط صلهٔ الوصل، و لو بکتب سواد فی بیاض، و الله أرجو أن لا یحرمنا من اللقی علی حالهٔ رضی الله و الرسول، فنتملی من آدابکم الجم، و السلام التام، عائد علی مقامکم الأسمی، و رحمهٔ الله و برکاته، من کاتبه مجلّ قدرکم ابن

زيدان المذكور صدره، فى فاتح صفر الخير عام ۱۳۵۵.

عنوانى إن تنازلتم للجواب يكون هكذا:

نقيب العائلة السلطانية، الشريف عبد الرحمان ابن زيادان بمكناس ه.

انتهى من خطه، جزى خيرا، و وقى ضيرا، فلما وصلنى الكتاب أجبته بما نصه:

الرحلة المعينية، ص: ۲۶۶

«الحمد لله وحده، صلى الله على سيدنا محمد، و على آله و صحبه و سلم.

إلى سيادة الأخ فى الله، العلامة الشهير، الأستاذ الكامل الكبير، الفقيه المشارك، الأجل، العمدة، الجامع، الأفضل، واسطة عقد العلماء الأعيان، بحر يواقيت المعانى و البيان، أعجوبه الزمان، شمس العرفان، عظيم القدر و الشأن، نقيب العائلة السلطانية، الشريف سيدى عبد الرحمان بن زيدان زاد الل احترامه و أدام إعظامه و إكرامه، و أبقى نجوم سعده طالعة، و ثمار علمه يانعة. من أخيه و حبيبه ما العينين بن العتيق، دفين فاس الجديد، الإدريسى القلقمى، سلام يليق بمجادته العظى، و مقامه الأسمى، ورحمة الله تعالى و بركاته، هذا و قد وصلنى كتابكم الأبهى بما تضمنه من خطابكم الأشهى، مصحوبا بالأجزاء الخمسة التى تم طبعها من تاريخ سيادتكم «أتحاف أعلام الناس»، فحل منى محل الإنسان من السواد و السويداء من الفؤاد، و مثلكم من بدأ بالفضل و الامتنان ودعته آصرة الود الأدبى إلى مزيد الاعتناء و الإحسان بعلو همتكم، و سمو رتبتكم أهل لما تفضلتم به من افتتاح المراسلة التى هى غاية المنية و نهاية البغية، و من إتحافى بتاريخكم الإتحاف، السافر عن محاسن أسلافكم الأشراف، و منذ وصل يدى، جعلته نصب عينى، و لم أغادر حاجزا بينه و بينى، فألقيته بحرا زاخرا، و روضا زاهرا، تقتنى منه درر الآثار، و تجتنى منه ثمر الأخبار، أخذ من فنون التاريخ أنفعها، و من أساليب التأليف أبدعها، شفى الغليل فى موضوعه المراد، و نمقه بلطائف الاستطراد، فضم الفوائد الجليلة، و المآثر الجميلة، و النكت العجيبة، و النتف المطربة، و الآداب الرائقة، و الأشعار الفائقة، ما يقرّ آماق الناظرين، و يشنف آذان السامعين، فلا مطعن فيه لحاسد، و لا مغمز فيه لنا قد، فأذن بفخامة قدركم العلى، و تبحركم فى العلمين النقلى و العقلى. و قد تلقيته بأيدى القبول و السرور و الاحتفال و الحبور، راجيا منه تعالى أن يجعله عملا مبرورا و سعيا مشكورا و أن يمتع المسلمين بدوام بقائكم و أن لا يحرمنا من الابتهاج بلقائكم، و قد سمحت القريحة بأبيات فى تقريظه، ملتمسا من سيادتكم نظرها بعين الرضا و المسامحة، جعلنا الله و إياكم من الراضين المرضيين الهادين المهتدين المتمسكين بسنته عليه الصلاة و السلام، بالتمام، و السلام، كما بدأ يعود على جنابكم المحمود.

فى ۲۰ صفر الخير عام ۱۳۵۵. ما العينين بن العتيق المذكور».

الرحلة المعينية، ص: ۲۶۷

و التقريظ المشار إليه هو:

[الطويل]

حبا بعبير الآس نفسى حبيبهافأهلا بريح لا أنى استطيبها

و لا عجب أن كان للصّدر شارحابآدابه صدر النوادى أديبها

سراج الهدى، إكليل مكناسة الذىبه اشتهرت آثارها و شعوبها

من أربى على عبد الحميد كتابةو أمّا بنات الفكر فهو حبيبها

لو استاق أرباب التواريخ نفحةسرت من عبير الآس يشفى هبوبها

لدان ابن قاضيها و هان عليّهاو غار ابن عيساها و حار خطيبها

كسا آل إسماعيل ممّا يحوكهملابس فخر ليس يبلى قشيبها

معادن أشراف الخلائق من عنتلدولتهم مرد الملوك و شيبها

فما أسلم الأعراض ممّا يشينهاو ما أخلص، الأعراق ممّا يشوبها

الرحلة المعينية، ص: ۲۶۸ مناقب أشراف تباهى و تزدهىبأن ابن زيدان الشريف نقيبها

فمن بالمزايا منك أولى و إن دعتفتاها القضايا من سواك يجيبها؟

و من ذا لداء الجهل غيرك مبرئو هل يبرئ الأدواء إلا طبيبها؟

و إتحافك الأعلام بالعلم شاهدبأنّك علّام الورى و أريبها

جزيت على إهداء أجزائه التىأبانت لنا سحر البيان ضروبها

لخمستها ترتاح خمسة راحتىو يوحشنى عن مقلتىّ مغيبها

لئن فاح من مكناس طيب بأهلهافقد زان أضعافا بطيبك طيبها

إن تعجب الأحوال منها فقد طبىبوصفك إيّاها العجيب عجيبها

ملأت بها الألباب حتّى كأنماترى الناس منها ما تعيه قلوبها

و أطلعتها فى الغرب شمسا لشوقهاعيون الأقاصى تستهلّ غروبها

فلا زلت نور العصر ما لاح نيّرو ما عاقبت يوما شمالا جنوبها

و لو لا خوف الإطالة، لذكرت طرفا مما جرى بينى و بين الشريف ابن زيدان المذكور، و غيره ممن اجتمعت به من الأجلاء فى سفرى هذا لزيارة الوالد و الشيخ حسن- رضى الله عنهما- أيامنا بفاس و مكناس و سلا و الرباط و الدار البيضاء و مراكش، و غيرها من

الرحلة المعينية، ص: ۲۶۹

المذاكرات العلمية و المحضرات الأدبية، و المساجلات الشعرية، و المفاكهات الودية، و الإفادات الدينية، و نحو ذلك، و قد أفردت لذلك سفرا مستقلا، ذكرت فيه ما يشفى و يكفى، فليراجعه من شاءه.

سفرنا من مدينة تطوان و توادعنا نحن و الشيخ محمد الإمام و من معه فيها

و لنرجع إلى ما كنا بصدده من أمر رحلتنا الحجية، و ذلك أنا سافرنا من مدينة تطوان صبيحة يوم الجمعة الثامن عشر من المحرم، بعد ما توادعنا نحن و الشيخ محد الإمام بن شيخنا الشيخ ماء العينين، و ابن أخته يحجب بن خطر و رفقاؤهم من بعمرانة بتطوان، و افترقنا معهم هناك، و تركناهم بنية الرجوع إلى مدينة إيفن، بعضهم فى الطيارة، و بعضهم فى السيارة، على الهيئة التى قدموا بها فى ذهابهم، و بعدما توادعنا نحن و أعيان البلد من أهل المخزن و غيرهم، فركبنا على السيارات بقصد مدينة سبتة، و ركب معنا بعض الأحبة لتشييعنا، كالعبادلة بن الشيخ محمد الأغظف بن شيخنا الشيخ ماء العينين، و رفيقه أحمد بن سيد أحمد ابن عيدّ، الساكنين وقتهما بتطوان للتعلم، و كأبناء القائد ادريس بنعيش، و وزير الأحباس السيد محمد ابن عبد القادر بن موسى المتقدم ذكرهم، و الترجمان «بنيت»، و غيرهم، حتى وصلنا سبتة، فركبنا السفينة قيلولة يوم الجمعة المذكور، و ودعنا المشيعون هناك، و رجعوا.

وصولنا لمدينة اشبيلية و بعض صفة جامعها و واديها الكبير و ركوبنا منها متوجهين كنارى

ثم أقلعت بنا الباخرة، فرست وقت الظهر بنا عند الخزيرات، فنزلنا بها و ركبنا من ساعتنا السيارات متوجهين مدينة إشبيلية و نزلنا دونها عشية ببعض المحطات، حتى استرحنا و تغدينا، فوصلناها وقت المغرب، فتلقى لنا أهلها فرحين بمقدمنا و أنزلونا منزلا حسنا رائقا، و أحسنوا ضيافتنا، فلما كان من الغد، يوم السبت التاسع

الرحلة المعينية، ص: ۲۷۰

عشر من المحرم، سرنا للتفسح فى مدينة اشبيلية و الاعتبار فى بعض مئاثرها، و رؤية بعض محاسنها، فدخلنا الجامع الشهير بمسجد بنى

عباد، فوجدناه فی غایة الحسن و الاتساع و الإبداع و إحکام البناء و إتقان السواری، علی کثرتها، و قد درت بساریة من سواریه لأقیس قدر عظمها، فإذا هی سبع و عشرون خطوة لمن یمشی دائرا بها، و جمیع سواریه الکثیرة کذلک، و فیه صومعة لا توصف حسنا و اختراعا و طولا، و لم تتغیر علی تطاول العهد و مرور الأعصار، إلی غیر ذلک من تلک المآثر الحسنة، کالوادی الکبیر الذی حولها، و هو وادی فی غایة الحسن و صفاء الماء و عذوبته، و بإزائه الریاض الزاهرة و سائر الأغراس و الزروع الباهرة، یسرح الطرف فی ناضرها بکلتا الضفتین المعتدلتین فی میزان المحاسن اعتدال الکفتین، و تسیر فیه البواخر، فرکبنا عشیة یومنا، یوم السبت الباخرة، فأقلعت بنا بعد صلاة المغرب قاصدة جزائر کناری، سالکة بنا الوادی الکبیر المذکور، فلما مضت من اللیل، وصلت البحر المحیط، فسارت بنا معه لوجهتنا إلی کناری بحمد الله و عونه، فلبثنا بین إشبیلة و کناری ثلاثة أیام.

وصولنا إلی جزیرة کناری

و وصلنا کناری عشیة یوم الثلاثاء، الثانی و العشرین من المحرم، ففرح بنا أهلها، و أنزلونا فی المحل الذی نزلنا فیه لما مررنا بها فی ذهابنا، و لم یقصروا فی إکرامنا و الإحسان علینا، و هنأونا بالسلامة و الحج و الإیاب بخیر، فبتنا بها لیلة الأربعاء و الخمیس مجتمعین.

ذکر رکوب الشیخ مربیه ربه من عندنا فی کناری و أبیات خاطبنی بها قبل رکوبه

فلما کانت صبیحة یوم الخمیس الرابع و العشرین من المحرم، رکب سیادة الشیخ مربیه ربه و معه أهله الطیارة لجهة الطرفایة، ثم أقام سائر الوفد بعده بکناری ثلاثة أیام، و قبل رکوب الشیخ مربیه ربه- أعزه الله- خاطب جامع الرحلة ما العینین بن

الرحلة المعینیة، ص: ۲۷۱

العتیق- غفر الله لهما- بهذه الأبیات الثلاثة علی عادة کرمه و فضله أعزه الله و هی:

[الخفیف]

قسما بالهوی و نجل العیونإن ماء العیون ماء العیون

کل صفو من خلّة یعتریهغیر غیر صفو ماء العیون

ذاک ابن العتیق یا رب صنهعن کیود العدیو سوء العیون

فجزاه الله عنی بأحسن جزائه، علی ما یقابلنی به دائما من إکمال الخصوصیة و إخلاص المودة، و شدة الاتحاد و إتمام الإیثار، و إبداع الأسرار، و إظهار الابرار، و وضع أثواب المحافظة بینی و بینه، حتی کأنی لا فرق بینی و بینه مع الإحسان الکثیر المتواصل، و الإکرام و التبجیل و الإجلال بمحاسن الأقوال و الأفعال، و ما ذلک إلا لما جبله الله علیه من مکارم الأخلاق، و حسن الشمائل، و کرم النفس، و جمال الطباع، و التخلق بالأخلاق الرحمانیة، و التأدب بالآداب النبویة، و لما زرعه الله بحمده له فی باطنه من أمحاض النصیحة و أظهار المحبة و إعطاء الکلیة من کل ما هو أهل له من کل ما لا یفی بشکره جنانی و لا یعبر عن حقائقه لسانی.

مخاطبات شعریة أدبیة بین سیادة الشیخ مربیه ربه و جامع الرحلة و منها ما هو للشیخ محمد الإمام

و کثیرا ما یخاطبنی- أعزه الله- و تمم له مراده، و أحاطه و کبت أعداءه و حساده، بنحو ما خاطبنی به فی هذه الأبیات فی نظمه و نثره، لکمال اجماله، و مزید بره، فمن ذلک أبیات ثلاثة راعی فیها الجناس التام، فی اسم الوالد رضی اللّه عنه کما راعاه فی اسمی أنا فی ذه الأبیات الثلاثة المذکورة، خاطبنی بها قبل هذه، لما قدمت علی حضرته الشریفة و هی:

الرحلة المعینیة، ص: ۲۷۲

[الوافر]

عليك مدى الزمان ابن العتيقسلام علّ بالراح العتيق

تنمّ به المحبّة كالمراياتريك محاسن الوجه العتيق

و طير البشر يشدوا و التحاياتكرر مرحبا يا بن العتيق

فأجبته أعزه الله مراعيا فى الجواب ما راعاه من الجناس:

[الوافر]

أمن فى الكون نبت عن العتيقو بيتك فيه كالبيت العتيق

و من من قدرك الكبراء أمسوابمنزلة الهجين من العتيق

نرى أخلاقك الحسنى مراياحديث المجد و المجد العتيق

و كتب لى مرة، دام عزه و علاه هذه الأبيات فى كتاب يستقدمنى لحضرته الشريفة، و هى:

[البسيط]

يا خير من منه أهل العلم تنتفع الرحلة المعينية، ص: ۲۷۳ و خير من لسبيل الحقّ يتّبعماء العيون من العلياء شيمته

و المجد ديدنه و العلم و الورعأقدم علينا و أهلا مرحبا بكم

إنّ الطيور على أشكالها تقع و أنشدنى يوما أعزه الله، و قد كنت أنشده بعض أشعارى، هذين البيتين من ارتجاله:

[الوافر]

أما و بنات فكرك يا فصيحلبا لآداب طبعك يستريح

و فينا أنت محمود المزاياو سعيك عندنا السّعى الرّبيح

فأجبته أعزه الله ارتجالا:

أما و خلالك التى تريحو ما أنا عوض دونك أستريح

لسعى لا تؤم به ذميمو مدح لا تراد به قبيح

و قد لبثت أنا و أخوه الشيخ محمد الإمام مدة مقيمين عنده، فلما هممنا بالسفر، قال أعزه الله مخاطبا لنا:

[الوافر]

أكوكبى الهداية و الإمامةو مؤتمرى أوامر الاستقامه

الرحلة المعينية، ص: ۲۷۴ مقامكما إلى يوم القيامه كيوم واحد تلك الإقامه

و عندى لم يزد تلك الإقامهسوى الإنعام فى دار المقامه

فأجبته أنا غفر الله لى بقولى:

[الوافر]

أمن للأمة المولى أقامهإماما لم يقم شهم مقامه

شهودكم الشفاء لنا و ما إنيفارق من يفاركم سقامه

و يوم لا نراكم فيه يحكىلدينا طوله يوم القيامه

و كذلك كنا مرة أخرى مقيمين عنده- أعزه الله- فلما هممنا بالسفر، خاطبنا بهذه الأبيات:

[الطويل]

رياض التدانى دانيات قطوفهاوجوه الأمانى شامخات أنوفها

بليلات أنس بيّض الله وجههاتباهت بأنواع السّرور ظروفها

ليال بإخوان قضينا حقوقهاتسامت مبانيها و ولت صروفها

فيا ليت يوم البين يوم قدومكمرياض التدانى دانيات قطوفها

الرحلة المعينية، ص: ۲۷۵

فأجابه الشيخ محمد الإمام، دام عزه بقوله:

[الطويل]

بيوت المعالى عاليات سقوفهابكم كلّها أنواعها و صنوفها

تقدّمت فى محراب كلّ فضيلةوصلّت بكم أفذاذها و صفوفها

و من يرمنك الوجه يبصر بديهةسطور المعالى تستبين حروفها

و من يستطل يوما مقاما فإنمالديك الليالى تستقل أنوفها

و قال جامع الرحلة ما العينين بن العتيق مجيبا له أعزه الله:

[الطويل]

لنعلك شمّ الصّيد تعنو أنوفهاو لم تستقم إلا وراك صفوفها

و شمس المنى لولاك ما ابيضّ وجههاو لا يخشى ما دمت دمت كسوفها

و من كرم تبدى لوفدك منّةعليك و وطف الفضل منك و كوفها

تفارقنا إن فارقتك نفوسناو لم يطب إلا فى حماك عكوفها

و كنت أنا و الشيخ محمد الإمام معه فى مجلس يوما، فأنشدنا أعزّه الله هذين

الرحلة المعينية، ص: ۲۷۶

البيتين:

[الكامل]

هذا هو النّادى الذى تعلو بهجلساؤه، لا ينتهى ترحابه

غابت عواذله، و فى أنس المنىحضرت على ما تبغى غيابه

فقال جامع الرحلة- غفر الله له-، مجيبا له أعزه الله:

[الكامل]

إن النّدىّ بك استنار شهابهوحلا برؤيته إليك خطابه

فبفيض سرّك تغتذى أرواحهو بنور كشفك تهتدى ألبابه

فقال الشيخ محمد الإمام:

يا حبّذا ناد مضت أوقاتهطيبا كما قد تشتهى أربابه

أحسن به لولاكم لم يحل مامن عصرنا معدومة أضرابه

فقال الشيخ مربيه ربه- أعزه الله- مخاطبا لهما:

[الكامل]

لا غرو إن أذكى بيانكما الحجىو هو الذى لا يستطاع عجابه

فالبرق غالب حاله لا سيمابعد التخافق تستهلّ سحابه

الرحلة المعينية، ص: ۲۷۷

فقال جامع الرحلة- غفر الله له- يخاطبه:

الفضل تخفق رأيه و قبابه‌بكم و منكم تستهلّ سحابه

و مجامع المجد الصّحيح بكفّكم‌فالكلّ منكم يستفاد نصابه

و قال الشيخ محمد الإمام يخاطبه أيضا:

بحر العلوم بجانبيك عبابه‌و لمن أتى موضوعة أكوابه

ما أن تزال بفيضكم و بنولكم‌مملوءة أسراره و عيّابه

و قال الشيخ مربيه ربه- دام عزه- يخاطبنى أيضا و أخاه الشيخ محمد الإمام يوما:

[الطويل]

هو البحر أنتم أهله و حللتم‌بذروته الدنيا و عروته القصوى

فأين مياه الأرض من ماء زمزم‌و أين المراسيل العتاق من القصوا

فقال جامع الرحلة- غفر الله له- مجيبا له:

[الطويل]

إليكم تناهت صحّة الفهم و العزوى‌و لا حسن إلا لأخلاقكم يزوى

الرحلة المعينية، ص: ۲۷۸ و لو أن غيلان انتهى لنديّكم‌لما كان مشغوفا بمىّ و لا حزوى

فقال الشيخ محمد الإمام مجيبا:

[الطويل]

أدامك ربّى فى السّرور كما تهوى‌معافى من الأدواء و الشّرّ و البلوى

بك ازدان وجه الأرض و اخضلّ نبتهاو عن أهلها انزاح المكاره و الأسوا

و قال جامع الرحلة يوما، و قد كان هو و الشيخ محمد الإمام فى نادى الأستاذ الشيخ مربيه ربه، فباسطهما على وجه الإكرام:

[الطويل]

إذا لاح فى النّادى الإمام ببشره‌و فاح شهىّ الطّبع منه بنشر

ير الذهن منشور البديع بطيّه‌و يستوضح المطوى منه بنشره

فقال الشيخ محمد الإمام يخاطبه أيضا، أعزه الله:

أما و فتور الطّرف منها و سحره‌و لعس اللّما منها و مكنون درّه

الرحلة المعينية، ص: ۲۷۹ لنعم زمان كنت صدر نديّه‌و لسنا نؤدّى الدهر واجب شكئره

فقال الشيخ مربيه ربه، مخاطبا لهما:

[الطويل]

أما و الذّى أغرى العواذل بالّذى‌أثار هوى الصّبّ المصون بصدره

لنعم و نعم المنتدى منتداكماو ما قدّروا مقداره حقّ قدره

و كنا معه يوما- أعزه الله- فى بعض المجالس، فبذل من المعروف، و أوضح من العلم، ما هو عادته أعزه الله، فقال الشيخ محمد الإمام يخاطبه:

[الطويل]

إذا جعل الأقوام معروفهم لفظابلا عمل قارنت فعلك و اللّفظا

و إن جعلوا الدعوى إلى العلم سلّماجعلت صحيح النّقل و الضبط و الحفظا

فقال جامع الرحلة يخاطبه أيضا:

[الطويل]

و إن يزعموا بالجدّ إدراك رتبةيروك جمعت الجدّ و الجدّ و الحظّا

و عن وجهك العلياء لم تعد عينهاو إن هى للخطّاب لم تلتفت لحظا

الرحلة المعينية، ص: ۲۸۰

فقال الشيخ مربيه ربه مخاطبا لهما:

[الطويل]

لعمرى لقد أحرزتما رتبة العلافلم تدعا منها لغيركما حظّا

على حسن الأخلاق طبعا جبلتمافعين سرورى لا تنى بكما يقظى

إلى غير ذلك مما جرى بيننا- بحمد الله- من نحو هذه المخاطبات، فى المراسلات و المحاضرات، و هو أكثر من الإحصاء و أطول من الاستقصاء، مع أن المخاطبات الشعرية قليلة، بالنسبة إلى المخاطبات النثرية. و لو لا- خشية الإطالة، لأتينا من ذلك بما يورق الأذهان، و يشنف الآذان، فلنقتصر على جوابه- أعزه الله- لرسالة بعثتها له فى المحرم، فاتح عام ۱۳۴۶ ه، تشتمل على أشعار، ما كان منها لغيرى عزوته لقائله، و ما لم أعزه فهو من إنشادى، غفر الله لى:

رسالة أدبية من جامع الرحلة إلى الشيخ مربيه ربه و جواب رائق من الشيخ إليه

و نص ما كتبت له: بسم الله الرحمان الرحيم، و على سيدنا محمد، و على آله أفضل صلاة و تسليم:

[البسيط]

على جبينك تاج العزّ منظورو فى يمينك سيف النّصر مشهور

و تحت وطأتك الأملاك خاضعةو فوق رأسك بند الفتح منشور

الرحلة المعينية، ص: ۲۸۱ و وفق بغيتك الأقدار جاريةو الكون فى قبضتى كفيك مقهور

فقرّ عينا و طب نفسا فأنت بحمد الله خير امرئ مسعاه مشكور

فنحمد من أجلسكم بأشرف محل، و أودعكم أقاليد العقد و الحل، و مدّ بكم للأمة أطناب دينها، و جدد بكم محاسن طبعها و دينها، و نصب لكم معاريج المجد و الصعود، فرفعكم فى دوحات الجد و السعود، فتسنمتم أسمى ذروة، و تمسكتم بأقوى عروة، سائرين بسيرة العمرين، ظاهرين ظهور القمرين، متقدمين فى محاريب الإمامتين، متلفعين بجلاليب الكرامتين، متدفقين بعلوم الشريعتين، متخلقين بوسوم الرفعتين، فما أنتم فى مقامكم الجليل إلا كما قال ابن الخليل:

[الكامل]

خير البرية أنت كلّهمفى يومك الغادى و فى أمس

و كذاك ما تنفكّ خيرهمتمسى و تصبح فوق ما نمس

و نشكره على فوائض فواضلكم الضافية، و شمول شمائلكم الشاملة الشافية، و إحيائكم قديم السنن، و إسدائكم عظيم المنن، و تمهيدكم جدد المجادة و الديانة، و تشييدكم جدد الرعاية و الصيانة، فأنتم مجمع موارد الكرم، و المورد الجامع الحرم و لعمرى لأحرى من كل سرّى بقول البحترى:

[البسيط]

كأنّك السّيف حدّاه و رونقهو الغيث وابله الدّانى و ريقه

هل المكارم إلا ما تجمعهأو المواهب إلا ما تفرّقه

الرحلة المعينية، ص: ۲۸۲

لا جرم أن شرفكم طارف و تالد، و أن الناس الولد و أنتم الوالد، تحرسونها و هى نائمة، و تسرحونها و هى سائمة، تلاحظون بجميل صنعكم قضاء أغراضها و تحافظون بصيانة عرضكم على أعراضها، فأنتم قوامها و ملاكها، و عليكم تدور على سبيل الحق الطرائق، و قمتم بحق الخلق و الخلائق، فطرف الإسلام بكم قرير، و لأنتم مع أهله كما قال جرير:

[الوافر]

يرى للمسلمين عليه حقاكمثل الوالد الرّؤوف الرّحيم

فعلى جلالة سعادتكم الجليلة، و فخامة سيادتكم العلية من التحيات و الرحمات و البركات و النعمات، ما يغنى عن ضائع المسك تنسّمه و يزرى بلامع البرق تبسّمه، و يخجل الأكمام إذا تفتقت، و يذم المدام و قد تعتّقت، أبلغ فى الآذان من سحر يوثر، و أحسن فى العيان من درّ ينثر، و من التسليم و الاحترام، و التعظيك و الإكرام، ما يستوفى من التحيات كل أسلوب، و يستوفى غاية المناسب و المطلوب، و يؤى عنا تلكم الحقوق الفرضية، و يقوم مقامنا لدى الحضرة المرضية:

[الطويل]

سلام من الرّحمان يجرى معينهبنظم ثمين الدّرّ يزرى ثمينه

يعمّ النّدىّ المولوىّ و ينجلىبمغزاه من صفو الوداد كمينه

و يستخلص المولى الذى عمّ يمنهو بالنقض و الإبرام خصّت يمينه

إمام الأساتيذ المربّيه ربّهخليفته فى أرضه و أمينه

فأنت الذى لولاك لم تمتر العلىو لم يدر من غثّ الفخار سمينه

الرحلة المعينية، ص: ۲۸۳

مد الله لنا فى أيام دولتكم، و أمد بالتأييد أعلام صولتكم، و لا برحت العصور لحبور أمركم مرتاحة، و الأمور لكم بما ترومون من الله متاحة، و مدرار الأيادى بأكنافكم ينهمر، و دمار الأعادى بأسيافكم يستمر، هذا و إن من انحاز هذه الساعات من متعلقاتكم إلى هذه الساحات، ما زالوا بحمد الله يربون فيما لهم من الالاء تحبون، فهم فى دياييج أفضالكم يرفلون، و فى مدارج ظلالكم يحفلون فكأنما حالهم مع صنعكم يعنى بقول أبى تمام فى المعنى:

[الوافر]

و ما سافرت فى الآفاق إلاو من جذواك راحلتى و زادى

مقيم الظّن عندك و الأمانىو إن قلقت ركابى فى البلاد

و قد يعلم الله ما نحن فيه، و ما نبديه يسير بالنسبة لما تخفيه من التوق لمطالع شمسكم، و الشوق لمجامع قدسكم، و التشوق لاشتياق بشركم، و التشرف لاستياق نشركم، و لمّا عز القدوم الآن بالقدم، و تداعى ركن التجلد و انهدم، و تسلينا بغد أو بعد غد، و بسيكون و كأن قد، و فى القلب ما فيه من ذلك، و إن كانت النية هنا لكم تحمل بالنيابة عن القدم القلم، فاستنار ليله فى القراطيس حين أظلم، فناب مسطاعه فيما لا يستوفيه، إلا أنه يشفى بعض الغليل فيه، فبعثت بالمسطور للثم تلكم اليمين و إنه بما سنح الفكر لقمين.

[المتقارب]

بعثت منيبا كتابى لكمو قبل الكتاب بعثت الفؤادا

فليلتى جعلت بياض العيونصحيفته و السّواد المدادا

و مما يتحتم على الكتاب عند ما يصل الأعتاب، و يرتاح إلى مأتاكم، و تفتحه

الرحلة المعينية، ص: ۲۸۴

راحتكم أن ينشد لذى الرمة إذا حياكم، و واجهه جميل محياكم:

[الطويل]

فلمّا تأملت الطّلاقة و انثنى‌إلىّ ببشر آنستنى مخائله

دنوت فقبّلت النّدى من يد امرئ‌جميل محيّاه، بساط أنامله

صفت مثلما تصفوا المدام خلالهو رقّت كما رقّ النّسيم شمائله

فلنا بوجودكم الفخر كل ساعة، لا عدمناه إلى قيام الساعة، و من الفخر حسبكم إن الثناء كسبكم و احتصرنا ما فى الضمائر لاطلاعكم على السرائر. فما قاله ابن أيوب فى موزونه، كأنما يخاطبكم بمضمونه:

[المتقارب]

كسبت الثناء و كسب الثناءأفضل مكسبة الكاسب

يقينك يجلو ستور الدّجىو ظنّك يخبر بالغائب

و حاشا فضل سيدنا أعزه الله، و أدام فخره و علاه أن ينسانا فى صالح الدعوات، لا سيما بالآمال و الغدوات، أو يخرجنا من حمى الهمة المنيلة كل مرمّه، و كذلكم سائر المتعلقات فى جميع الأوقات، متعنا الله بطول حياتكم، ممتعين بحصول طياتكم، و نصركم الله و أعزكم و أيدكم، و أطال فى جميع النواحى يدكم، و لا زلتم كالروض فى بهيج نضرته، و أريج زهرته، و وريف ظلائله، و قطوف خضائله و كالعارض تطمع بوارق شواهده، و تفزع صواعق رواعده، فيصير أمطارا للمرحومين، و إعصارا و نارا على المحرومين، و دمتم كالدهر فى بقائه و هتمه، و البحر فى سخائه و طمته، و كالشمس إضاءة و ارتفاعا، و الليث جراءة و دفاعا، و حاطكم السلام من السلام، و على خصوص

الرحلة المعينية، ص: ۲۸۵

البنوة و السلام، فى أوائل المحرم الحرام عام ۱۳۴۶، كتبه ابنكم ماء العينين بن العتيق، كان الله لهما آمين.

و لما وصله أعزه الله الكتاب، كتب لى ما نصه فى الجواب:

«الحمد لله وحده حمد من عبده، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد عين الرحمة، القائل إن من البيان لسحرا، و إن من الشعر لحكمة، اللهم احفظ بحفظك الذى لا يضام، و اكنف بكنفك الذى لا يرام، و احرس بعينك التى لا تنام، إبننا العامل العلامة الدراكة الفهامة، النحرير، العامل الواصل الكامل، ابن أختنا، قرة العينين، ثمرة الجنبين، السيد ماء العينين ابن ابن عمتنا، و ابن عمنا العالم العامل المحقق الأفيق، السيد العتيق- روّح الله روحه فى أعلى فريق- هذا و بعد السلام فض الإخلاص ختامه، و نصب القبول فى ساحته خيامه على سيادتكم، و رحمة الله على مجادتكم، و رفع أدعية مرجوّة القبول، تحقق لحسن طويتكم ما هو المأمول، قد وصل كتابكم الذى مثله فى البلاغة يعز المنبئ عن كل معنى بلفظ معجز، تشبيهاته مصيبة، و اختراعاته عجيبة، جعلتم بعضه مسلسلا، و بعضه مرسلا، فالحقتم الشكل بنظاره، و أعلقتم الأول بآخره، يشتد حتى تقول الصخر الأعلس، و يلين حتى تقول الماء أو أسلس، سواحر ألفاظ كفواتر الألحاظ، معتقات معان، كأنها فك عان، كلام سديد، قريب بعيد كالشمس تقرب ضياء، و تبعد رفعة و علاء، يسيل فى الأذهان سيل السلسبيل، ليس إلى بلاغته من سبيل، لا متناعه مع اتساعه، و تعسيره فى تيسيره، ما أبرع عبارته و أبدع استعارته، يدعو إلى حفظه حسن معناه و لفظه، تطابقت أنحاؤه، و توافقت أجزاؤه، يصبو إليه السمع و الطرف و يجرى فيه ماء الملاحة و الظرف، كأنما تنفّس الأسحار بنسيمه و تصدع الأصداف عن نظيمه، و نفث هاروت فى وشى بروده، و حبات القلوب من نظم عقوده:

[البسيط]

معنى بديع و ألفاظ منمّقةرقيقة و صنيع كلّه عجب

الرحلة المعينية، ص: ۲۸۶

غيره لله دره

[البسيط]

سحر من اللّفظ لو دارت سلافتهعلى الزّمان تمشّى مشية الثّمل

هو السحر الحلال و الماء الزلال، و قد أنشدنا فى استجادة ما أنشدتم، و استحسان ما أوردتم، قول أبى تمام لمدلول النظام:

[البسيط]

تغاير الشّعر فيه إذ سهرت لهحتّى ظننت قوافيه ستقتتل

ألا و كيف لا، و هو من ذكى كالبرق أو أسرع لمعا، و كالسيف أو أحدّ قطعا:

[البسيط]

مناقب شمخت فى كلّ مكرمةكأنّما هى فى أنف العلى شمم

فأقررت عينى بوروده و شفيت نفسى بوفوده، لكن الضمير لا يحيط بمكنونه، و الخطاب لا يسع ما فى مضمونه، ليتميز بإعرابه ما فى فصوله و أبوابه، إلا المشافهة فى الكلام لا نيابة الطروس و الأقلام، إذا قد رجونا من سمو قدركم و بهو بدركم، و علوّ جدكم، و سمو ودكم و إنجاز ما وعدتمونا به من الاجتماع، الذى هو ألذ من وصل الحبيب بعد الامتناع، و من تمايس القدود الرشاق، و احمرار الخدود تحت سواد الأحداق، أحلى من النعيم الحاضر، و أشهى من الشباب الناضر. فالإنجاز سنة الكرام التى مضى عليها عملهم و طريقة الأعلام التى نيط بها أملهم، و سيادتكم بكل فضيلة أحق، و لكل جميلة أسبق، فأنتم نجوم الظلام، و بدور التمام.

[الطويل]

فللنّجم من بعد الرّجوع استقامةو للبدر من بعد المغيب طلوع

الرحلة المعينية، ص: ۲۸۷

فأقدموا على بركة الله فى حفظ الله، و أمان الله، برعاية الله.

[الخفيف]

لو علمنا مجيئكم لفرشنامهج القلب أو سواد العيون

غيره:

[الطويل]

و قيل له أهلا و سهلا و مرحبافهذا مبيت صالح و مقيل

فنسأل الله جمع الشمل و الملاقاة، بعد الشتات، فى أطيب الأوقات.

[الطويل]

ليال قضيناها بطيب حديثكمفما كان أحلاها، و ما كان أغلاها

أبقى الله شمس ذهنكم و قادة، و أزمة البديع تحت مقاصدكم منقادة، ول العلوم الوهبية لكم دثارا، و العلوم الكسبية لكم شعارا، و متعنا الله بدوام إشراقكم، و عطر بالثناء جميل أخلاقكم، و الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات، و نسأله حسن البدايات و النهايات، و السلام عليكم، من السلام إلى دار السلام، فى أواخر المحرم الحرام عام ۱۳۴۶، عبيد ربه امربيه رب، أنا له الله بشكره ما يحب.

نرجوه تعالى أن يحقق له رجاءه، و يديم عزه و سناءه و ارتقاءه، و يجازيه عنا ببلوغ الآمال، و قرة العينين فى النفس و الانجال، و سائر المتعلقات فى المسرات و دوام العافيات.

الرحلة المعينية، ص: ۲۸۸

مخاطبات شعرية أدبية بين الشيخ محمد الإمام و جامع الرحلة

و كذلك صنوه الأستاذ الشيخ محمد الإمام المذكور، فقد كان بينى و بينه- أطال الله بقاءه- من الخصوصية الصافية، و المودة الخالصة، و المحبة الوافية ما لا يخطر على بال، و لا يعبّر عنه مقال، حتى كأنا بحمد الله، ذاتا واحدة، تقاربت الجسوم، أو كانت متباعدة، فلسنا- بحمد الله- إلا كما قيل:

[الرمل]

أنا من أهوى و من أهوى أنانحن روحان حللنا بدنا

فإذا أبصرتنى أبصرتهو إذا أبصرته قلت أنا

فقد جعلنى- دام عزه- كنز سره المكنون، و حديقة أنسه المصون، فمبلغى عنده فى الاجتباء و الاصطفاء و التقرب لم يبلغ قريبا منه حبيب من حبيب، و ما ذاك إلا من كرمه و تواضعه و أفضاله، و محاسن أخلاقه و إجماله، و تحليه بالأوصاف المحمدية، و رسوخه فى المقامات الأحدية، و تأسيه بالأخلاق القرآنية، و ثبوته فى مجمع الطرق الربانية، و دائما- أدام الله لنا بقاءه و رفعته و عزه و ارتقاءه- يخاطبنى بما هو أهل له من الإحسان و الإكبار، و إظهار الاتحاد فى الإعلان و الإضمار، فى محاسن النثر، و بدائع الأشعار، فمن ذلك هذه الأبيات أنشدنيها من ارتجاله- حفظه الله- و قد اجتمعنا بعد ما كنا مفترقين، و هى :

[البسيط]

ماذا أقول و لو أطنبت فيما بىشوقا لكم كان كالإيجاز إطنابى

الرحلة المعينية، ص: ۲۸۹ فالقلب بعدكم ما أنفكّ ذا وصب كأنّما البين للأوصاب أوصى بى

سرى اشتياقكم فى القلب يتبعهعرفا بعرف و أعصابا بأعصاب

أهكذا كلّ خلّ فى المحبّة أمشىء خصصت به من بين أحبابى

نعم لقد فقت إخوان الصّفاء كماقد فقتم الغير فى علم و آداب

لذاك صرت بكم بلا منازعةأولى و صرتم عن الأحباب أولى بى

فأجبته دام حفظه و علاه بهذه الأبيات، ملتزما فيها لزوم ما لا يلزم:

[البسيط]

يا من بمرعاه إمراعى و إخصابىو الحبّ و الودّ منه المحض خصّابى

و من ولهت به شوقا فجرّعنىما من جواه أقاسى غصّة الصّابى

إنّى لأصبوا إلى سلسال وصلكم كما إلى العين يصبو المولّع الصّابى

الرحلة المعينية، ص: ۲۹۰ لو لا فراقكم ما اعتادنى وصبو لم يكن غيركم ترياق أوصابى

ما زلت ذا نصب من داء بينكمو بينكم برء أدوائى و أنصابى

لو أنصف الدّهر أودى بالبعاد فلاتقصون عنى و عنكم ليس يقصى بى

و كان الأستاذ الشيخ محمد الإمام مرة مسافرا، فكتب إلىّ بهذه لأبيات:

[الطويل]

سلام كعرف الرّوض صافحه النّدىيزفّ إلى بحر النّدى و المكارم

من امترجت روحى بسلسال ودّهو إن شئت سل سيول الدموع السّواجم

فموجبه أنّى على العهد لم أزلو لا تعترينى فيه لومة لائم

فأجبته غفر الله لی بقولی بعدما قدم من سفره:

[الطويل]

ألا مرحبا أهلا و سهلا بقادمأقاسی الهوی من حبّه المتقادم

الرحلة المعينية، ص: ۲۹۱ إمام الهدی، بدر الدّيانة مرتقیسنام المزايا بأستنام العزائم

لک المنزل الأحظی من القلب إن تبنو إن تدن لا تنفکّ فيه ملازم

أغصّ بريقی کلّما غبت مثلماتغصّ البری فی زند ريّا المعاصم

فأصبو إلی خمر التّدانی بغصّتیصبو من استباه خمر المباسم

فأغدو به نشوان أهتزّ دائماکما اهتزّ أعطاف الحسان النّواعم

علی أن إيناسی علی القرب و النّویبک الدّهر ما غنّت شوادی الحمائم

و کتب لی حفظه و کلأه الله مرة کتابا يستقدمنی فيه لحضرته العلية، و أودعه هذه الأبيات:

[الطويل]

لئن غاب يا عينیّ ماؤکما إذافما هو عن عين الضّمير بغائب

له صورة فی القلب لم يقضها النّویو لم تتخطّفها أکفّ النّوائب

إذا ساءنی منه نزوح دياره‌و ضاقت علیّ فی نواه مذاهب

الرحلة المعينية، ص: ۲۹۲ عطفت علی شخصه غير نازحمحلّته بين الحشا و التّرائب

فکتب له أطال الله بقاءه، فی جوابه هذه الأبيات:

[الطويل]

أسود فروع فوق بيض ترائبأم استنّ فوق الطرس مزبر کاتب

أتانی علی شحط المزار خطابه‌فلم أر ذاتا غير ذات مخاطب

فتی عن سؤالی حاجب العين و الحجاو هل هو إلا نصب عينی و حاجب

فکيف إمام الصّفّ عنک تربّصیبمغنی و مغناطيس شوقک جاذب

و قال الشيخ محمد الإمام دام بقاؤه أيضا مخاطبا جامع الرحلة ما العينين ابن العتيق فی مقدم قدمه علی الحضرة الشريفة صانها الله بعدما طالت غيبته عنها، جزاه الله عنا بطول العمر فی العافية .

[البسيط]

بشراک بالسّعد غنّی الطّائر الغردو أنجزتک ليالی الوصل ما تعد

الرحلة المعينية، ص: ۲۹۳ بدر المنی ساطعا هذاؤه وذه‌شمس التهانی بأفق السّعد تتّقد

بمقدم من حبيب شدّ ما انتزحت‌به يد البعد تبّت للبعاد يد

فأصبحت ثمرات البشر يانعةتخال قنوانها باللّطف تنعقد

أما تری حلبات المجد منذ أتیفی کلّ غاياتها تجری و تطرد

لمّا تنشّقت من عرف الوصال شذیسرت حميّا الشّفا فی کلّما أجد

يا مرحبا بک من علق لجانبناتهدی الرّکاب به عيرانة أجد

فانجاب مذ جابت البيداء حندسهاو انحلّ مذ حلّ فی ساحاتنا العقد

رغد المعاش لمن نأت أحبّته‌ضنک و ضنک لديهم عيشة رغد

ما إن يزاحم وسط القلب منزلهأنّى تغالب عن أشبالها الأسد

كم فكّ عوصاء ما انفكّت مغلّقةو عزّ مصدر من لبابها يرد

الرحلة المعينية، ص: ۲۹۴ محسّد من أناس دون منصبهلا زال فوق الذى من أجله حسدوا

قد زان صدر الندىّ اليوم مشهدهما زان جيد الفتاة السّمط و الغيد

لعساء تفترّ عن أغرّ ذى شنب كأنّه أقحوان الرّمل أو برد

أصمت فؤادك عن قوس موتّرةما إن لمن قتلت عقل و لا قود

و من تأوّد غصن فى علائلهالو لا الغضارة لا يلفى به أود

هذا و نسأل مولانا رعياتكمو أن يبلّغ للجميع ما قصدوا

فلما أنشدنا منشها- أطال الله حياته- بحضرة ألأستاذ سيدنا الشيخ مربيه ربه، قال فى استحسانها هذين البيتين ارتجالا، و هما:

[البسيط]

يا من يحاول شعرا رائقا سلسامن نسج يلمعة أثوابه جدد

أنشد على ثقة لما تحاولهبشراك بالسّعد غنّى الطائر الغرد

الرحلة المعينية، ص: ۲۹۵

و قال جامع الرحلة ما العينين بن العتيق- غفر الله له- فى جوابها :

[البسيط]

يا خير من منه مدت للثناء يدفلم يكن منه أحرى بالثنا أحد

من غادرت من على أجداده جدداابيضا، فجدّت به من بعدها الجدد

و لا تزلّ له عن نهجها قدمإذا تشعّبت الطرائق القدد

و آخت السّؤدد الطّبعىّ مهجتهطفلا فشدّ به للسؤدد العضد

من لا ينى فى مجاز المجد يرصدهحقيقة حين لم يوجد له رصد

لم يحكه فى صميم المكرمات فتىو هل يقاس بصافى العسجد الزّبد؟

القدوة العمدة المرسى مطنّبة العلياء، فهو لها الأوتاد و العمد

لا غرو أن جدت يا أهل الثناء بهفليس من غير كسب المنفق الصفد

الرحلة المعينية، ص: ۲۹۶ أحبب ببشر و ترحيب يريه لنامن فضلكم فى محيّا فكره الخلد

نحن الألى عن نور مشهدكمو بدر مشهدكم صبر و لا جلد

ما للمعيشة تنغيص كبعدكمأنّى يطيق النّوى عن روحه الجسد

قد كابدت كبدى من بينكم كبداو كيف تصبر عن أفلاذها الكبد؟

ما افترّ ثغر اللّيالى عن بوارقكمو اصطاد للوصل عصفور النوى صرد

فالكلّ منّا بحمد الله مبتهجوقد تهيّا لنا من أمرنا رشد

لا زال ذلكم المغنى البهيج لناروض اجتماع إلى أفيائه نفد

و كعبة حجّها يطبى الوفود كمايطبى لكعبته حجّاجه البلد

و دمت وارث طه يا خليفتهفى الكون صلّى عليه الواحد الصّمد

الرحلة المعينية، ص: ۲۹۷

و قال الشيخ محمد الإمام أيضا يخاطبنى، و قد ارتجلنا أشعارا فى محاضرة أدبية يطول جلبها:

[الطويل]

أمن خاض فى بحر العلم لجته الوسطىفشطّ بها و الغير ما جاوز الشّطا

لعمرك لم يلبغ مديحك مفلقو لو شطّ فى أمداحه فيك ما شطّا

لأن المعانى فى علاك تزاحمتفأطّت سماء الفكر من حملها أطّا

و إنّ بنات الفكر عزّ اقتناصهاعلى غير كفء يفهم القصد و الشرطا

و إنى فتحت الباب من ذاك ناحيالماء عيون المجد فى الأخذ و الإعطا

فأعطيت قوس الشعر باريّها الذىلدى ذهنه حطّت رحالتها حطّا

فأجبته:

أواسطة العقد الإلاهى ما تعطىعزيز مداه من مراتبك الوسطى

و ما رام فى مجد يساميك مرتقىبرفعته إلا تدحرج و انحطّا

أ إذ لم تقس فى الشعر أعطيت قوسهو أىّ مجيد منك أجدر بالمعطى

فذهنك فى الآداب جوّلت طرفهو لمّا تجاوز فى مناهجها القسطا

الرحلة المعينية، ص: ۲۹۸ تنى الشّم عن درك الإمام و لو خدتبفيح علاه نجب همّاتهم خبطا

فمن يغترف من بحر أمداحه يصبو من يعترف بالعجز عنه فما أخطا

و أمثال هذه المخاطبات بحمد الله كثير، و إنما أتينا بطرف منها يسير، دلالة على ما ذكرنا من أمر الشيخين، جزاهما الله بطول العمر و قرة العينين، و نحمده تعالى على نعمة مرافقتهما إلى الحرمين، رزقنا الله بجاههما، و جاه جدهما صلى اللّه عليه و سلم سعادة الدارين، و كفاية الهمّين، و الحفظ من شر الثقلين، آمين.

ذكر مسائل فقهية

اشارة

مسائل فقهية ألقاها بعض وفدنا الحاج أيامنا بكنارى بعد مسير الشيخ مربيه ربه عنا، و ذلك أنا كنا ذات يوم فى بعض مجالسنا، فاستفتانا بعض الجلساء عن ثلاث مسائل اقتضى الحال البحث عن حكمها.

المسألة الأولى: هل يحل أكل ذبائح النصارى أم لا؟ و الجواب عن ذلك

اشارة

الأولى، هل يحل أكل ذبائح النصارى لنا أم لا؟ الثانية، هل يباح لنا نكاح نسائهم أم لا؟ الثالثة، هل تجوز لنا رقيا مرضاهم أم لا؟ فسارع بعض الحاضرين إلى الجواب بما لا مقنع فيه، فالتفت السائل إلى جامع الرحلة ما العينين بن العتيق- غفر الله له- و استفتانى، خصوصا عن المسائل الثلاث، فقلت له: لو لا الوعيد الوارد فيمن سئل عن علم يعلمه فكتمه لما تكلمت فى هذه المسائل بأدنى كلمة لأنها من

الرحلة المعينية، ص: ۲۹۹

الأحكام الشهيرة، المشحونة بها الكتب الفقهية، لكن حيث عنيتنى بالخطاب لم يسعنى ترك الجواب، و الله الموفق للصواب، فأقول: أما المسألة الأولى و هى هل يحل لنا أكل ذبائح النصارى، أم لا؟ فالجواب فيها، أنه يحل لنا أكل ذبائحهم، لقوله تعالى، «وَ طَعامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ حِلٌّ لَكُمْ» ، قال البغوى فى تفسيره ما نصه: «يريد ذبائح اليهود و النصارى و من دخل فى دينهم من سائر الأمم قبل مبعث محمد صلى اللّه عليه و سلم، حلال لكم، فأما من دخل فى دينهم بعد مبعث محمد صلى اللّه عليه و سلم، فلا تحل ذبيحته، و لو ذبح يهودى أو نصرانى على اسم غير الله، كالنصرانى يذبح باسم المسيح، فاختلفوا فيه، قال ابن عمر لا يحل، و هو قول ربيعة، و ذهب أكثر أهل العلم إلى أنه يحل، و هو قول الشعبى و عطاء و الزهرى و مكحول، سئل الشعبى، و عطاء عن النصرانى يذبح باسم المسيح، قالا: يحل، فإن الله تعالى قد أحل ذبائحهم، و هو يعلم ما يقولون، و قال الحسن: إذا ذبح اليهودى او النصرانى، فذكر اسم غير الله، و أنت تسمع، فلا تأكله، فإذا غاب عنك فكل، فقد أحل الله لك» . و قال الخازن فى تفسيره ما نصه: «يعنى، و ذبائح أهل الكتاب حل، و هم اليهود و النصارى و من دخل فى دينهم من سائر الأمم قبل مبعث النبى صلى اللّه عليه و سلم، فأما من دخل ف دينهم بعد مبعث النبى صلى اللّه عليه و سلم، و هم متنصروا العرب من بنى تغلب، فلا تحل ذبيحته روى عن على بن أبى طالب، قال: لا تأكل من ذبائح نصارى العرب بنى تغلب فإنهم لم يتمسكوا بشىء من النصرانية إلا بشرب الخمر، و به قال ابن مسعود، و مذهب الشافعى أن من دخل فى دين أهل الكتاب، بعد نزول القرآن، فإنه لا تحل ذبيحته، و سئل ابن عباس عن ذبائح نصارى العرب، فقال: لا بأس به. ثم قرأ: و من يتولهم منكم فإنه منهم، و هذا قول الحسن و عطاء و ابن أبى رباح و الشعبى و عكرمة و قتادة و الزهرى و الحكم و حماد، و هو مذهب أبى حنيفة و مالك، و إحدى الروايتين عن أحمد، و الرواية الأخرى، مثل هذا مذهب الشافعى، و أجمعوا على تحريم ذبائح المجوس و سائر أهل الشرك من مشركى العرب و عبدة الأصنام، و من لا كتاب لهم،

الرحلة المعينية، ص: ۳۰۰

و أجمعوا على أن المراد بطعام الذين أوتوا الكتاب، ذبائحهم خاصة.» . و قال ابن حيان فى تفسيره «البحر» ما نصه: «طعامهم هنا هى الذبائح كذا قال معظم أهل التفسير، قالوا لأن ما كان من نوع البر و الخبز و الفاكهة و ما لا يحتاج فيه إلى ذكاة، لا يختلف فى حلها باختلاف حال أحد، لأنها لا تحرم بوجه سواء كان المباشر لها كتابيا أو مجوسيا، أم غير ذلك، و أنها لا يبقى لتخصيصها بأهل الكتاب فائدة، و لأن ما قبل هذا فى بيان الصيد و الذبائح. فحمل هذه الآية على الذبائح أولى إلى أن قال:

«و إذا حملنا الطعام على ما قاله الجمهور من الذبائح، فقد اختلفوا فيما هو حرام عليهم، أيحل لنا أو يحرم؟ فذهب الجمهور إلى أن تذكية الذمى مؤثرة فى كل الذبيحة، ما حرم عليهم منها، و ما حل فيجوز لنا أكله كالشحوم المحضة. و هذا هو الظاهر لقوله: وَ طَعامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ» و هذا المحرم عليهم ليس من طعامهم، و هذا الخلاف موجود فى مذهب مالك» إلى أن قال أيضا: «و ذهب الجمهور، ابن عباس و الحسن و عكرمة و ابن المسيب و الشعبى و عطاء و ابن شهاب و الحكم و قتادة و حماد و مالك و أبو حنيفة و أصحابه أن لا فرق بين بنى إسرائيل و النصارى، و من تهود أو تنصر من العرب أو العجم فى حل أكل ذبيحتهم» .

و حاصل فقه المسألة فى مشهور مذهب الإمام مالك هو ما لخصه الإمام ابن جزى فى قوانينه، فقال ما نصه: «فأما أهل الكتاب من اليهود و النصارى، رجالهم و نسائهم، فتجوز ذبائحهم على الجملة اتفاقا، و اختلف منها فى فروع، و هى إن كان الكتابى عربيا، جازت ذبيحته عند الجمهور، خلافا للشافعى فى أحد قوليه، و إن

الرحلة المعينية، ص: ۳۰۱

كان مرتدا، لم تؤكل ذبيحته عند الجمهور، خلافا لأبى إسحاق، و إن ذبح نائبا عن مسلم، فقولان فى المذهب، و لا خلاف فى الجواز إن ذبح لنفسه، إلا إن ذبح لعيدهم أو كنائسهم، فهو مكروه، و أجازه أشهب، و حرمه الشافعى، و إذا كانت الذبيحة محرمة عليهم، فأربعة أقوال: المنع لابن القاسم، و الإباحة لابن عبد الحكم، و الكراهة لأشهب، و التفرقة بين أن يكون مما علمنا تحريمه عليهم كذى الظّفر، فلا يجوز، أو مما انفردوا بتحريمه كالطريفة فيجوز، و فى شحوم ما ذبحوه، المنع و الجواز وفاقا لهما، و الكراهة، و إذا غاب

الكتابى على الذبيحة، فإن علمنا أنهم يذكون أكلنا، و إن علمنا أنهم يستحلون الميتة كنصارى الأندلس، أو شككنا فى ذلك، لم نأكل ما غابوا عليه» . و هذا هو الذى تمشى عليه خليل فى مختصره المبين لما به الفتوى، فقال فى باب الذكاة: «قطع مميز يناكح» ، قال الدردير: «أى تنكح أنثاه و لو عبر به كان أولى، فدخل الكتابى ذكرا أو أنثى، و لو أمه». و قال الخرشى: «و دخل فى قوله يناكح، أى يحل لنا وطء نسائه فى الجملة، المسلم و الكتابى معاهدا أو حربيا، حرا أو عبدا، ذكرا أو أنثى، و لا فرق بين الكتابى الآن و من تقدم على المشهور ... إلى أن قال خليل فى وصف الكتابى: و إن سامريا أو مجوسيا تنصر و ذبح لنفسه مستحله، و إن أكل الميتة إن لم يغب» إلخ. فتحصل مما تقدم أن لا خلاف فى إباحة أكل ذبائح النصارى على الجملة، و إن كانت الحرمة ربما تعرض فيها لأسباب خارجة مع الاختلاف فى ذلك بين العلماء، كما قررنا، و الله الموفق.

تنبيه فى حكم صيد الكتابى

تنبيه. صيد الكتابى البرى محرم الأكل فى المذهب المالكى، قال خليل: «و جرح

الرحلة المعينية، ص: ۳۰۲

مسلم مميز وحشيا» إلخ، قال شارحه الخرشى: «و احترز بالمسفح من غيره كتابيا أو مجوسيا»، قال محشيه العدوى: «و اشتراط الإسلام» فى قوله تعالى: «تَنالُهُ أَيْدِيكُمْ وَ رِماحُكُمْ» ، لأن الخطاب للمسلمين، و هو مبنى على الإضافة تفيد الحصر. ه».

و قال ابن حيان فى تفسيره «البحر» عند قوله تعالى: «وَ ما عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوارِحِ مُكَلِّبِينَ» ، ما نصه: «و ظاهر قوله: ما علمتم أنه خطاب للمومنين. فلو كان المعلم يهوديا أو نصرانيا، فكره الصيد به الحسن أو مجوسيا، فكره الصيد به جابر بن عبد الله و الحسن و عطاء و مجاهد و النخعى و الثورى و إسحاق. و أجاز أكل صيد كلابهم مالك و أبو حنيفة و الشافعى إذا كان الصائد مسلما. قالوا: و ذلك مثل شفرته و الجمهور على جواز ما صاد الكتابى. و قال مالك لا يجوز فرق بين صيده و ذبيحته.» ، و قال ابن جزى فى قوانينه «يجوز صيد المسلم انفاقا و لا يجوز صيد المجوسى، و فى صيد الكتابى، ثلاثة أقوال: الجواز: و المنع و الكراهة» . و أما صيد البحر، فحلال مطلقا، و لو بصيد كافر، إذ لا يزيد على كونه ميتة، و ميتته حلال.

المسألة الثانية، هل يباح نكاح نساء النصارى أم لا؟ و الجواب على ذلك

و أما المسألة الثانية و هى هل يباح لنا نكاح نسائهم؟ فالجواب عنها، أنه يباح لنا نكاح نسائهم على الجملة، لقوله تعالى عاطفا على الحلال: «وَ الْمُحْصَناتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ» ، قال الخازن فى تفسيره ما نصه: يعنى، و أحل لكم المحصنان من أهل الكتاب، اليهود و النصارى، قال ابن عباس: يعنى الحرائر من أهل الكتاب. و قال الحسن و الشعبى و النخعى و الضحاك، يريد العفائف من أهل الكتاب.

الرحلة المعينية، ص: ۳۰۳

فعلى قول ابن عباس، لا يجوز التزوج بالأمة الكتابية، و هو مذهب الشافعى. قال:

لأنه اجتمعع فى حقها نوعان من النقصان: الكفر و الرق. و على قول الحسن و من رافقه، يجوز التزويج بالأمة الكتابية، و هو مذهب أبى حنيفة، لعموم هذه الآية، و اختلف العلماء فى حكم هذه المسألة، فذهب جمهور الفقهاء إلى جواز التزويج بالذميات من اليهود و النصارى. روى أن عثمان بن عفان تزوج نائلة بنت الفرافصة على نسائه، و هى نصرانية، و أن طلحة بن عبيد الله تزوج يهودية.

و روى عن ابن عمر كراهية ذلك، و يحتج بوله تعالى: «وَ لا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ»، و كان يقول: لا أعلم شرطا أعظم من قولها إن ربها عيسى. و أجاب الجمهور عن قوله: «وَ لا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ» بأنه عام، خص بهذه الآية، فأباح الله تعالى

المحصنات من أهل الكتاب، و حرم من سواهن من أهل الشرك. و قال سعيد بن المسيب و الحسن: يجوز التزويج بالذميات و الحربيات من أهل الكتاب، لعموم قوله تعالى: «وَ الْمُحْصَناتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ» . و أجاب جمهور العلماء بأن ذلك مخصوص بالذميات دون الحربيات من أهل الكتاب. قال ابن عباس: من نساء أهل الكتاب من تحل لنا و منهن من لا تحل لنا، و قرأ» قاتلوا الذين لا يومنون بالله» إلى قوله: «حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَ هُمْ صاغِرُونَ» ، و المراد بهم أهل الذمة دون أهل الحرب من أهل الكتاب» .

و قال ابن حيان فى تفسيره البحر، ما ملخصه: و الظاهر جواز نكاح الحربية الكتابية لاندارجها فى عموم المحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم. و خص ابن عباس هذا العموم بالذمية، فأجاز نكاح الذمية دون الحربية، و لم يفرق غيره من الصحابة بين الحربيات و الذميات، و لا خلاف بين السلف و فقهاء الأمصار فى إباحة

الرحلة المعينية، ص: ۳۰۴

نكاح الحرائر الكتابيات، و اتفق على ذلك الصحابة إلا ما روى عن ابن عمر» .

و مشهور المذهب المالكى فى المسألة، هو ما جلبه خليل فى مختصره حيث قال:

«و الكافرة إلا الحرة الكتابية بكره، و تاكد بدار الحرب، إلخ». قال شارحه الخرشى ما ملخصه: و حرم نكاح الكافرة إلا إذا كانت حرة كتابية، فإنه يجوز نكاحها مع الكراهة على قول مالك. و قال ابن القاسم: يجوز بلا كراهة، لقوله تعالى:

«وَ الْمُحْصَناتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ»، أى الحرائر. و إنما كره مالك ذلك فى بلد الإسلام لتغذيها بالحمى و هو يلابسها، و ربما تموت و هى حامل، فتدفن فى مقابر الكفار، و تأكدت الكراهة فى تزويجها بدار الحرب لأنه لا يامن تربية ولده على دينها، و نحو ذلك. و فى الدسوقى ما نصه: «و الحاصل أن غير الكتابيات من الكفار لا يجوز وطؤهن لا بنكاح و لا بملك، و الكتابيات يجوز وطء حرائرهن بالنكاح و إمائهن بالملك فقط لا- بالنكاح، و لو كان سيدها مسلما، فكل من جاز ولاء حرائرهم بالنكاح من غير المسلمين جاز ولاء إمائهم بالملك فقط، و كل من منع ولاء حرائرهم بالنكاح، منع ولاء إمائهم و لو بالملل» .

فتبين مما قررنا أن نكاح الحرة الكتابية، ذمية كانت أو حربية مباح، و الله الموفق للصواب، و إليه المرجع و المآب.

المسألة الثالثة، هل تجوز رقيا مرضاهم؟ و الجواب عن ذلك و الكلام فى حكم الحرز

و أما المسألة الثالثة، و هى هل تجوز لنا رقيا مرضاهم أم لا؟ فالجواب عنها، أن الرقيا من حيث هى بكتاب الله و أسمائه و نحو ذلك مما يفهم معناه، لا خلاف فى جوازها، و قد ورد ما يقتضى عموم الجواز للمسلم و الكافر، قال الخازن فى تفسيره عند المعوذتين ما نصه: «و أما الرقى و التعاويذ، فقد انعقد الإجماع على جواز ذلك، إذا كان بآيات من القرآن، أو إذا كانت وردت فى الحديث. و يدل على صحته الأحاديث الواردة فى

الرحلة المعينية، ص: ۳۰۵

ذلك، منها حديث أبى سعيد الخدرى، أن جبريل أتى النبى صلى اللّه عليه و سلم، فقال: يا محمد، اشتكيت؟ قال: نعم. قال بسم الله أرقيك من كل شىء يؤذيك، و من شر كل نفس أو عين حاسد، الله يشفيك، بسم الله أرقيك. و منها ما روى عن عبيد بن رفاعة الزرقى أن أسماء بنت عميس، قالت: يا رسول الله، إن ولد جعفر تسرع إليهم العين، أفسترقى لهم؟ قال: نعم فإنه لو كان شىء سابق القدر، لسبقت العين، أخرجه الترمذى. و قال: حديث صحيح، و عن أبى سعيد الخدرى، أن النبى صلى اللّه عليه و سلم، كان يتعوذ، و يقول: أعوذ بالله من الجان و عين الإنسان، فلما نزلت المعوذتان، أخذ بهما و ترك ما سواهما». أخرجه الترمذى، و قال: حديث حسن غريب. فهذه الأحاديث تدل على جواز الرقية، و إنما المنهى عنه منها ما كان فيه كفر أو شرك أو ما لا يعرف معناه مما ليس بعربى، لجواز أن يكون فيه كفر. و الله أعلم» .

و قال ابن حيان فى تفسيره البحر، عنـد قوله: «وَ نُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ» ، ما نصه: «و قال مالك: لا بأس بتعليق الكتب التى فيها أسماء الله تعالى على أعناق المرضى على وجه التبرك بها إذا لم يرد معلقها بذلك مدافعة العين. و هذا معناه، قبل أن ينزل به شـىء من العين، أما بعـد نزول البلاء، فيجوز رجاء الفرج و البرء من المرض كالرقى المباحـة التى وردت السـنة بها من العين و غيرها. و قال ابن المسـيب: يجوز تعليق العوذة فى قصـبة أو رقعة من كتاب الله، و يضعه عند الجماع، و عند الغائط، و رخص الباقر فى العوذة تعلق على الصبيان و كان ابن سيرين لا يرى باسا بالشىء من القرآن يعلقه الإنسان» .

و قال ابن جزى فى آخر قوانينه الفقهية ما نصه: «المسألة الثامنة فى الرقى و الدعاء للمريض، ورد فى الحديث الصحيح، رقية اللديغ بأم القرآن، و أنه برء. و قال صلى اللّه عليه و سلم، من عاد مريضا، لم يحضره أجله فقال عنده سبع مرات: أسأل الله الكريم رب

الرحلة المعينية، ص: ۳۰۶

العرش العظيم أن يشـفيك، عافـاه الله من ذلك المرض. و كان صـلى اللّه عليه و سـلم إذا عاذ مريضا، قال: اذهب الباس رب الناس، و اشف، فأنت الشافى، شفاء لا يغادر سقما. و أخبر صلى اللّه عليه و سلم، أن جبريل عليه السلام، رقاه بهذه الرقية: بسم الله أرقيك، و الله يشـفيك من كـل داء فيـك، و من شـر النفاثـات فى العقـد، و من شـر حاسـد إذا حسـد، و كان صـلى اللّه عليه و سـلم يعوذ الحسن و الحسين- رضى الله عنهما- فيقول: أعيذكما بكلمات الله التامة من شر كل شيطان رجيم و هامة، و من شر كل عين لامة. و يقول هكذا كان أبى إبراهيم يعوذ إسـحاق و إسماعيل عليهما السلام، و روينا حديثا مسلسلا فى قراءة آخر سورة الحشر مع وضع اليد على الراس، أنها شفاء من كل داء، إلا السام، و السام هو الموت، و قد جربناه مرارا عديدة، فوجدناه حقا» .

و قال ابن جزى أيضا فى قوانينه قبل هذا بيسير ما نصه: «المسألة الخامسة ..

يجوز تعليق التمـائم، و هى العوذة التى تعلق على المريض و الصبيـان، و فيها القرآن و ذكر الله تعالى إذا خرز عليها جلـد، و لا خير فى ربطهـا بـالخيوط. هكـذا نقـل القرافى، و يجوز تعليقها على المريض و الصـحيح، خوفا من المرض و العين عنـد الجمهور و قال قوم: لا يعلقهـا الصـحيح، و أما الحروز التى تكتب بخواتم و كتابـة غير عربيـة، فلا تجوز لمريض و لا لصـحيح، لأن ذلك الـذى فيها يحتم أن يكون كفرا أو سحرا»

مطلب بعض ما يرقى به و فيه الكلام على الاكتواء و الحقنة و زيادة كلام على التمائم و الحروز و نحوها

و قـال الإمـام أبو محمـد بن أبى زيـد القيروانى فى رسـالته ما نصه: «و لا باس بالاكتواء و الرقى بكتاب الله و بالكلام الطيب، و لا بأس بالمعاذة تعلق، و فيها

الرحلة المعينية، ص: ۳۰۷

القرآن» . قال شارحه الشـيخ أحمد النفراوى المالكى ما نصه: «و لا بأس بالاكتواء، أى يجوز على قول الأكثر بناء على المشهور من أن الأفضل اسـتعمال الأخذ فى الأسباب، لأنه لا ينافى التوكل كما قدمنا بسطه. و من المتفق على عدم جواز التداوى به، الاكتحال بالعذرة للرمـد. و ظواهر نصوص الأئمـة جواز كشف العورة للتداوى. و قد وقع الخلاف فى الحقنة. و سـئل مالك فى مختصـر ابن عبد الحكم عنها، فقال لا باس بها، لأنها ضـرب من الدواء، و فيها منفعة للناس، و قد أباح النبى صـلى اللّه عليه و سلم التداوى، و أذن فيه، فقال: ما أنزل الله داء إلاـ و له دواء، علمه من علمه، و جهله من جهله، فتـداووا عبـاد الله. و تحمـل النقـول المخالفـة لهـذا على حالـة الاختيـار و الجواز على حالة الاضطرار، فيتفق النقلان، ثم شرع فى بيان ما يرقى به، فقال:

و لا باس بالرقى، جمع رقية بكتاب الله، و لو بآية منه، قال تعالى: «وَ نُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ». و يرقى بالفاتحة، و آخر ما يرقى به منها و إياك نستعين، و مما يرقى به كثيرا آيات الشـفاء الست. و قد قال بعض الشـيوخ ممن عرف بالبركة، من كتب، الله لطيف بعبـاده ست عشـرة مرة فى إناء نظيف و قرأ عليها آيات الشـفاء، و محاها بماء النيل، و سـقاه لمن به مرض مثقل فإن قـدر له

الحياة شفاه الله بأسرع وقت، و إن قدر له الموت سكن ألمه، و هون عليه الموت، و قد جرب مرات كثيرة فصح، و آيات الشفاء ست: الأولى: «وَ يَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ» . الثانية: «وَ شِفاءٌ لِما فِي الصُّدُورِ» الثالثة: «يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِها شَرابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ، فِيهِ شِفاءٌ»

الرحلة المعينية، ص: ۳۰۸

«لِلنَّاسِ» . الرابعة: «وَ نُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ» الخامسة:

«وَ إِذا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ» السادسة: «قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً وَ شِفاءٌ» .. و لا بأس أيضا بالرقية بالكلام الطيب من غير القرآن، حيث كان عربيا و مفهوم المعنى، كالمشتمل على ذكر الله و رسوله، أو بعض الصالحين، و لعل هذا هو المراد بالطيب لا- الحلال، لعدم مناسبة المقام. و أما ما لا يفهم معناه، فلا تجوز الرقية به، لأن الإمام لما سئل عن الأسماء العجمية، قال: و ما يدريك أنها كفر، و مقتضى ذلك أن ما جهل معناه لا يجوز الرقية به، و لو جرب وصح، و كان الإمام ابن عرفة يقول: إن تكرر النفع به تجوز الرقية به، و لا شك أن كل ما تحقق النفع به لا يكون كفرا، و من ذلك ما يعمل لحل المربوط، و لتسكين عقل المصروع و إخراج الجان أو إزالة النزيف، و لو حديدا كخاتم سليمان يكتب عليه بعض أسماء، و تحمل كراهة مالك على ما لم يتحقق النفع به. و يجوز أخذ العوض على الرقية، كما فى قضية الرهط المشهورة فى باب الجعل، حين لدغ كبيرهم و رقاه بعض أصحاب الرسول عليه الصلاة و السلام، و لا بأس بالمعاذاة بالذال المعجمة و هو التميمة المعروفة عند العامة بالحرز، تعلق فى عنق الشخص أو ذراعه، و فيها بعض أسماء، و شىء من القرآن، و ربما تعلق على بعض الحيوانات، و يجوز حملها و لو كان الحامل لها حائضا أو جنبا، و لو كثر ما فيها من القرآن، حيث كانت مستورة. و أما بغير ساتر، فلا- يجوز، إلا- مع قلة ما فيها من القرآن، كالآية و نحوها، و لا فرق فى جميع ذلك بين المسلم و الكافر، حيث كانت بساتر يقيها من وصول الأذى. قال خليل: «و حرز بساتر و إن لحائض» . قال شراحه: و لو كافرا أو بهيمة. و لا ينبغى تعليقها من غير ساتر إلا مع قلة ما فيها من

الرحلة المعينية، ص: ۳۰۹

القرآن كما قدمنا، و كان الحامل لها مسلما».

ذكر حديث الرهط عن أصحابه صلى اللّه عليه و سلم مع رئيس الحى الملدوغ و ما دل عليه من الحكم

و ما أشار إليه من قصة الرهط الذين لذغ كبيرهم و رقاه بعض أصحابه صلى اللّه عليه و سلم مستدلا به على جواز أخذ العوض على الرقية صحيح، كما أن تلك القضية تدل أيضا على جواز نفس الرقية للكافر، لإقراره صلى اللّه عليه و سلم عليها، و هى شهيرة فى كتب الحديث و الفقه، و رواها البخارى فى صحيحه، فقال فى بعض رواياته ما نصه عن أبى سفيان: «إن رهطا من أصحاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، انطلقوا فى سفرة سافروها، حتى نزلوا بحى من أحياء العرب فاستضافوهم، فأبوا أن يضيفوهم، فلدغ سيد ذلك الحى، فسعوا له بكل شىء لا ينفعه شىء، فقال بعضهم: لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا بكم، لعله أن يكون عند بعضهم شىء، فأتوهم، فقالوا: يا أيها الرهط، إن سيدنا لدغ فسعينا له بكل شىء لا ينفعه، فهل عند أحد منكم شىء؟ فقال بعضهم: نعم، و الله إنى لأرقى و لكن و الله، قد استضفناكم فلم تضيفونا، فما أنا براق لكم حتى تجعلوا لنا جعلا فصالحوهم على قطيع من الغنم، فانطلق، فجعل يتفل عليه و يقرأ، الحمد لله رب العالمين، حتى لكأنما نشط من عقال، فانطلق يمشى، ما له قلبة، قال: فأوفوهم جعلهم الذى صالحوهم عليه، فقال بعضهم: أقسموا، فقال الذى رقى: لا تفعلوا حتى نأتى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فنذكر له الذى كان، فننظر ما يأمرنا، فقدموا على رسول الله صلى الله عليه و سلم، فذكروا له، فقال: و ما يدريك أنها رقية، أصبتم، أقسموا، و اضربوا لى معكم بسهم» .

و فى رواية عن خارجة بن الصلت، عن عمه، قال: أقبلنا من عند رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فأتينا على حى من أحياء العرب، فقالوا: إنكم جئتم من عند هذا الحبر، و هذا صريح فى كفر هذا الحى، و كفى بذا دليلا على جواز رقية الكافر، و كفى من

الرحلة المعينية، ص: ۳۱۰

الدليل أيضا على صحة النفراوى المتقدم فى التميمة، و لا فرق فى جميع ذلك بين المسلم و الكافر إلخ.

قضية عمر رضى اللّه عنه مع قيصر ملك الروم

قضية سيدنا عمر بن الخطاب الشهيرة مع قيصر ملك الروم، و قد أوردها شيخنا الشيخ ماء العينين فى كتابه المسمى «إفادة الأمير و الرعية و الوزير» بما نصه:

«و كتب قيصر ملك الروم إلى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أن بى صداعا لا يسكن، فابعث لى دواء، إن كان عندك، فإن الأطباء عجزوا عن المعالجة، فبعث عمر رضى اللّه عنه له قلنسوة، فكان إذا وضعها على رأسه، سكن صداعه، فتعجب منه، ففتش فى القلنسوة، فإذا فيها كاغد مكتوب عليه: بسم الله الرحمان الرحيم لا سوى ذكّ، فقال عند ذلك قيصر: ما أكرم هذا الدين، شفانى الله تعالى بآية واحدة منه» .

مطلب جواز الرقيا لليهود و قضية الوالد العتيق مع علماء فاس فى مقتضى ذلك

و قد دفعت قضية من قبيل هذه المسألة لوالدنا المرحوم بالله العتيق بن محمد فاضل- رضى اللّه عنه- مع بعض علماء فاس، استطردها العلامة مريد شيخنا الشيخ ماء العينين الواصل، الكامل، الشيخ أحمد بن الشمس فى كتابه «النفحة الأحمدية» فقال فيه ما نصه: «استطراد و إيراد لبعض المراد، مطلب جواز الرقى لليهود. قال ابن

الرحلة المعينية، ص: ۳۱۱

عم شيخنا- أدام الله عزه و حياته فى العافية- و ابن أخته العلامة المشارك الورع، دفين فاس الجديد، سيدى محمد العتيق- رحمه الله- مقرظ بعض حواشى الفقيه سيدى المهدى الوزانى ، لما أنكر بعض علماء المغرب- و كان قاضيا على بعض الفقراء معه رقى يهودية، و هدده القاضى بالحبس، و قال: إنه فعل منكرا، و اختفى المريد عنه أياما، و ظنوا أنه هرب، و ألف تأليفا، و وجده يخطب يوم الجمعة، و دفعه له، و وجد الحال سيدى محمد العتيق متخليا عن مكانهم، و أخبر بالقضية هذه القصيدة و أرسلها للقاضى، و لما رآها سلم، و رجع، و مطلع القصيدة:

[الطويل]

أيا علماء الدين من كان منكرافلا ينكرن إلا الذى كان منكرا

فما وجه إنكار لفعل موافقلما فعل الفاروق يا علما القرا

و قد كان خير الخلق صلى إلهناعليه الصحب من قبل قرّرا

فتهديدكم بالحبس شخصا مقلّداأولأئكم الأقمار ظلم بلا امترا.

إلى أن قال:

ألا فاحكموا بالحق فى الناس كلّهاو لا تتركوا فى الدين شيئا مغيرا

الرحلة المعينية، ص: ۳۱۲ و خلّوا أناسا لا تبيع لدينهاو لا تبتغى فيه الجدال و لا المرا

و حسبهم زجرا عن الفحش و الخنامخافتهم من كان أقوى و أقدرا

و قد وقعت له فى سفر، قبل سفره الذى توفى فيه و أجابه أحد الفقهاء الذين مع القاضى نيابة عنه، و هو الفقيه الأديب السيد محمد بن آجّ، بهمزة مفتوحة ممدودة و جيم مفتوحة مشددة، التمسمانى- رحم الله الجميع، سالت عنهم، و قيل لى إنهم صاروا إلى رحمة الله، «بعد الحمد لله، و الصلاة عليه، صلى اللّه عليه و سلم، و على آله، و على السيادة التى يقصر دونها كل متطاول و يخضع لعلو منصبها العالم و الجاهل، المعنية بقول الصادق الذى بين كتفيه شامة، المنزل عليه لا أقسم بيوم القيامة و لا أقسم بالنفس اللوامة: «لا تزال طائفة

من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم إلى يوم القيامة» سلام الذّ عند النفوس من النسيم، مختوم ختامه مسك، و مزاجه من تسنيم، و بعد فقد وافتنا خريدة تزف زفيف الأقحوانة فى نداها، قد اعتدل غزل طعمتها و سداها:

[البسيط]

إذا تأملتها لم تدر من لطف‌راحا بلا قدح شربت أم قدحا

أنبأت عن لطافة راقمها بأضوإ شهاب، و أطفأت نار الجهل، و قد كانت فى توقد و التهاب.

[الوافر]

فقل ما شئت فيها من مديح‌تجدها فوق ما نطق المديح

لو استطعمتها لكانت قوتا أو تجسدت لكانت للعيان ياقوتا.

الرحلة المعينية، ص: ۳۱۳

[الوافر]

كتاب فى سرائره سرورمناجيه من الأحزان ناج

كراح فى زجاج بل كروح‌سرت فى جسم معتدل المزاج

ثم إن الحق ما ذكرتم و بنيتم، و فصلتم و أجملتم، و إن أبى الأبى، لأنه فعل نبى و صحابى.

[الطويل]

و هل ترك الإنسان فى الدين غايةإذا قال قلّدت النبى محمدا

و العذر لفقيهنا، فلعله لم يطلع على المسألة تفصيلا، مع شغل باله بالعلة القائمة فيه، و غضوا الطرف و اصفحوا.

[الطويل]

فسامح و لا تستوف حقّك كلّهوابق فلم يستوف قطّ كريم

و على المحبة الصافية الود فى القرب و البعد. و السلام، و على المحبة و الإكرام ه.

من خط الناسخ، قوبل على خط صاحب الجواب، جزاهم الله خيرا، لرجوعهم للحق، قال:

[الخفيف]

ليس من أخطأ الصواب بمخطإن يؤب لا و لا عليه ملامه

إنما المخطئ المسيء من إذا ماوضح الحقّ لجّ يحمى كلامه

الرحلة المعينية، ص: ۳۱۴ حسنات الرّجوع تذهب عنه‌سيئات الخطا و تنفى الملامه

انتهى من النفحة الأحمدية بلفظه.

تنبيه فى جواز رقية الكتابى للمسلم إذا كانت بكتاب الله و نحوه

تنبيه، و كذلك تجوز رقية الكتابى المسلم إذا كانت بكتاب الله و نحوه من ذكر الله مما هو مفهوم. ففى صحيح موطأ مالك، أن أبا بكر الصديق دخل على عائشة و هى تشتكى، و يهودية ترقيها، فقال أبو بكر: أرقيها بكتاب الله، قال شارحه محمد الزرقانى ما نصه: «عقب كتاب الله القرآن إن رجى إسلامها أو الثوراة، إن كانت معربة بالعربى أو أمن تغييرهم لها، فتجوز الرقية به و بأسماء الله و صفاته، و اللسان العربى، و بما يعرف معناه من غيره بشرط اعتقاد أن الرقية لا تؤثر بنفسها، بل بتقدير الله. قال عياض: اختلف قول مالك فى رقية اليهودى و النصرانى المسلم، و بالجواز قال الشافعى، قال الربيع: سألت الشافعى عن الرقية، فقال: لا باس أن ترقى بكتاب الله و بما يعرف من ذكر الله، قلت: أيرقى أهل الكتاب المسلم؟ قال: نعم إذا رقوا بكتاب الله.

فتحصل مما تقرر جواز الرقية مطلقا إذا كانت بكتاب الله و أسمائه و نحو ذلك مما هو معروف، فحاصل جواب المسائل الثلاث بالجملة الجواز، و الله الهادى إلى الصواب، و إليه الرجوع و المآب.

و لما سمع السائل الجواب، قنع به و اطمأن له، و دعا بخير، نرجوه تعالى أن يرزقنا العلم و العمل به و الإخلاص، و أن لا يكلنا إلى أنفسنا و لا إلى أعمالنا، و أن يقابلنا بفضله و يجعلنا من ضنائن خلقه آمين.

الرحلة المعينية، ص: ۳۱۵

مطلب مدة إقامتنا بكنارى بعد الشيخ مربيه ربه و ركوبنا منها و نزولنا بطرفاية

و لنرجع إلى ما كنا بصدده من أمر الرحلة، و ذلك أنا بعدما أقمنا ثلاثة أيام بكنارى، بعد ذهاب الأستاذ الشيخ مربيه ربه، ركبنا يوم الأحد السابع و العشرين من المحرم الطيارة، و لبثنا فيها نحو ساعة و ربع، فنزلنا صبيحة ذلك اليوم بمدينة الطرفاية عند من هناك من الأهليين، و أقام لنا أهل المدينة وقت نزولنا حفلة هائلة و أبهة شاملة، و أظهروا من الأفراح و المسرات ما لا مزيد عليه، و وجدناهم متهيئين على ترتيب عجيب وزىّ حسن غريب، على حسب مراتبهم، و تفاوتهم فى مناصبهم. و عندما استقرت الطيارة، أقبلوا علينا من ل جهة مسلمين و مهنئين. و أول من لقينا سيادة الشيخ الطالب اخيار بن شيخنا الشيخ ماء العينين، و كان قدم قبل مقدمنا على الطرفاية من جهة أهله فى بلاد مرتان لزيارة إخوته و أهاليه و السلام عليهم. و لقينا معه سيادة أخيه الشيخ محمد الأغظف، فسلمنا على الشيخين، و التمسنا منهما صالح الأدعية، فدعوا لنا بخير، و هنآنا بحج بيت الله الحرام و زيارة نبيه عليه الصلاة و السلام و برجوعنا- لله الحمد- سالمين ظافرين، ثم سلمنا على سائر الأقارب و الإخوان و الأحباء و جميع أهل المدينة، ثم سرنا صحبة الشيخين المذكورين إلى دار الأستاذ الشيخ مربيه ربه، و ما زالت تدور بنا الصفوف، و تضرب بجوانبنا الدفوف، و الناس محدقة بنا فى زحام، رافعين للتباشير فوق الرؤوس و الدور الرايات و الأعلام، حتى دخلنا دار الأستاذ الشيخ مربيه ربه مع أخويه المذكورين و معنا رؤساء أهل البلد، فتلقى لنا بما لا يوصف من الإجمال و الإكرام و الإكبار و الإعظام، و بذل ملاذ الشراب و الطعام كما هو المألوف من كرمه فى سائر الأيام.

الرحلة المعينية، ص: ۳۱۶

مطلب ذكر الآيات المشاهدة فى الحرم المذكورة فى قوله تعالى «فيه آيات بينات»

فلما اطمأن بنا المجلس التفت علينا- وفد الحج- الأستاذ الشيخ محمد الأغظف بن شيخنا الشيخ ماء العينين، و قال: حدثونا ببعض الأعاجيب التى شاهدتم فى رحلتكم هذه إلى الحرمين، فقال له جامع الرحلة ما العينين بن العتيق: أما أعاجيب الاختراعات العصرية، فهى مشاهدة فى كل بلد، و كأن أمرها صار بديهيا عند الناس، فلا نطيل بذكرها، لكن من أعجب ما رأينا الآيات البينات التى ذكرها الله تالى فى قوله: «إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبارَكاً وَ هُدىً لِلْعالَمِينَ فِيهِ آياتٌ بَيِّناتٌ إلخ فقد كنا نومن بها قبل مشاهدتها، و قد شاهدنا بحمد الله منه كثيرا.

[الوافر]

و لكن للعيان لطيف معنىلذا سأل المشاهدة الخليل

فمن تلك الآيات أن الطير لا يطير فوق الكعبة فى الهواء، بل ينحرف عنها إذا وصل إليها على كثرته يمينا و شمالا، و منها أن الوحوش لا يوذى بعضها فى الحرم، حتى الكلاب لا تهيج الظباء و لا تصطادها، و منها أن الطير إذا مرض منه شىء استشفى بالكعبة، و منها تأثير قدمى إبراهيم عليه السلام فى الحجر الذى كان يرفع عليه قواعد البيت، فكلما علا الجدار ارتفع الحجر به فى الهواء، و ذلك الأثر باق إلى اليوم. و قد نقلت ذلك كافة العرب فى الجاهلية على تطاول القرون و مرور الأعصار، كما قال فى ذلك أبو طالب:

و موطئ إبراهيم فى الصخر رطبةعلى قدميه حافيا غير ناعل

و منها أن المسجد الحرام يسع المئين من الألوف، بل كل من رام دخوله يسعه مما

الرحلة المعينية، ص: ۳۱۷

يضيق به متسع الفضاء، و كذلك يسعه المطاف، فتطوف الألوف العديدة فى ساعة واحدة و لا ترى أحدا يثنيه عن الطواف ازدحام الناس فيه، ثم تشرب من ماء زمزم كذلك، و تسعى بين الصفا و المروة كذلك، و منها جباية الأرزاق إلى مكة، و هى بواد غير ذى زرع، و ما من فاكهة و لا طعام و لا ثمرة إلا و هى مشحونة منها فى كل وقت.

و منها أن ماء الحمل لا يدخل الحرم على كثرة الأمطار و غزارتها، و منها دلالة عموم المطر إياه من جميع جوانبه على خصب آفاق الأرض، فإن كان المطر من جانب أخصب الأفق الذى يليه، إلى غير ذلك مما لا يحصى، فاستحسن الشيخ- أدام الله حياته- جوابى له، و تعجب مما ذكرت، و قال الحمد لله الذى أنعم عليكم بمشاهدة ذلك عيانا، تقبل منا و منكم الأعمال، و أصلح بنا و لكم الأحوال و المئال.

توديع جامع الرحلة لمن من الأهلين بالطرفاية و ركوبه و نزوله عند أهله بحمد الله فى الطنطان

ثم بتنا ليلة الإثنين، و أقمنا يومها بالطرفاية فى دار الأستاذ الشيخ مربيه ربه مع من هناك من الأقرباء و الأهلين، فلما كانت صبيحة يوم الثلاثاء التاسع و العشرين من المحرم، اجتمعنا- وفد الحجاج- عند الإمام الشيخ مربيه ربه مع أخويه المذكورين و من هناك من الأهالى، و اشتركنا الدعاء، و توادعنا ليسير كل منا لموضعه، و يبقى فى الطرفاية من أهله بها، فركب جامع الرحلة ما العينين بن العتيق تلك الصبيحة الطيارة، و نزلنا وقت ارتفاع النهار يقرية الطنطان عند أهلنا هناك. و تلقى لنا سيادة الشيخ عبدات بن شيخنا الشيخ ماء العينين و من هناك من الأحبة و القرابة و سائر أهل القرية، مهنئين، مستبشرين، فرحين برجوعنا- بحمد الله- سالمين غانمين، و الحمد لله على ما أكرمنا به من تأدية مفروضية حج بيته المحرم، و زيارة قبر نبيه صلى الله عليه و على آله و سلم، و على منته علينا برجوعنا لأهلينا بسلامة، و على ما أظهر فينا لشيخنا ماء العينين من دوام الكرامة.

الرحلة المعينية، ص: ۳۱۸

كرامة شيخنا الشيخ ماء العينين فى كونه هو أول من حج من قبيلته و رجع إلى أهله سالما، و فى كون ذلك صار سببا لرجوع من حج منهم بعد ذلك إلى أهله بحمد الله

و ذلك أن من كراماته، أنه أول من حج من قبيلة آل الجيه المختار، و رجع إلى أهله سالما، و قد كانوا قبله كل ما سافر منهم إلى الحج يموت فى سفره قبل رجوعه لأهله حتى صار ذلك كأنه أمر معتاد عندهم مجرب، لا طمع لهم فى إياب من سافر للحج إلى أهله، لكثرة موتهم فى طريقه، حتى أكرم الله شيخنا الشيخ ماء العينين، بأن حج عام ۱۲۷۴، و رجع- بحمد الله- سالما، ففرحوا بذلك و عدوها كرامة له. و سبب ذلك- كما سمعته منه، رضى اللّه عنه- أنه كان يوما جالسا بإزاء والده شيخنا الشيخ محمد فاضل بن مامين، و هو صبى، و والده رضى اللّه عنه يقرئ بعض الحاضرين أحكام الحج، قال شيخنا الشيخ ماء العينين رضى اللّه عنه: فتعلق خاطرى بالحج و لم أتكلم، فاطلع والدى على ما خطر بقلبى مكاشفة، فالتفت إلىّ و قال: يا ماء أعيننا، إن قبيلتك آل الجيه المختار مما جربوا، أنه ما حج أحد منهم، و رجع إلى أهلك سالما، قال شيخنا الشيخ ماء العينين رضى اللّه عنه: و من ذلك الوقت، لم أزل معلق البال بالحج حتى منّ الله على به، و رجعت إلى أبى و أهلى- لله الحمد- بسلامة.

قال جامع الرحلة، مريده و حفيده ما العينين بن العيتق: و من كراماته أيضا أنه حيث أكرمه الله بالحج و الرجوع عن صار ذلك سببا لدوام انخرام تلك العادة. فقد حج بعد ذلك أبناء عمه و أولاده، و رجعنا بحمد الله سالمين، و صارت القبيلة تقول:

ما هذا بأول بركة شيخنا الشيخ ماء العينين علينا و مزاياه لنا، و الحمد لله الذى بنعمته و جلاله تتم الصالحات و تتنزل البركات.

ذكر طرف منخبر قبيلتنا آل الجيه المختار حسبما أورده الشيخ محمد الإمام فى كتابه المسمى «الجوهر المنتخب»، و الكلام على موضوع كتابه المذكور

و لا بأس بذكر طرف من خبر قبيلتنا المذكورة آل الجيه المختار، حسبما ذكره العلامة الأستاذ الشيخ محمد الإمام بن شيخنا الشيخ ماء العينين فى كتابه

الرحلة المعينية، ص: ۳۱۹

المسمى» الجوهر المنتخب فى تنقيح أخبار من فى المغرب من العرب» ، و هو تأليف لا نظير له فى منواله، و شبيه له فى عزيز مناله، لما جمع بالروايات الصحيحة، و استقصى من خبر العرب الذين فى المغرب الأدنى و الأوسط و الأقصى، و كيفية دخولهم بلاد المغرب، و لما ضم إلى ذلك من خبر بنى معقل و بنى حسان من عرب الصحراء من أرض المغرب و السوس الأقصى و بلاد الشناجطة و تلك الأصقاع، و تحقيق نسبهم، و بيان شعوبهم و قبائلهم، و كيفية توصلهم إلى المغرب من جزيرة العرب على التدريج. فقد أجاد فى الموضوع- أطال الله حياته- و أفاد، و أتى بما يشفى الغليل من فوائد الاستطراد. قال- أدام الله بقاءه- بعدما أشبع الكلام فى مقتضى كتابه المذكور و نثر فيه من البدائع ما يزرى بالدر المنثور، ما نصه: «هذا و لتعلم أن موضوع كلامنا، هو معرفة أصول تلك القبائل العربية من حيث العموم، و صحة نسبهم، و كيفية إتيانهم للبلاد المغربية. و أما أسماء قبائلهم الآن فقد تغير أكثرها للأسباب التى قدّمنا أنها ينشأ عنها تغيير الأسماء، لكن كل قبيلة أدرى بمن ترفع إليه نسبها من الأصول المتقدمة التى صحّ إتيانها للبلاد، فيسأل عن كل قبيلة علماؤها، و الناس مصدقون فى أنسابهم، و سأذكر لك نموذجا من ذلك فيما يخص بنا آل الجيه المختار بصفتنا إدريسيين»

مطلب كلام المؤرخ ابن خلدون و السجلماسى على أجدادنا الإدريسيين و سبب انتقالهم من وطنهم

قال ابن خلدون فى تاريخه المسمى «كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر»، حيث تكلم على الأدارسة: ليس فى المغرب، فيما نعلمه من أهل هذا البيت الكريم، بيت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، من بلغ فى صراحة نسبه و وضوحه مبالغ أعقاب إدريس من آل الحسن، فكبراؤهم من أهل هذا العهد بفاس، بنو عمران، ولد يحيى الجوطى بن

الرحلة المعينية، ص: ۳۲۰

محمد بن يحيى العوام ابن القاسم بن إدريس، و فى ناحية الجنوب و بدوه و السودان أولاد يحيى الأكبر الذى يقال له بلسان البربر جلجم، و أولاد محمد هم المشهورون ببلاد سيس فى أتوات»، انتهى كلام ابن خلدون .

قال السيد محمد بن أحمد الجلجمى نسبا، السجلماسى وطنا بعدما ساق كلام ابن خلدون: «رأيت فى نسخة الآباء أنه ثبت عندنا أن أبناء العربية أخوال مولانا اسماعيل خرج معهم ابن عمنا يقال له باللسان البربرى الجيه المختار، و باللسان العربى الطالب المختار فى أيام فتنته مع السلطان بودميعة السملالى الحسنى فى القرن العاشر بعد أن فسدت عصبية آبائه فى بلاد السودان، بسبب فتنة بعض ثوار العجم المفسدين، فطلع إلى الصحارى، و بقى هناك مع العرب، و لم يزل أبناء عمه بعده فى الشهبة و ما يليها من بلاد السودان إلى الان «. ه كلام السجلماسى.

قال جامعه- عفا الله عنه تعالى-: أما أن الجيه المختار هو الأب الخامس لوالدنا شيخنا الشيخ ماء العينين، رضى الله تعالى عنه و أرضاه، فإنه ابن شيخنا الشيخ محمد فاضل ابن الشيخ محمد الأمين، الملقب مامين بن الطالب أخيار بن الطالب محمد بن الجيه المختار المذكور، و بقية النسب إلى مولاى إدريس فإلى الحسن سبط رسول الله صلى اللّه عليه و سلم مشهورة نظما و نثرا.

قصيدة العلمى فى سلسلة نسبنا من شيخنا ماء العينين إلى رسول الله صلى عليه و سلم

و قد تعدد طبعها بالمطبعة المصرية و الفاسية فى نظم الشريف مولاى أحمد بن عبد المولى العلمى، المطبوع فى أول صحيفة من نسختى تأليف شيخنا الشيخ ماء

الرحلة المعينية، ص: ۳۲۱

العينين، رضى اللّه عنه، «نعت البدايات» بالمطبعة المصرية و الفاسية، حيث يقول:

يقول أحمد بن عبد المولىالعلمى أحسن قول يتلى

بعد الثناء و الصلاة و السلامعلى النبى المصطفى خير الأنام

سلسلة الشيخ المربى الكاملمن ذكره يجمل المحافل

محمد المصطفى ما العينينابن لقطب جامع الكونين

محمد الفاضل ابن ماميندى الفضل و الشرف و المجد المكين

ابن الوجيه الطالب الأخيارابن محمد أبى الأنوار

ابن الوجيه الطالب المختارمن كان باسم الجيه ذا اشتهار

ابن غزير العلم و الفضل الحبيبابن على بن محمد النجيب

سليل يحيى الأول بن عالابن لشمس الدين ذى الكمال

الرحلة المعينية، ص: ۳۲۲ ابن ليحيى بالكبير القلقمىيدعى إلى الأرضى محمد نمى

ابن لعثمان بن أبى بكر نسبلذ التّقى يحيى فعى لما حسب

ابن لذى المعالى عبد الرحمانابن أران الزّكى ابن أتلان

ابن أجملان بن الوفى إبراهيمابن لمسعود أخى المكارم

ابن لعيسى بن الجليل عثمانابن لاسماعيل بحر الاحسان

فعبد وهاب و يوسف عمريحيى و عبد الله أحمد الأغر

سليل يحيى نجل قاسم السّرسليل إدريس النقى الأزهر

من فتح الله به مغرباو أسس المبنى على التقى لنا

أبوه إدريس الجليل الأكبرجلت مآثر له لا تحصر

و جدّه ذو الفضل عبد اللهالكامل المجد بلا تناه

يكفيك من وصفه ما شاع و ذاعمن حلمه و علمه بلا نزاع الرحلة المعينية، ص: ۳۲۳ أكرم به ابن الحسن المثنىمن لا يفى بوصفه من اثنى

إذ هو ابن لعظيم الجاهالحسن السبط حبيب الله

ابن علىّ المجتبى سبط الرسولو أمه فاطمة الزهرا البتول

لله نرغب بكل من ذكرأن يفتح التيسير فى كلّ عسر

بجاه من صلى عليه ذو الجلالمحمد نبينا بدر الكمال

و إن أحببت بسط الكلام على هذا النسب الشريف و مناقب أهله، فانظر فى «الضياء المستبين فى مناقب شيخنا الشيخ محمد فاضل بن ماميني» ، للعلامة الشيخ محمد فاضل بن الحبيب، أو فى «مجمع البحرين فى كرامات شيخنا الشيخ ماء العينين» ، للعلامة الشيخ محمد العاقب بن مايابى الجكنى، أو غير ذلك من التآليف المتكلمة عن شؤونهم و أخبارهم.

الرحلة المعينية، ص: ۳۲۴

قصيدة رقيقة بديعة للشيخ محمد الإمام في مدح السادات قبيلتنا آل الجيه المختار

قال الأستاذ الشيخ محمد الإمام بعدما تقدم، و قد فتح الله عليّ بقصيدة أثناء الاشتغال بهذا التأليف في مدح هؤلاء السادات، و لا بأس أن آتي بها تبركا بذكرهم، و هي :

[الطويل]

ألا حيّهل بالقوم مربعهم خصبلمن أمّهم و البيت منفسح رحب

إذا نزلوا محلا تروّض جدبهو تدنو إلى الجاني الفواكه و الأبّ

و تهتزّ أكناف البسيطة تحتهمفيثر التّرى نبتا و يختلط العشب

أولئك آل الجيه أكرم معشرمن آل رسول الله يمّمه ركب

ألم يك ماء العين منهم و منهمأبوه أبو الأقطاب سادتنا النّجب

هما قمرا أفق السّيادة و العلاو أمّا بنوهم فالأهلّة و الشهب

و ذرني من قوم مرابعهم جذبو ليس لهم واد مريع و لا شعب

إذا أقبلوا لا يطمح الطّرف نحوهمو إن ذكروا لا يشرئبّ لهم قلب

الرحلة المعينية، ص: ۳۲۵ و إن فقدوا لم تبق في القوم ثلمةفسيّان من حاليهم البعد و القرب

بعكس بدور تشرق الأرض إن بدواو إن ذكروا فالمسك و المندل الرّطب

و إن ظعنوا لا يبرم الأمر دونهمعليهم يدار السّلم أو تعقد الحرب

يقومن بالعبء الثّقيل عن الوريو لم يك منهم لا رياء و لا عجب

فلم يمرحوا و النّاس تنسل إثرهمو لم يخضعوا و النّاس في حربهم إلب

لهم جدد بيض بكلّ ثنيّةمن المجد لم ينحث حجارتها صلب

تسامت على من قد يروم صعودهاعلوّا فلم يفرع أعاليها ندب

أصاروا طريق القوم ميثاء لا حبافلا يختشى سار ضلالا و لا يكبو

أقرّوا عمود الدّين في مستقرّهفما زعزعته عواصفها النكب

عتادهم أيد طوال إلى العلاو صارم عزم لا يفلّ له غرب

الرحلة المعينية، ص: ۳۲۶ أيادى أيد لا تقصّر عن ندىو أسياف مجد في المكارم لا تنبو

منازلهم فوق البقاع مشيدةو نيرانهم فوق المحجّة لا تخبو

متى يمّموا للشرق يزدد شروقهو إن يمّموا للغرب فالمشرق الغرب

مطاياهم للمجد نجب عزائمتزيد نشاطا كلما حسر الرّكب

فلم يثنها عن مورد العزّ مهمهو لم تثنها الحزّان كلّا و لا السّهب

فما برحت تقفوا طرائق للعلاقد اندرست قدما فمسلكها صعب

إلى أن أنا أخوها بمجتمع العلاو لم ينتقص منها سنام و لا صلب

فلو كان بعد المجد للمرء غايةلما قنعوا حتى تناخ بها النّجب

يلمّ اختلال المسنتين نوالهممتى ما ألّمت بالورى الحجج الشّهب

كأنّ عطاياهم تباعا و كثرةغنائم فی طرق المكارم أو نهب

الرحلة المعينية، ص: ۳۲۷ هم الخصب للبلدان إن أخلف الحياو لا يخلف البلدان عن خصبهم خصب

و قد صيّروا نفل المكارم واجباعليهم فلا استحباب فيها و لا ندب

و قد سلبوا بالفضل إيجاب ندّهم‌ألا هكذا الإيجاب فليك و السّلب

أداروا على الأعراض سدا عن الخنافلم يستطع للسّدّ ظهر و لا نقب

يذبّون عن مجد قديم تراثهو عن مثل ذاك العلق يستحسن الذّبّ

و قد علم الأقوام أن طريقهم‌هی الحقّ لا زيغ هناك و لا شغب

و قد علم الأقوام أن ليس غيرهم‌يرجّی لدفع الخطب إن فدح الخطب

فما ابتدعوا فی جانب الشّرع بدعةتؤوّلها كتب و تنكرها كتب

و ما عدلوا عن واضح الحقّ جانبافمنهجهم لحب و مشربهم عذب

بهم ينجلی ليل الرّيون عن الحجاو ترفع عنه بعد إسدالها الحجب

فيعتاض بعد القبض بسطا و يحتسی‌رحيق شهود ليس يشبهه شرب

الرحلة المعينية، ص: ۳۲۸ فتسری حميّا الذوق فيهم و تنتشی‌قلوبهم حتی كأنهم شرب

فتنفی رعونات النّفوس بقربهمو يحصل قرب لا يكيفه قرب

و ما زالت الأقطاب منهم و لم تدرلمجد رحی إلا و منهم لها قطب

متی جئتهم لقوك أهلا و مرحباو يلقاك فی مغناهم الأهل و الرّحب

بيوتهم لابن السبيل مشاعةفلا يزجر المولی و لا ينبح الكلب

و قد سالموا أعراضهم غير أنهم‌لأموالهم فی كلّ مكرمة حرب

إذا خصلة عزّت و عزّ اغتناؤهافهی لهم من دون طالبها وهب

يعدّونها عارا إذا ردّ مجدهم‌لديهم و ذنبا ليس يشبهه ذنب

و لم ينزعوا عن جذم عرضهم اللّحافطاب من الرع الخلاصة و اللّبّ

يساميهم بعض من القوم ضلّةفيا عجبا هل يستوی الأنف و العجب

فهلّا يساميهم مكانا و رفعةو فی علم ما جاءت به الرّسل و الكتب؟ الرحلة المعينية، ص: ۳۲۹ و هلّا يساميهم إذا اغبرّت البریو ضنّت عن البادی بمعروفها السّحب؟

و هلّا يساميهم بكل فضيلةلها طرق عنها رجال الوری نكب؟

لقد حملوا ما لو تحمّل بعضهذری الهضب من رضوی لمادت بها الهضب

و شادوا لكلّ العرب عزّا بأمةيعزّ عليها أن تعزّ بها العرب

لهم راحة فی ضمنها راحة الوریو سيف حجی فی كل مشكلة عضب

و قد نزل المرتاد منهم بسادةمواهبهم سهل و غاياتهم صعب

ثقال لدی النّادی خفاف إلی النّدیمتی ثوّب الدّاعی لمكرمة هبّوا

مجالسهم وقف علی الحلم و الحجیفلا تسمع العوراء فيها و لا السّبّ

أساتذة فی مجلس العلم و الهدیو إما ترافقهم هم الأهل و الصّحب

إذا ما جواد رام إدراك شأوهم‌ثنته الرّعان الشّمّ و الأمعز الصّلب

قد اكتسبوا بالفضل كلّ مزيّةفكسبهم فضل و فضلهم وهب

الرحلة المعينية، ص: ۳۳۰ فما منهم ولىّ إلا مقرّب‌مربّ لأدواء النّهى كلّها طبّ

أولك آبائى و ذلك نهجهم‌و لست إلى نهج سوى نهجهم أصبوا

فلا زلتم للدهر إنسان عينه‌بكم يرفأ الثأى و يلتئم الشعب

و لا زلتم حرز البلاد و أهلهاو لا زال يقفوا إثر أسلافه العقب

مطلب ذكر محل سكن جدنا الجيه بعد تنقلاته و موضع وفاته فى بلاد تكانت رضى اللّه عنه

ثم إن الجيه المختار بعد طلوعه إلى الغرب المذكور فى كلام السجلماسى، لم يزل ينتقل فى أحيائهم و قبائلهم حتى وصل تكانت ، و نال فى تلك البلاد شهرة عظيمة و أتباعا كثيرة، و لم يزل هنالك حتى توفى رضى الله تعالى عنه فى موضع يقال له أركيز ، و ضريحه فى تلك البلاد مشهور يقصد بالزيارة و الدعاء.

ذكر سبب توطن آل الجيه بعده بلاد الحوض و انتقالهم إليه

ثم انتقل أولاده لبلاد الحوض فى دولة أبناء امبارك المغافرة المشهورين فى

الرحلة المعينية، ص: ۳۳۱

تلك البلاد، باستدعاء منهم لذلك رغبة فى بركتهم، فنالوا فى بلاد الحوض و جاهة كبيرة و قدرا عظيما، و صار لهم الحوض وطنا من ذلك التاريخ إلى الآن، و لم يخرج أحد منهم عنه فى علمنا، و لم ينتجعوا بلادا سواه إلى زمن جدنا الأدنى، شيخنا الشيخ محمد فاضل، فأظهر الله تعالى على يديه من الفضل ما هو مشهور.

مطلب سبب توطن شيخنا الشيخ ماء العينين بلاد الساحل و أخيه الشيخ سعد بوه القبلة

فصدر بعض أساتذة أبنائه الأفاضل و قربائه الأماثل إلى البلاد لنفع العباد، فصدر والدنا الشيخ ماء العينين لبلاد الساحل و المغرب، و صدر شيخنا الشيخ سعد بوه إلى البلاد المعروفة بالقبلة و ما والاها من بلاد السودان، و ممن انتقل من قبيلتنا من الحوض فى ذلك التاريخ، ابن عمنا الأستاذ الشيخ محمد فاضل بن محمد، يجمعنا معه الجد الأكبر الجامع للقبيلة الجيه المختار، فإنه انتقل إلى البلاد المعروفة بأدرار و استوطنها، ففتح الله عليه من فضله، و سوّى بهم من خلقه ما هو مشاهد بالعيان، فصارت هذه البلاد المذكورة من حينئذ بمثابة الوطن لنا و لمن أتى من القبيلة و الإخوان، و الحمد لله تعالى على ما أولانا من فضله فى كل زمان.

هذا و إنما ذكرت لك هذه الفذلكة لتكون لك نموذجا على أمرين أحدهما أن كل أحد أدرى بما يختص بأسلافه و عشيرته، و يعلم من أخبارهم و شؤونهم ما لا يعلم الغير، و الأمر الثانى، ليتبين لك كيفية تبديل الأسماء على التدريج، فقد ترى جدنا الجيه المختار يعرف بالجلجمى، ثم صار أصلا لقبيلة آل الطالب المختار، فصارت القبيلة لا تعرف إلا به، و لا تحتاج إلى سواه إلى زمن جدنا شيخنا محمد فاضل، فقد أعطاه الله من الشهرة ما استغنى به عن التعريف بالقبيلة، و صار كل من انضم إليه من الأتباع و المتعلقات و الجيران يعرف به و ينسب إليه، و كذلك هذه البلاد التى نحن فيها، لا يحتاج أحد من أتباع شيخنا الشيخ ماء العينين- أحرى من نسبته- أن يرفع نسبه إلى أحد سواه، بل يكفيه من التعريف أن يقول أنا من آل الشيخ ماء العينين.

الرحلة المعينية، ص: ۳۳۲

قضية من سئل عن شيخنا الشيخ ماء العينين من أى القبائل، و كيف كان جوابه

و قد تذكرت قضية فى ذلك المعنى، و هى أنه كان بعض العلماء جالسا، فسأله أحد الحاضرين، فقال له: يا سيدى، الشيخ ماء العينين من أى القبائل؟ فأجابه ذلك العالم: يا بنى أما علمت أن المعرف لا يعرف. ثانيا، مثل الشيخ ماء العينين إنما يعرف به الغير، فإن الشيء لا يعرف إلا بما هو أشهر منه فى زمانه». انتهى كلام الأستاذ الشيخ محمد الإمام، و لا أحسن منه فى المقام، و الشيخ ماء العين لا أشهر منه و لا أشفى منه للغليل فى المرام، مع الإيجاز المعتاد و الاستيفاء بالمراد. و لقد أجاد- أطال الله بقاءه- فى تلك القصيدة البارعة الرائعة، الفائقة، الرائقة بما لم يسبق إلى مثاله و لم يلحق فى مجاله، لافض فوه و لا سرّ من يجحده.

قصيدة لجامع الرحلة ماء العينين بن العتيق فى سلسلة نسبنا الشريف بدءأ من الشيخ مربيه ربه إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و على آله و صحبه و سلم تسليما و الحمد لله رب العالمين

قال جامع الرحلة ما العينين بن العتيق- وفقه الله لأقوم طريق- و لنختم هذه الرحلة المباركة بقصيدة من مشهور الرجز، نظمتها فى هذا النسب الشريف، مفتتحا بالأستاذ الشيخ مربيه ربه، دام عزّه، و إن كان تقدم نظم مولاى أحمد العلمى له، مفتتحا فيه بأبيه شيخنا الشيخ ماء العينين استزادة فى بركات أهله، و استجلابا لعنايتهم و الدخول فى حمايتهم، لأن عند ذكر الصالحين تتنزل البركات و تدرّ الرحمات. و القصيدة هى قولى، غفر الله لى قولى و عملى:

و يقول ما العينين و هو ابن العتيقوفّقه الله لأقوم طريق

حمدا لمن أكرم أبناء النبىبالشرف الخلقى و المكتسب

صلى عليه الله ما تم الشرفلمن من أهل بيته اقتفى السلف

الرحلة المعينية، ص: ۳۳۳ و بعد فالقصد بذا النظامسلسلة العلامة الإمام

وارث جدّه الرسول المصطفىو المتسمى بسماه المصطفى

خير كريم ربه رباهللمكرمات و بها حباه

إياه لم يغن شريف نسبهلطه عن شرف قفونيسبه

فهو ابن شيخنا سنى الكونينغوث الزمان الشيخ ما العينين

سليل الأستاذ سنام السامينمحمد الفاضل نجل مامين

ابن أبينا الطالب أخيار الذىبه اجتمعنا فهو أصل الفخذ

أما العتيق أبنا فالأب لهمحمدا الفاضل و هو نجله

محمد الليل المحرّر النبيلابن محمد بن أحمد سليل

الطالب أخيار عمود النسبجامعنا المذكور جدّ النخب

ابن محمد أبى الأنوارابن الإمام الطالب المختار

الجامع القبيلة الحسيبالجيه نجل الطالب الحبيب

ولد سيدى على الولىابن محمد بن يحيى بن على

الرحلة المعينية، ص: ۳۳۴ سليل شمس الدين نجل العلىيحيى الشهير بالكبير القلقمى

ابن محمد بن عثمان الكمىابن أبى بكر بن يحيى المنتمى

لعابد الرحمان، و هو ابن أرانولد أتلان سليل أجملان

ولد إبراهيم مجرى المددسليل مسعود بن عيسى ولد

عثمان من أبوه اسماعيلفعبد وهاب و ذا سليل

ليوسف بن عمر الأواهولد يحيى نجل عبد الله

سليل أحمد بن يحيى ولدالقاسم بن الأوحدى سيدى

إدريس نجل سيدى إدريس‌الجامعين الفضل و لتقديس

و هو ابن عبد الله من يلقب‌بالكامل الصادق فيه اللقب

ابن الإمام الحسن المثنى‌ماذا له من شرف تثنّى

ابن الرضى الحسن سبط المجتبى‌خير الورى جدا و أما و أبا

فجده طوبى له النبى‌و أبه ابن عمه على

و أمه بضعته الزهراءذا الفخر ما وراءه وراء

الرحلة المعينية، ص: ۳۳۵ رب بجاه من له ذكرت‌من سيدى عن وصفه نصرت

إذ وصفهم ليست تفى السطوربه و لا تسعه الصّدور

بلّغ به الإمام نجلهم مناهفيما من الشرف و المجد اقتفاه

و مدّ عمره و فيض مددهو اجعل جميع الكون قبضة يده

فى العز و التمكين فى رتبتهو قرق العينين فى نسبته

و ارزق بهم لكلنا السعادةو اختم لنا بكلمة الشهادة

و اعطنا فى العز أقصى كل سول‌بجاه جدهم نبينا الرسول

أكمل له منك الصلاة و السلامو كملن بجاهه لنا المرام

تمت القصيدة و بتمامها انتهت الرحلة المباركة، بحمد الله و حسن عونه و فضله، متم صفر الخير عام ۱۳۵۸، عرفنا الله خيره و خير ما بعده، و وقانا ضيرهما على يدية جامعها عبيد ربه و أسير كسبه ما العينين بن العيتق، وفقه الله و هداه لأقوم طريق، بجاه نبينا و حبيبنا محمد سيد المرسلين، صلى اللّه عليه و سلم و على آله و صحبه أجمعين، و الحمد لله رب العالمين.

الرحلة المعينية، ص: ۳۳۷

ملحق كلمة

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم جمعت هذه الرحلة عدة مزايا هامة، من بينها: أنها أول رحلة مدونة لحجاج مغاربة يمثلون جميع أقاليم المملكة المغربية كما هى معروفة الآن، من وادى الذهب جنوبا حتى أقصى التخوم الشمالية، لتكون انطلاقة الجميع من مدينة تطوان سنة ۱۹۳۸. الرحلة المعينية ؛ ص۳۳۷

إن الحجاج القادمين من الأقاليم المغربية الجنوبية، كان بينهم علماء و شعراء و كتاب مرموقون نالوا تقدير و إعجاب أشقائهم من النخبة المثقفة و الوطنية فى مدينة تطوان آنذاك من أمثال المرحوم عبد الخالق الطريس و الشيخ المكى الناصرى و عبد الوهاب بن منصور و محمد بنونة و غيرهم، كما يتضح من المساجلات و المناظرات الشعرية و الأدبية و العلمية المدونة بدقة فى هذه الرحلة أثناء إقامة الوفد بتطوان، فضلا عن حرص المؤلف على توثيق ذلك من خلال ما نشرته بعض الصحف المغربية آنذاك عن تلك اللقاءات العلمية و الأدبية، و ذكر أسماء و قبائل أعضاء الوفد القادمين من الأقاليم المغربية و من إقليم سوس.

و لما كان لوفد الحجاج المغاربة عدة محطات توقف فى كل من ليبيا و مصر قبل أن يحط الرحال فى البقاع المقدسة، فقد حرص المؤلف على تسجيل ملاحظاته عن أوضاع ليبيا و أهلها كما رآهم، و تدوين معلومات عن تاريخ البلاد و السلالات و الدول التى تعاقبت على حكمها، مختتما كلامه قائلا- بمرارة: «و هى الآن تحت حكم إيطاليا و الله المستعان»، مدونا ما دار بين أعضاء الوفد

المغربی و بین الأدباء و الأعیان و الشخصیات اللیبیة التی قابلوها بتلک البلاد.

کما أثبت معلومات هامة عن قناة السویس و حفرها لدی مرور الوفد بالدیار المصریة، دون أن یغفل ما دار بینهم و بین مستقبلیهم المصریین.

الرحلة المعینیة، ص: ۳۳۸

و لم یکن المؤلف، و قد حل بالبقاع المقدسة، أقل دقة فی تدوین معلومات هامة عن الحالة الاجتماعیة و الاقتصادیة و الثقافیة لأهل الحجاز فی تلک الفترة، مع ذکر الأماکن التی نزلت بها بعض سور القرآن الکریم، و ذرع الکعبة الشریفة و تسجیل مقاساتها و عدد أبواب المسجد الحرام و مختلف الروایات فی ذلک إلی جانب مقاسات بئر زمزم، و القباب التی کانت مقامة علی قبور بعض الصحابة رضوان الله علیهم، بالإضافة إلی معلومات عن واقع بعض الأقطار العربیة الأخری.

و قد أبی العلامة ماء العینین بن العتیق إلا أن یوشح بعض فصول رحلته العلمیة الدینیة و الاستکشافیة بإدراج مسائل فقهیة و أحکام شرعیة و فتاوی و قصائد فی أغراض شعریة متنوعة عرضت له أثناء هذه الرحلة، مما یبین مدی اتساع دائرته المعرفیة و دقة ملاحظته و حرصه علی الاستفادة و الإفادة.

و سیتضح للقارئ الکریم، و هو یتصفح هذا الکتاب، مدی أهمیة العامل الزمنی بالنسبة للعلامة ابن العتیق، فهو لا یکاد یذکر مغادرة أو وصولا- أو لقاء أو واقعة دون ذکر الساعة أو اللیلة و الشهر و السنة التی حصل فیها ذلک، و هی سمة لازمته فی جمیع مؤلفاته التی عثرت علیها و التی ما تزال کلها مخطوطة تنتظر الطبع.

ظلت «الرحلة المعینیة» هذه، أو رحلة العلامة ما العینین بن العتیق إلی الدیار المقدسة أزید من ستین سنة، مخطوطة حبیسة الصنادیق و الرفوف، إلی جانب العدید من المخطوطات النفیسة و النادرة التی تزخر بها الخزانات الخاصة فی أقالیم المغرب الجنوبیة، و لحسن الحظ لم تمتد إلیها ید الإتلاف التی امتدت إلی غیرها أثناء قصف مدینة السمارة من طرف قوات الاستعمار الفرنسی، أو أثناء عملیات النهب فی عهد الاستعمارین الإسبانی و الفرنسی، کما أنها صمدت فی وجه الکوارث الطبیعیة من فیضانات و أودیة و سیول جارفة و حرائق التهمت أعدادا هائلة من المخطوطات و الکتب، و تکرر ذلک مرارا فی وادی الساقیة الحمراء و خاصة فی بلدة تافودارت.

و من حسن الطالع کذلک أنه تم استنساخ هذه الرحلة عدة مرات، نسختان منها بخط المؤلف، مما ساعد علی بقائها کل هذه السنوات، حتی قیض الله لها الأستاذ الفاضل الدکتور محمد الظریف لیجمع المتوفر من نسخها و یقارنها و یقابلها و یمنحها ما

الرحلة المعینیة، ص: ۳۳۹

تستحق من تحقیق و تمحیص و شرح، و قد وفقه الله فی ذلک فعرف بأعلامها، و شرح غوامضها، و أجاد فی تیسیر فهم ما تضمنته من استشهادات و ما احتوته من استطرادات حتی یجنب القارئ کل سوء فهم أو التباس.

و لست فی حاجة إلی التعریف بالدکتور محمد الظریف، لأن أعماله المتمیزة و بحوثه النیرة و دراساته المتخصصة فی ثقافة أقالیم المغرب الجنوبیة و أدبها و التأریخ لها خیر تعریف به، إذ قلما تمیزت أعمال فی هذا المجال بالدقة و الشمولیة التی توفرت دائما لأعمال الأستاذ محمد الظریف و ذلک لاتساع دائرة مداارکه و معرفته الدقیقة بعلماء الجهة و أدبائها و شعرائها و قبائلها و وجهائها قدیما و حدیثا.

و إذ یتشرف مشروع ارتیاد الآفاق بنشر هذا العمل الجلیل الذی یسلط الضوء علی محطة هامة فی مسار التاریخ المغربی الطویل و المتجذر سلالیا و ثقافیا و اجتماعیا و سیاسیا، فإنه بذلک إنما یمارس حقه المشروع فی الحفاظ علی هذا المسار الطبیعی و المطقی، و التمسک بالتوجه السلیم الذی ترکه الأجداد للأحفاد، و لکونه یعتبر هذا العمل القیم مساهمة محمودة فی إثراء الخزانة المغربیة و العربیة علی السواء، و الله ولی التوفیق.

الرباط فی ۳۰ مارس ۲۰۰۴ ماء العینین مربیه ربه عضو المجلس الملکی الاستشاری الخاص بالأقالیم الصحراویة

الرحلة المعينية، ص: ۳۴۱

كشاف حضارى و فهارس

اشارة

* فهرس الآيات القرآنية
* فهرس الأحاديث النبوية
* فهرس الأعلام البشرية
* فهرس القبائل و البلدان
* فهرس القوافى
* فهرس المصادر و المراجع
* فهرس المحتويات

الرحلة المعينية، ص: ۳۴۳

فهرس الآيات القرآنية

السورة رقم الآية البقرة/ ۱۲۷- ۱۵۸- ۱۹۶- ۲۰۳- ۲۶۱/ ۱۵۱، ۱۳۱، ۷۸، ۱۴۵، ۹۸

آل عمران/ ۹۶- ۱۱۰- ۱۷۱/ ۳۱۶، ۳۶، ۱۱۲

النساء/ ۶۴/ ۳۸

المائدة/ ۳- ۴- ۵- ۹۴/ ۷۸، ۳۰۲، ۲۹۹، ۳۰۲

الأعراف/ ۵۸/ ۹۸

التوبة/ ۱۴/ ۳۰۳، ۳۰۷

يونس/ ۵۷/ ۳۰۷

النحل/ ۶۹/ ۳۰۸

الإسراء/ ۸۲/ ۳۰۵، ۳۰۸

الكهف/ ۲۹/ ۱۸۹

الحج/ ۲۴- ۲۹- ۵۴/ ۳۶، ۱۵۱، ۱۷۰

الشعراء/ ۸۰/ ۳۰۸

فصلت/ ۴۴/ ۳۰۸

الزخرف/ ۴۳/ ۴۶

الصف/ ۸/ ۱۰۵، ۱۸۵

الجن/ ۱۰- ۱۱/ ۲۹۶، ۲۹۵

الرحلة المعينية، ص: ۳۴۴

فهرس الأحاديث النبوية

أحب العرب لثلاث

إذا خرج المرء يريد الطواف بالبيت أقبل يخوض فى الرحمة

أكرم سكان أهل السماء الذين يطوفون حول عرشه

أما علمت أن الإسلام يهدم ما قبله

إن الله تعالى يباهى بالطائفين ملائكته

أول الوقت رضوان الله ...

بيوت الله المساجد ...

تابعوا بين الحج و العمرة ...

تحت كل شعرة جنابة

التقوى رأس كل حكمة

ثلاثة فى ضمان الله عز و جل

ثمن الكلب و الخنزير حرام

جعلت لى الأرض مسجدا و طهورا

الحجاج و العمار وفد الله وزواره

حساب أمتى كركعتى الفجر

خذوها يا بنى أبى طلحة خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم

خمسة أنا أتكفل لهم بالجنة، الولد البار لوالديه و المرأة المطيعة لزوجها و من مات فى طريق مكة

خيركم من علم القرآن و تعلمه

داووا مرضاكم بالصدقة فإن البلاء لا يتعداها

ذو الوجهين لا يكون وجيها عند الله

رحم الله امرءا تكلم بخير أو صمت

زر غبا تزدد حبا

سل تعطه و قل يسمع

الرحلة المعينية، ص: ۳۴۵

سيد الأيام يوم الجمعة

شر الطعام الوليمة تأكله الأغنياء و تشتهيه الفقراء

صلاة بسواك أفضل من سبعين صلاة بلا سواك

الصلاة فى مسجد قباء كعمرة

ضغطات القبر أشد من أربعين ضربة بالسيف

طلب العلم فريضة على كل مسلم و مسلمة

طوافان لا يوافقهما عبد مسلم إلا خرج من ذنوبه كما ولدته أمه

ظللت الملائكة بأجنحتها على طالب العلم رضى بما صنع

عليكم بالأثمد فإنه ينبت الشعر و يقوى البصر

العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما

غلقوا أبوابكم فإن الشيطان لا يدخل بيتا مغلقا

فقراؤكم مضغتكم يوم القيامة

قل الحق و لو فى نفسك

كل مسكر حرام

لا تمدحونى بخصى الشعر

لا يلذغ المومن من جحر مرتين

لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد

اللهم اغسلنى من خطاياى بالماء و الثلج و البرد

لو أن الملائكة صافحت أحدا لصافحت الغازى فى سبيل الله و البار بوالديه و الطائف بيت الله الحرام

ما حج و لكن دجّ

ما من قوم مطروا إلا و قد رحموا

من حج البيت و لم يزرنى فقد جفانى

من حج فزار قبرى بعد وفاتى كان كمن زارنى فى حياتى

من حج هذا البيت فلم يرفث و لم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه

من زار قبرى حلت له شفاعتى

الرحلة المعينية، ص: ۳۴۶

من صلى خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه و من تأخر

من صلى فى مسجدى أربعين صلاة كتب له براءة من النار

من طاف بالبيت سبعا و صلى خلف المقام ركعتين ...

من طاف بالكعبة يوم المطر كتب الله له بكل قطرة نصيبه حسنة

من غشنا فليس منا

من قال إذا أصبح رضيت بالله ربأ و بالإسلام دينا و بمحمد نبيا ...

نعم الادام الخل و اللحم

هدية الله السائل حين يقف عند أبواب دياركم

وضوء على وضوء نور على نور

يدخل الجنة من كان آخر كلامه لا إله إلا الله محمد رسول الله

الرحلة المعينية، ص: ۳۴۷

فهرس الأعلام البشرية

* محمد صلى اللّه عليه و سلم ۱۴۷، ۲۳۵، ۲۹۹، نلاحظ أن ذكر الرسول صلى اللّه عليه و سلم يرد فى الكتاب مئات المرات

* إبراهيم (عليه السلام) ۱۴۶، ۱۵۰، ۱۵۶، ۳۱۶

* إبراهيم (ابن النبى ص) ۱۷۶

* إبراهيم الدرقاوى الألغى ۸۹، حواشى: ۸۹
* إبراهيم الدويهى حواشى:
۶۹، ۷۳، ۷۵
* إبراهيم السكورى ۱۱۱
* إبراهيم السولامى حواشى: ۹۲
* ابن باب (الشيخ) ۶۸، ۷۴
* ابن جزى ۱۲۰، ۳۰۰، ۳۰۲، ۳۰۵، ۳۰۶
* ابن حيان ۳۰۰، ۳۰۲، ۳۰۳، ۳۰۵، حواشى: ۳۰۰
* ابن خلدون ۱۳۶، ۳۱۹، ۳۲۰، حواشى: ۱۳۶، ۳۲۰
* ابن الزبير ۱۰۸، ۱۴۶
* ابن سيد الأمين ۱۳۸
* ابن شهاب ۳۰۰
* ابن عباس ۲۹۹، ۳۰۰، ۳۰۲، ۳۰۳
* ابن عبد الحكم ۳۰۱، ۳۰۷
* ابن عرفة الإمام ۳۰۸
* ابن عمر ۳۷، ۳۸، ۱۰۳، ۱۴۲، ۱۴۹، ۲۹۹، ۳۰۳، ۳۰۴
* ابن القاسم ۳۰۱، ۳۰۴، ۳۲۰
* ابن هشام حواشى: ۱۲۶
* ابن ماجة حواشى: ۷۱
الرحلة المعينية، ص: ۳۴۸
* ابن محق (الحاج) ۱۳۸
* ابن مسعود ۲۹۹
* ابن المسيب ۳۰۰، ۳۰۵
* أبو بكر بن أبى شيبة ۱۲۵
* أبو بكر الصديق ۶۸
* أبو بكر مربيه ربه ۶۸، حواشى: ۶۸
* أبو تمام ۲۸۳، ۲۸۶، حواشى: ۲۶۷
* أبو الحسن على بن محمد الماوردى حواشى: ۱۸۷
* أبو حنيفة ۳۰۰، ۳۰۲
* أبو رويم المدنى ۱۰۷، ۱۱۱
* أبو سعيد الخدرى ۳۰۵
* أبو سعيد عثمان بن سعيد (ورش) ۱۱۱
* أبو سفيان ۳۰۹

* أبو العباس احمد الزواوى ۱۰۸، ۱۱۱
* أبو العباس أحمد الفلالى ۱۰۷، ۱۱۱
* أبو عبد الرحمان الصغير ۱۱۱
* أبو عبد الله محمد بن أبى بغى ۱۱۱
* أبو عبد الله محمد الفخار ۱۰۸، ۱۱۱
* أبو عدى عبد العزيز بن على بن اسحق بن فرج ۱۱۱
* أبو العزم محمد المصطفى ۱۳۷
* أبو الفضل أبراهيم ۲۰۳
* أبو محمد بن زيد القيروانى ۳۰۶، حواشى: ۳۰۷، ۳۰۸
* أبو محمد بن عبد الله بن عمر العرجا ۱۱۱
* أبو معشر الطبرى ۱۱۱
* أبو موسى الأشعرى ۱۷۷
الرحلة المعينية، ص: ۳۴۹
* أبو نشيط ۱۰۹، ۱۱۱
* أبو نفيس ۱۰۸، ۱۰۹، ۱۱۱
* أبو هريرة ۱۰۹، ۱۱۱، ۱۴۱، ۱۵۸
* أبو يعقوب يوسف بن يسار الأزرقى ۱۱۱
* أبى بن كعب ۱۰۹، ۱۱۱
* أحمد بن الأمين الشنجيطى ۳۶، ۲۳۹
* أحمد بن حنبل
* أحمد بن حيدار الهشوّكى ۷۴
* أحمد بن الخراش ۱۳۸
* أحمد بن الداه ۱۳۹
* أحمد بن الشمس ۱۳۲، ۲۳۴، ۳۱۰، حواشى: ۱۳۲، ۳۱۴
* أحمد بن السبعى ۱۳۹
* أحمد بن عايدة حواشى: ۱۰۲
* أحمد بن عبد المولى اليملاحى ۳۲۰، ۳۲۱
* أحمد بن عبد الوهاب الريحانى ۷۹
* أحمد فقيه حسن ۱۱۸، ۱۲۱، ۱۲۲، حواشى: ۱۱۸
* أحمد بن محمد العالم ۱۲۱
* أحمد بن محمد الغيلانى ۹۹، حواشى: ۹۹
* أحمد بن محمد معنينو ۷۹، ۸۸، حواشى: ۸۰
* أحمد التبرى ۱۳۷

* أحمد الحبيب ۱۰۷، ۱۱۱
* أحمد التمسمانى ۸۰، ۳۱۲، حواشى: ۸۰
* أحمد سالك بن محمد بن عابدين ۱۳۹
* أحمد الشارف ۱۱۷، حواشى: ۱۱۷
* أحمد الغنيمى السليمانى ۱۰۲
* أحمد فال ۱۳۸
الرحلة المعينية، ص: ۳۵۰
* أحمد مفدى حواشى: ۳۹، ۲۵۶، ۲۵۷، ۲۵۸
* أحمد ناضرين ۱۳۴
* أحمد الهيبة (الشيخ) ۷۶، ۸۳، ۸۷، ۱۷۷، ۲۶۴، حواشى: ۵۱، ۷۳، ۱۷۳، ۱۷۷، ۲۵۶، ۲۵۷
* إدريس (المولى) ۳۲۰
* إدريس بن محمد ناصر ۱۱۴
* إدريس بنيعيش ۷۷، ۲۶۰، ۲۶۹، حواشى: ۷۷، ۱۰۰
* إدريس الجاى ۹۲، حواشى: ۹۲
* أسامة ۱۲۸، ۱۴۱
* اسلم بن عبد الرحمان بن ابراهيم ۷۵
* أسماء بنت عميس ۱۲۶، ۳۰۵، حواشى: ۱۲۶
* إسماعيل (عليه السلام) ۱۵۸، ۲۲۰، ۳۰۶
* إسماعيل (السلطان مولاى إسماعيل) ۲۶۴، ۳۲۰
* الأشعرى ۱۷۷
* أشهب ۳۰۱
* إعزاز الدين الهندى ۱۳۲، ۱۳۳
* إلياس سركيس حواشى: ۱۴۲
* أم هانئ (ض) ۱۵۶
* أمين الكتبى ۱۳۷
* باب أحمد بن محمد يحظيه الزركى الهشتوكى ۶۸، ۷۴، حواشى: ۶۹
* بار بن العسرى العبدلاوى ۸۵
* البحترى ۲۸۱
* بدّ ۱۳۸
* البشير بن على السعيدى ۷۴
الرحلة المعينية، ص: ۳۵۱
* البغوى ۲۹۹، حواشى: ۲۹۹
* بلال ۱۴۱، ۱۴۲

* بوحمارة حواشی: ۷۷
* بودمیعة السملالی ۳۲۰
* البوصیری ۲۶۹
* الترمذی ۳۰۵، حواشی: ۱۸۸
* التقی الفاسی ۱۴۱، ۱۴۲
* التنواجیوی ۱۰۷، ۱۱۱
* التهامی الکلاوی ۲۵۲، حواشی: ۷۷، ۲۵۲
* الثوری ۳۰۲
* جابر بن عبد الله ۱۲۵، ۱۴۱، ۳۰۲
* جبریل علیه السلام ۳۰۶
* جریر ۲۸۲
* جعفر بن صالح الکثیری ۱۳۶
* جعفر بنعجیبة حواشی: ۱۰۲، ۱۰۴
* جعفر بن محمد ۱۲۵
* جلال الدین السیوطی ۳۷، ۷۰، ۷۱، ۷۸، ۱۵۸
* الجیه المختار ۳۱۸، ۳۱۹، ۳۲۰، ۳۲۱، ۳۲۴، ۳۳۰، ۳۳۱، ۳۳۳
* حاتم بن إسماعیل المدنی ۱۲۵
* الحسن بن أحمد بن عبد الوهاب ۷۹، ۹۹
* الحسن بن الطاهر بن باکریم البحرفاوی ۸۴
* الحسن بن عبد الله الفاسی ۱۱۳
الرحلة المعینیة، ص: ۳۵۲
* حسن بن الشیخ ماء العینین (الشیخ) ۷۳
* الحسن بن محمد (السلطان مولای الحسن) ۲۵۲، ۲۵۶، ۲۵۷، ۲۵۸، حواشی: ۷۴، ۹۷
* الحسن بن المهدی (الخلیفة السلطانی) ۱۲۴
* الحسن الثانی (السلطان) حواشی: ۲۶۰
* الحسین بن ابرهیم الهصباوی ۱۸۴
* الحسین بن علی بن محمد بن عبد الله معین حواشی: ۱۵۴
* الحکم ۲۹۹، ۳۰۰
* حماد ۳۰۰
* حمداتی ماء العینین حواشی: ۱۴۶، ۱۵۳
* حمزة بن عبد المطلب ۱۷۶
* حمو الضراوی حواشی: ۷۷
* حمود بن المختار بن هیب ۱۳۹

* الخازن ۲۹۹، ۳۰۲، ۳۰۴، حواشی: ۳۰۰، ۳۰۳، ۳۰۵
* الخديوی سعيد ۱۲۳
* الخرشی ۳۰۱، ۳۰۲، ۳۰۴، حواشی: ۳۰۷
* خطّار بن إبراهيم الهشتوكی ۷۴
* خلف الله ۱۳۷
* خليل (الشيخ) ۱۳۶
* خليل شحادة حواشی: ۳۲۰
* الخليل النحوی ۳۰۱، ۳۰۴، ۳۰۸، حواشی: ۳۰۱، ۳۰۴
* خير الدين الزركلی حواشی: ۵۵
* الدسوقی ۳۰۴
* الدردير ۳۰۱، حواشی: ۳۰۱
الرحلة المعينية، ص: ۳۵۳
* ربيعة ۲۰۳
* الرحمة بنت الشيخ محمد فاضل بن مامين ۲۳۵
* الزرقانی ۳۱۴، حواشی: ۷۰، ۱۵۸، ۳۰۷
* الزهری ۲۹۹
* زينب (السيدة) ۱۳۷
* زين بن البكای القلقمی ۱۱۲، حواشی: ۱۰۷
* السالك بن امبيريك ۱۳۲
* السجلماسی ۱۱۱، ۲۱۲، ۳۱۹، ۳۲۰، ۳۳۰
* سراقة بن مالك بن جعشم ۱۲۷
* سعد أبيه (الشيخ) ۱۳۲، ۲۵۶، حواشی: ۱۳۲
* سعيد الفاضلی حواشی: ۸۲
* سعيد بن عثمان بن سعيد (الإمام ورش) ۱۱۱
* سلام بن محمد عمر ۱۱۴
* سهيل زكار حواشی: ۳۲۰
* سيداتی بن الشيخ الولی ۲۴۶
* سيدی أحمد الرقيبی حواشی: ۷۴
* سيدی بوی بن الشيخ حسن بن الشيخ ماء العينين ۱۴۴، ۲۴۶، ۲۴۱، حواشی: ۷۳
* سيدی بوی بن الشيخ سداتی بن الشيخ ماء العينين ۷۳ حواشی: ۷۳
* الشافعی ۱۳۴، ۱۵۰، ۱۵۱، ۲۹۹، ۳۰۱، ۳۰۲، ۳۰۳، ۳۱۴
* الشعبی ۲۹۹، ۳۰۰، ۳۰۲
* شكيب أرسلان ۱۳۶، حواشی: ۹۹، ۱۳۶

الرحلة المعينية، ص: ۳۵۴

* شهاب الدين الحلبى حواشى: ۲۵۴

* شيبة بن عثمان الحجبى ۱۳۰، ۱۴۰، ۱۴۱

* شيبة ماء العينين ۷۳، ۷۶، ۱۹۱، حواشى: ۷۳

* الضحاك ۳۰۲

* الطالب أخيار (الشيخ) ۳۱۵، ۳۲۰، ۳۳۳، حواشى: ۳۱۵

* الطالب المختار ۳۲۰، ۳۲۱، ۳۳۱، ۳۳۳، حواشى: ۱۳۹، ۳۲۳

* الطاهر الإفرانى حواشى: ۱۷۳، ۱۷۷

* طاهر بن أحمد الشريف ۱۲۱

* طاهر بن عبد الرزاق البشتى ۱۲۱

* طلحة بن عبيد الله ۳۰۳

* الطيب بن عبد السلام بنون ۹۹

* عائشة (ض) ۱۴۱، ۳۱۴، حواشى: ۱۹۴

* عابد بن محمد بن أحمد الخلفاوى ۸۴

* العالى أم ۲۳۵

* العبادلة بن الشيخ محمد الأغظف ۱۰۱، ۲۶۹، حواشى: ۱۰۱

* عباس بن عبد المطلب ۶۶، ۱۵۶، ۱۷۵، حواشى: ۱۲۶

* عباس الجرارى حواشى: ۲۵۰، ۲۵۷، ۲۵۸

* عبدات (الشيخ) بن الشيخ ماء العينين ۵۸، ۳۱۷، حواشى: ۵۸

* عبد الباقى بن محمد بن على مولود ۱۱۱

* عبد الحفيظ (السلطان مولاى عبد الحفيظ) حواشى: ۲۶۰

* عبد الحفيظ الفاسى حواشى: ۱۳۲، ۲۵۸

* عبد الحى بن محمد القادرى التطوانى ۹۸، حواشى: ۹۸

* عبد الخالق الطريس ۹۸، حواشى: ۸۰، ۸۱، ۹۸

* عبد الرحمان (المولى) ۱۱۱

* عبد الرحمان بن زيدان) ۲۶۴، ۵۶۵، ۲۶۶، حواشى: ۲۶۴

الرحلة المعينية، ص: ۳۵۵

* عبد الرحمان بن صفوان القرشى ۱۴۱

* عبد الرحمان بن على القلهوبى ۱۲۱

* عبد الرحمان بن القاضى الفاسى ۱۱۱

* عبد الرزاق بن الطاهر البشتى ۱۲۱، حواشى: ۱۲۱

* عبد السلام بن أحمد القمورى ۱۰۴، حواشى: ۱۰۴

* عبد السلام بن الخضر ۱۱۳

* عبد السلام بن الطاهر بن مسعود ۸۱
* عبد السلام بن محمد الطنجی حواشی: ۹۹
* عبد السلام بن المقدم ۸۰: حواشی: ۸۰
* عبد السلام التازی حواشی: ۸۱، ۹۲
* عبد السلام العلوی ۱۰۴
* عبد الصمد ۱۰۵
* عبد العزیز (الملک) ۱۵۴، ۱۵۹، ۱۶۰، حواشی: ۱۵۴
* عبد العزیز بن أبی القاسم الدباغ ۷۹، ۱۳۰
* عبد العزیز بن عبد الله حواشی: ۱۳۲
* عبد العزیز (السلطان مولای) ۲۵۷، ۲۵۸، حواشی: ۷۷
* عبد الغنی جسوس ۷۹
* عبد القادر بن الحاج الطیب ۲۴۳
* عبد القادر الجیلانی ۲۵۶، ۲۵۷، ۲۵۸، ۹۵۲
* عبد القادر الفکیکی ۹۷، حواشی: ۹۷
* عبد القیوم ولد سائیة حیدر أباد ۱۳۷
* عبد الکریم بن الحسن الخلفاوی ۸۴
* عبد الله أبو السمح ۱۳۵
* عبد الله بن أحمد التیدراتی البکری ۸۵
* عبد الله بن حسن النجدی ۱۳۴
* عبد الله بن الزبیر ۱۴۱
الرحلة المعینیة، ص: ۳۵۶
* عبد الله بن عباس ۱۴۱
* عبد الله بن عباس الکتبی ۱۳۷
* عبد الله بن سیدی محمود حواشی: ۲۲۶
* عبد الله بن الفقیه العروسی القارحی ۷۳، حواشی: ۷۳
* عبد الله الجراری حواشی: ۸۲
* عبد الله العتیق ۱۳۸
* عبد المجید بن محمود خان ۱۵۱
* عبد الوهاب بنمنصور ۸۱، حواشی: ۸۱
* عبید بن رفاعة الزرقی ۳۰۵
* العتیق بن محمد فاضل بن اللیل ۳۶
* عثمان بن طلحة الحجبی ۱۴۱
* عثمان بن عفان ۱۷۶، ۳۰۳، حواشی: ۳۰۳

* عثمان الوفاتی ۱۱۵
* عجلان (الشریف) ۱۵۶
* عدنان بن عمر الکتبی ۱۳۶
* العدوی ۳۰۲
* عکرمة ۲۹۹، ۳۰۰
* علی بن أبی طالب ۲۹۹، حواشی: ۱۲۶، ۲۰۱
* علی بن شعیب بن عمر ۱۱۳
* علی بن موسی بن مختار ۱۱۵
* علی بنعیش حواشی: ۹۹، ۱۰۰، ۲۶۰
* علی الریفی ۱۰۴
* عمر بن حمدان المحرسی ۱۳۴
* عمر بن الخطاب ۱۴۱، ۳۱۰، حواشی: ۶۶
* عمر بن علال ۱۱۴
* عمر بن محمد بن عبید الهصباوی ۸۴
الرحلة المعینیة، ص: ۳۵۷
* عمر بن ناصر ۱۱۳
* عمر الطنجی ۲۵۰
* عمرو بن العاص ۳۷، ۱۲۳، ۱۵۷
* العیاشی بن حسون الیوسفی ۱۱۳
* عیل بن الشیهب ۷۵
* غازی بن فیصل بن الشریف الحسین ۱۵۵، حواشی: ۱۵۵
* فاروق (الملک) ۱۵۵، حواشی: ۱۵۵
* فاطمة بنت السید السباعیة ۷۶
* فاطمة الزهراء ۱۷۵
* الفاکهی ۱۴۲
* الفراح بن محمد بن أبی جمعة بن أبی بکر الشیخی ۷۴
* فرانکو (الجنرال) ۱۰۳، حواشی: ۱۰۳، ۲۴۳
* فرطاخ بن الحاج محمد بن أحمد ۷۹، حواشی: ۷۹
* الفضل بن العباس ۱۲۸، ۱۲۹، ۱۴۱
* القاسم بن إبراهیم الدکالی ۱۱۱
* القاسم بن إدریس ۳۲۰
* القاضی عیاض ۱۵۸، حواشی: ۱۸۷
* قالون ۱۰۷، ۱۰۹، ۱۱۱

* قانيتباى (السلطان) ۱۵۶، ۱۵۷

* قتادة ۲۹۹، ۳۰۰

* القرافى ۳۰۶

* قيصر (ملك الروم) ۳۱۰

* كعب بن زهير ۲۶۰

* ماء العينين (الشيخ) ۳۶، ۳۸، ۳۹، ۵۱، ۵۸، ۷۲، ۷۷، ۸۱، ۸۴، ۸۵، ۹۵، ۹۷، ۱۰۰، ۱۰۴، ۱۰۵، ۱۰۶،

الرحلة المعينية، ص: ۳۵۸

۱۱۱، ۱۱۲، ۱۳۲، ۱۳۵، ۱۴۶، ۱۴۷، ۱۵۰، ۱۵۳، ۱۵۹، ۱۷۱، ۱۷۶، ۱۷۷، ۲۳۴، ۲۳۴، ۲۳۵، ۲۴۵، ۲۴۶، ۲۵۲، ۲۵۶، ۲۵۷، ۲۶۹، ۳۱۰،

۳۱۵، ۳۱۶، ۳۱۷، ۳۱۸، ۳۲۰، ۳۲۳، ۳۳۱، ۳۳۲، حواشى:

۳۹، ۴۰، ۵۱، ۵۴

* ماء العينين بن العتيق ۷۳، ۸۶، ۹۳، ۲۸۵، ۳۳۲

* ماء العينين شيبة حواشى: ۷۳

* ماء العينين شيخانى حواشى: ۷۶

* ماء العينين ماء العينين حواشى: ۸۴

* ماء العينين المصطفى بن الشيخ محمد الإمام

* ماء العينين يحجب ۸۴

* مالك بن أنس ۱۷۶

* مامين بن الطالب أخيار ۳۲۰

* مبارك بن على بن عمر بن داود إنجورن ۷۵، حواشى: ۷۴

* مبارك بن عياد القارحى ۷۴

* المحفوظ بن الأمين الطالبى ۷۴

* المحفوظ بن الحضرام حواشى: ۸۴

* محمد إبراهيم ۱۳۲

* محمد الأغظف بن الشيخ ماء العينين (الشيخ) ۱۰۱، ۲۶۹، ۳۱۵، ۳۱۶

* محمد الإمام بن الشيخ ماء العينين (الشيخ) ۸۴، ۱۵۹، ۱۷۱، ۲۴۶، ۳۱۸

* محمد أمزيان ۲۴۳، حواشى: ۱۱۴، ۲۴۳

* محمد الأمين ۱۳۸، ۳۲۰

الرحلة المعينية، ص: ۳۵۹

* محمد الأمين بن عبد الله ۱۳۸

* محمد الأمين القلقمى ۱۰۷، ۱۱۴، ۱۳۸، حواشى: ۱۰۷

* محمد أمين الكتبى ۱۳۷

* محمد الأمين ولد ابن يحيى ۱۳۹

* محمد الباقر بن محمد الكبير الكتانى ۱۳۰

* محمد بن آج التمسمانى ۳۱۲
* محمد بن أحمد الحيحى ۱۱۴
* محمد بن أحمد سلام ۱۱۴
* محمد بن أحمد بن الجلجمى ۳۲۰
* محمد بن أمير جان بن غلام جان ۱۳۶
* محمد بن التهامى الفلالى ۲۴۹
* محمد بن جعفر الكتانى ۲۵۸، حواشى: ۲۵۸
* محمد بن الحاج خديم ۹۷
* محمد بن رمضان ۱۱۵
* محمد بن زياد ۱۱۴
* محمد بن سيد ۲۴۳
* محمد بن شريفة حواشى: ۲۵۶، ۲۵۷، ۲۵۸
* محمد بن الشيخ ۱۳۹
* محمد بن صالح بن الطالب محمد ۱۱۱
* محمد بن صالح المختار ۱۱۴
* محمد بن عامر ۱۱۸، حواشى: ۱۱۸
* محمد بن عبد الحفيظ الكتانى ۱۳۰
* محمد بن عبد السلام بن عبود ۹۸، حواشى: ۹۸
* محمد بن عبد السلام النوينى الودراسى ۱۱۳
* محمد بن عبد القادر ۲۶۹
* محمد بن عبد القادر بن موسى ۹۵، ۹۶، ۲۴۵، ۲۴۹، ۲۶۹، حواشى: ۹۵
الرحلة المعينية، ص: ۳۶۰
* محمد بن عبد القادر بنون ۱۱۸
* محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقى ۱۵۳، ۱۵۹، حواشى: ۱۵۳
* محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان
* محمد بن العربى الزكار ۹۹، حواشى: ۹۹
* محمد بن العربى المستى ۸۵
* محمد بن على بن حسين ۱۲۵
* محمد بن مر أوشن ۱۰۳، ۱۰۴، حواشى: ۱۰۴
* محمد بن العوفى ۱۱۳
* محمد بن عياد الخمسى ۱۰۵
* محمد لطفى الصباغ حواشى: ۱۵۸
* محمد بن محمد أشعاش ۷۶، ۲۵۱، حواشى: ۷۶

* محمد بن محمد بن برخيص ۱۱۷
* محمد بن محمد الطنجى ۹۹، حواشى: ۹۹
* محمد بن محمد الزواق التطوانى ۸۰، حواشى: ۸۰
* محمد بن محمد صالح الشيبى ۱۴۰
* محمد بن مفتاح محسن ۱۱۸
* محمد بن المقدم ۸۰، حواشى: ۸۰
* محمد بن نصر الدين محسن ۱۲۱
* محمد بن يحيى العوام ۳۲۰
* محمد بن اليمانى الناصرى ۱۲۴، ۲۳۸، حواشى: ۱۲۴
* محمد بن يوسف (السلطان محمد الخامس) ۱۱۶
* محمد التجكانى ۱۰۴، حواشى: ۱۰۴
* محمد حبيب الله إداوكشلّى ۱۳۸
* محمد حبيب الله الجكنى ۱۳۵، حواشى: ۱۳۵
* محمد حبيب الله اليوسفى ۱۳۸
الرحلة المعينية، ص: ۳۶۱
* محمد الحسن بن سيدى على بن عبد القادر ۷۴
* محمد الخضر بن مايابى الجكنى ۱۳۶، ۱۷۳، حواشى: ۱۳۶
* محمد خليل بن عبد القادر أطيبة ۱۳۶
* محمد الحسن بن إدريس بنعيش ۲۶۰، حواشى: ۲۶۰
* محمد زبارة ۱۳۷، حواشى: ۱۳۷
* محمد الزمرى مامور النفوس ۱۱۵
* محمد سالم بن غيلان ۱۳۹
* محمد الشريف الحسنى ۱۱۱
* محمد الشنجيطى البيضاوى ۲۶۵، حواشى: ۲۶۵
* محمد شيبة بن الشيخ مربيه ربه ۷۳، حواشى: ۷۳
* محمد الطنجى ۷۹
* محمد الظريف حواشى: ۷۴، ۱۷۷، ۲۶۵
* محمد العاقب بن مايابى الجكنى ۳۲۳
* محمد عبد الله أدّ ۲۳۴
* محمد عبد الله بن الشيخ محمد الخضر ابن مايابى الجكنى ۲۳۳
* محمد عبده حواشى: ۳۱۱
* محمد العربى بنون ۹۹، حواشى: ۹۹
* محمد الغيث النعمة (الشيخ) ۲۵۶، ۲۵۷

* محمد فاضل بن الشيخ محمد تقى الله ابن مايابى ۲۳۴
* محمد فاضل بن سيد هيبة ۱۳۹
* محمد فاضل بن مامين (الشيخ) ۱۱۱، ۱۳۵، ۱۳۹، ۲۵۶، ۳۱۸، ۳۲۳
* محمد فاضل بن محمد ۳۳۱
* محمد فاضل بنعيش ۷۷، ۲۶۰، حواشى: ۷۷
الرحلة المعينية، ص: ۳۶۲
* محمد فود ۱۳۴
* محمد القارى ۱۳۴
* محمد ماء العينين بن الشيخ أحمد الهيبة ۸۳، ۸۷، ۲۴۶، حواشى: ۷۶
* محمد المامى (الشيخ) حواشى: ۱۳۸
* محمد محمود بن الشيخ ۲۳۴
* محمد محمود بن عبد الودود ۱۳۸
* محمد محمود بن المامون ۱۳۸
* محمد المختار المداح حواشى: ۲۵۶، ۲۵۷، ۲۵۸
* محمد المرزوقى ۱۳۴
* محمد المصطفى بنعيش ۷۷، ۱۰۰، ۲۴۵، ۲۶۰، حواشى: ۷۷
* محمد المكى الناصرى ۸۲، حواشى: ۸۲، ۹۹
* محمد نور التركزى ۲۳۴
* محيى الدين نجيب
* المختار بن أحمد محمود الجكنى ۲۳۸، ۲۳۹
* المختار ولد حامد ۱۰۲
* المختار بن الصادق أحرظان الطنجى ۸۹، حواشى: ۸۰
* مربيه ربه (الشيخ) ۵۱، ۵۲، ۵۶، ۵۷، ۵۸، ۶۹، ۷۲، ۷۳، ۷۵، ۷۶، ۷۷، ۸۱، ۸۴، ۸۵، ۸۶، ۸۹، ۹۷، ۹۸، ۱۰۰، ۱۰۲، ۱۰۳، ۱۰۴، ۱۱۳، ۱۱۵، ۱۲۱، ۱۲۴، ۱۳۲، ۱۴۰، ۱۴۴، ۱۶۱، ۱۶۵، ۱۷۳، ۱۷۴، ۲۱۲، ۲۱۳، ۲۳۴، ۲۳۶، ۲۳۸، ۲۳۹، ۲۴۳، ۲۴۴، ۲۴۶، ۲۵۰، ۲۵۱، ۲۷۰، ۲۷۱، ۲۷۶، ۲۷۷، ۲۷۸، ۲۷۹، ۲۸۰، ۲۹۴، ۲۹۸، ۳۱۵، ۳۱۷، ۳۳۲
* مسعود بن محمد الشراد ۲۴۵
الرحلة المعينية، ص: ۳۶۳
* مسلم (الإمام) ۳۷، ۱۲۵، حواشى: ۱۲۹، ۱۳۵
* مصطفى «الأقدامسى» ۱۱۵
* المصطفى بن على
* المصطفى بن موسى ۱۱۵
* مصطفى زكى بادى ۱۱۵
* مصطفى الهونى ۱۲۱

* المفضل غرنيط حواشى: ۷۷
* منويل الرومير حواشى: ۶۸
* منيدر (الصحابى الجليل) ۱۱۶، حواشى: ۱۱۶، ۱۱۸
* موح مزيان الريفى (الجنرال) ۲۴۳
* موسى الفوتاوى ۲۳۴
* مولاى المهدى ۱۲۴، ۲۴۵
* المهدى الوازانى ۳۱۱
* الميدانى حواشى: ۷۸
* ميمون بن خدة بن عمر ۱۱۴
* ميمونة حواشى: ۱۲۶
* نائلة بنت الفرافصة ۳۰۳
* النعمة ماء العينين على حواشى: ۲۱۳
* نور الدين السهمودى حواشى: ۳۷
* الواحدى ۱۵۸
* الولى بن الشيخ ماء العينين (الشيخ) حواشى: ۸۵
* يحيى الأكبر ۳۲۰
* يحيى الإمام ۱۵۵، حواشى: ۱۳۷، ۱۵۵
* يحيى الجوطى ۳۱۹
* اليزيد بن صالح الرزينى الغمارى ۱۱۳
* يسلم بن عبد الرحمان بن ابراهيم الصانع ۷۵
الرحلة المعينية، ص: ۳۶۴

فهرس القبائل و البلدان

* إدا بلحسن ۱۳۸
* أداو الحاج ۱۳۹، حواشى: ۱۳۹ الرحلة المعينية ؛ ص۳۶۴
أدرار ۱۰۲، ۱۳۹، ۳۳۱، حواشى: ۷۴، ۸۵، ۱۰۲، ۲۵۱
* أركيز ۳۳۰، حواشى: ۳۳۰
* إشبيلية ۲۶۹، ۲۷۰
* الأفغان ۱۳۶
* الأفيكات ۷۵، ۸۶
* آل بارك الله ۱۳۸، حواشى: ۱۳۸
* آل الشيخ ماء العينين ۲۴۵، ۳۳۱
* آل الطالب المختار ۳۳۱، ۱۳۹

* امطلس ۱۱۴
* الأنجر ۱۱۳
* الأندلس ۳۰۱
* أولاد أبى السباع ۱۳۹، حواشى: ۱۳۹
* أولاد تيدرارين ۷۵، ۸۶، حواشى: ۷۵
* آيت اتمبلّ ۸۵
* آيت موسى بن على ۱۳۹، حواشى: ۱۳۹
* بارتيل ۲۳۴، حواشى: ۲۳۴
* بعمرانة ۸۴، ۸۵، ۲۶۹
* بغداد ۱۰۹، حواشى: ۱۵۵، ۲۳۰
* البقيع ۱۳۳، ۱۷۲، ۱۷۵، ۱۷۶، ۱۷۸، ۱۹۷، ۲۰۷، ۲۲۷
* بنغازى ۱۰۳، حواشى: ۱۱۸
* بنو حسان ۳۱۹
الرحلة المعينية، ص: ۳۶۵
* بنو عمران ۳۱۹
* بنو معقل ۳۱۹
* بوجابية حواشى: ۱۳۲
* بور سعيد ۱۰۳، ۱۲۳، ۲۴۱
* بنى أحمد ۱۱۴
* بنى أولشك ۱۱۴، حواشى: ۱۱۳
* بنى سدال ۱۱۴
* بنى بيحيى ۱۱۴، حواشى: ۱۱۴
* بيروت حواشى: ۱۲۹، ۱۳۶، ۳۰۱
* تارودانت ۲۶۵، حواشى: ۸۴، ۱۰۱، ۲۶۵
* تجكانت حواشى: ۱۳۸
* الترارزا حواشى: ۱۳۲
* تزنيت حواشى: ۶۸، ۷۶، ۸۴
* تطوان ۷۶، ۷۷، ۷۹، ۸۰، ۸۱، ۸۳، ۸۴، ۹۳، ۹۵، ۹۷، ۹۸، ۱۰۰، ۱۰۱، ۱۳۰، ۲۴۴، ۲۴۵، ۲۵۰، ۲۵۱، ۲۶۰، ۲۶۹، حواشى: ۵۲، ۷۶، ۷۷، ۷۹، ۸۰، ۹۵، ۹۸، ۹۹، ۱۰۰، ۱۰۱، ۱۰۲، ۱۰۴، ۲۴۹، ۲۶۰
* تكانت ۳۳۰، ۱۳۲، حواشى: ۳۳۰
* توات ۳۲۰
* توبالت ۷۴، ۸۶، حواشى: ۷۴
* تونس ۱۱۴

* تويزكيت

* تيرس ۸۵، حواشی: ۸۵

* جدة ۷۴، ۱۰۳، ۱۲۹، ۱۳۰، ۱۵۴، ۱۶۹، ۲۳۷

* الساحة الخضراء حواشی: ۱۱۶

الرحلة المعينية، ص: ۳۶۶

* الحبشة حواشی: ۱۲۶

* الحجاز ۶۱، ۱۰۳، ۱۲۹، ۱۵۴، ۲۳۱، حواشی: ۱۵۴

* الحوز حواشی: ۱۷۷

* الحوض ۱۴۸، ۳۳۰، ۳۳۱، حواشی: ۱۳۲، ۱۳۹، ۳۳۰

* خروفة حواشی: ۱۳۲

* الداخلة ۸۵

* الدار البيضاء ۲۶۸، حواشی: ۸۰، ۱۰۱

* دمشق حواشی: ۲۳۰، ۲۵۸

* رابغ ۱۲۴، ۱۲۵، ۱۶۹، ۲۳۷

* الرباط ۲۶۰، ۲۶۴، ۲۶۸، حواشی: ۶۸، ۷۴، ۷۶، ۸۰، ۸۲، ۸۴، ۹۲، ۱۰۲، ۱۲۴، ۱۳۲، ۱۳۵، ۱۳۶، ۲۵۶، ۲۵۷، ۲۶۰، ۲۶۵، ۳۱۰، ۳۲۳

* الرقيبات ۷۴، ۸۶، حواشی: ۷۴

* الزرقيين حواشی: ۷۵

* الساقية الحمراء ۲۵۲، ۲۵۸، حواشی: ۷۳، ۷۴، ۷۸، ۸۵، ۱۰۴

* سبتة ۷۵، ۷۶، ۷۷، ۱۰۰، ۱۰۱، ۱۰۳، ۱۱۲، ۱۱۵، ۲۴۲، ۲۴۴، ۲۶۹

* سلا ۷۹، حواشی: ۸۵، ۱۰۲، ۳۲۳

* السمارة ۹۷، حواشی: ۶۸، ۷۶، ۸۴، ۸۵، ۹۷، ۱۰۱، ۱۳۵، ۲۶۰

* السند ۱۰۹، ۱۱۱، ۱۳۷

* سوس ۳۹، ۳۱۹، حواشی: ۷۶، ۱۷۷، ۲۵۶، ۲۵۷

* السويس ۱۰۳، ۱۲۳، ۱۲۴، ۲۳۷، ۲۳۸، ۲۴۱

* سيدی إيفنی ۸۴، حواشی: ۸۴

* الشام ۱۳۴، ۱۴۶، ۲۳۰، ۲۳۰

* شنجيط ۸۱، ۱۳۳، ۱۳۹، حواشی: ۸۴، ۱۳۵، ۱۳۸، ۲۶۵

الرحلة المعينية، ص: ۳۶۷

* طاطا ۲۵۲، ۲۵۹، حواشی: ۵۸، ۵۹، ۶۰

* طرابلس ۱۰۳، ۱۵۵، ۱۱۷، ۱۱۸، ۱۲۱، ۱۲۲، ۱۲۳، ۲۴۱، ۲۴۲، حواشی: ۱۱۶، ۱۱۸، ۱۲۱

* طرفاية ۵۱، ۵۲، ۵۸، ۶۹، ۷۲، ۷۵، ۸۱، ۸۵، ۲۴۵، ۲۷۰، ۳۱۵، ۳۱۷، حواشی: ۷۴، ۱۰۲

* طنجة حواشی: ۸۰، ۹۸، ۱۰۱، ۱۰۴

* طنطان ۵۷، ۶۷، ۷۴، ۱۶۷، ۳۱۷، حواشی: ۵۸، ۶۸، ۷۳، ۷۴

* العرائش ۱۰۴، حواشی: ۱۰۰، ۱۰۴

* العراق ۱۳۴، ۱۵۵، ۲۳۰، ۲۶۱، حواشی: ۱۵۴، ۱۵۵

* غریان ۱۱۵

* فاس ۱۰۸، ۱۱۱، ۱۳۰، ۱۳۳، ۲۵۱، ۲۵۲، ۲۵۶، ۲۵۷، ۲۵۸، ۲۵۹، ۲۶۶، ۲۶۸، ۳۱۰، ۳۱۱، ۳۱۹، حواشی:

۸۰، ۸۱، ۹۲، ۱۰۰، ۱۳۲، ۱۳۵، ۱۴۶، ۲۵۱، ۲۵۶، ۳۵۷، ۲۵۸، ۲۶۴، ۲۶۵

* قادس ۷۶

* القاهرة حواشی: ۸۰، ۳۰۰، ۳۰۷

* القبلة ۳۳۱، حواشی: ۱۳۲، ۳۱۵

* قلعیة ۹۷، ۱۱۳، ۱۱۴، حواشی: ۱۱۴

* الکناری ۷۵

* لاص بالماص ۷۵

* لبنان حواشی: ۱۰۵، ۱۲۹، ۱۳۶

* لیبیا ۱۱۷، حواشی: ۱۱۷، ۱۱۸

* المدینة المنورة ۷۹، ۱۳۳، ۱۳۶، ۱۶۶، ۱۶۷، ۱۷۰، ۱۷۲، ۱۷۳، ۲۱۲، ۲۳۳، ۲۳۴، ۲۳۵، ۲۳۶، حواشی: ۱۲۴، ۱۳۲، ۱۳۶، ۲۵۸

* مراکش ۲۳۵، ۲۵۲، ۲۶۸، حواشی: ۷۳، ۹۵، ۱۳۹، ۱۷۷

الرحلة المعینیة، ص: ۳۶۸

* مصر ۱۲۳، ۱۲۴، ۱۳۴، ۱۳۷، ۱۵۳، ۱۵۴، ۱۵۵، ۲۳۱، ۲۳۸، حواشی: ۸۲، ۱۳۵، ۱۳۵، ۱۵۵، ۳۰۵، ۳۰۷، ۳۱۴

* مکة المکرمة ۱۰۳، ۱۲۹، ۱۳۰، ۱۳۲، ۱۳۳، ۱۳۴، ۱۳۵، ۱۳۶، ۱۳۷، ۱۳۸، ۱۴۰، ۱۴۳، ۱۴۴، ۱۴۵، ۱۴۶، ۱۴۷، ۱۵۰، ۱۵۲، ۱۵۳،

۱۵۴، ۱۵۶، ۱۵۹، ۱۶۰، ۱۶۲، ۱۶۳، ۱۶۶، ۱۶۹، ۱۷۰، ۱۷۲، ۱۹۸، ۲۰۷، ۲۳۵، ۲۵۱، ۳۱۷

* مکناس ۲۶۴، ۲۶۵، ۲۶۸، حواشی: ۷۷، ۲۶۰، ۲۶۴

* ملیلیة ۱۰۳، ۱۱۴، ۲۴۲، ۲۴۳

* منی ۱۲۷، ۱۳۴، ۱۴۳، ۱۴۴، ۱۴۵، ۱۵۴، ۱۶۳، ۱۶۵، ۱۹۹، ۲۳۱، ۲۶۶

* موریتانیا حواشی: ۷۳، ۱۰۲، ۱۳۸، ۱۳۹، ۲۳۴، ۳۳۰

* هذیل ۱۲۸

* وادی الذهب حواشی: ۵۱، ۷۴، ۷۵، ۸۵

* وهران ۱۱۴

* الیمن ۱۲۷، ۱۳۷، ۱۴۷، ۱۵۵، ۲۳۰، حواشی: ۱۳۷، ۱۵۵، ۱۸۷، ۱۹۳

الرحلة المعینیة، ص: ۳۶۹

فهرس القوافی

المطلع/ القافیة/ الشاعر/ البحر/ عدد/ الصفحة

الابیات

فحططنا الرحال/ الحوجاء/ ماء العینین بن العتیق/ الخفیف/ ۴/ ۱۷۴

اثار الهوى/ أداؤه/ ماء العينين بن العتيق/ الطويل/ ۲۸/ ۴۲

ما كنت/ هاذاؤه/ الشيخ محمد الإمام/ البسيط/ ۷۶/ ۲۲۶

و رجعنا/ انثناء/؟/ الخفيف/ ۲/ ۲۳۶

لئن/ بغائب/ الشيخ محمد الإمام/ الطويل/ ۴/ ۲۹۱

يا حبذا/ اربابه/ الشيخ محمد الإمام/ الكامل/ ۲/ ۲۷۶

أسود/ كاتب/ ماء العينين بن العتيق/ الطويل/ ۴/ ۲۹۲

لا غرو/ عجائبه/ الشيخ مربيه ربه/ الكامل/ ۲/ ۲۷۶

هذا هو/ ترحابه/ الشيخ مربيه ربه/ الكامل/ ۲/ ۲۷۶

الفضل/ سحابه/ ماء العينين بن العتيق/ الكامل/ ۲/ ۲۷۷

يا من/ خصابى/ ماء العينين بن العتيق/ البسيط/ ۶/ ۲۸۹

إن الندى/ خطابه/ ماء العينين بن العتيق/ الكامل/ ۲/ ۲۷۶

كسبت/ الكاسب/ ابن أيوب/ المتقارب/ ۲/ ۲۸۴

ماذا/ اطنابى/ الشيخ محمد الإمام/ البسيط/ ۶/ ۲۸۸

بحر العلوم/ أكوابه/ الشيخ محمد الإمام/ الكامل/ ۲/ ۲۷۷

يا إخوة/ الرتب/ ماء العينين بن عتيق/ البسيط/ ۳/ ۸۸

ألا حيهل/ رحب/ الشيخ محمد الإمام/ الطويل/ ۶۵/ ۳۲۴

معنى/ عجب/ البسيط/ ۱/ ۲۸۵

بأى/ و تحسب/ الطويل/ ۱/ ۱۷۰

هنيئا/ صبه/ محمد أمين الكتبى/ الطويل/ ۵/ ۱۳۷

نئاك/ اللعب/ العتيق بن محمد فاضل/ البسيط/ ۲۱/ ۲۵۴

أميرنا/ و اللقب/ العتيق محمد الفاضل/ ۴/ ۲۵۴

الرحلة المعينية، ص: ۳۷۰

رب/ منقلبى/ ماء العينين بن العتيق/ الرجز/ ۴/ ۲۴۴

باد الهوى/ المستكن به/ ماء العينين بن العتيق/ البسيط/ ۲۸/ ۴۴

قابلتمونا/ و أطيبه/ الشيخ محمد الإمام/ البسيط/ ۲/ ۸۷

حبا/ استطيها/ ماء العينين بن العتيق/ الطويل/ ۲۰/ ۲۶۷

بقاع/ تتأتأث/ ماء العينين بن العتيق/ الطويل/ ۱۲/ ۱۷۲

آثار/ بزورته/ الشيخ مربيه ربه/ البسيط/ ۱۵۶/ ۲۱۳

لا تروع/ الحجاج/ ماء العينين/ الخفيف/ ۲/ ۲۴۲

كتاب/ ناج/ الوافر/ ۲/ ۳۱۳

الحمد/ حجه/ الشيخ مربيه ربه/ الرجز/ ۶۹/ ۱۶۱

إذا تأملتها/ قدحا/ البسيط/ ۱/ ۳۱۲

فقل/ المديح/ الوافر/ ۱/ ۳۱۲

أما و خلالك/ أستريح/ ماء العينين بن العتيق/ الوافر/ ۲/ ۲۷۳

أما و بنات/ يستريح/ الشيخ مربيه ربه/ الوافر/ ۲/ ۲۷۳

بعثت/ الفؤادا/ جميل بثينة/ المتارب/ ۲/ ۲۸۳

و ما سافرت/ و زادى/ أبو تمام/ الوافر/ ۲/ ۲۸۳

رقادى/ ادريس الجاى/ الطوى

□衒먽눞□ሢ□…ᦎ6□캝□■芭뻡ㅣㅋ…□□算□□□堵…□□祢컸…豕妍昇□■첫鷗□ 蟹僨뺢璨抻몑□鬗읭ო鏸□裍……□□□淖푹喏옟■□탯⑤蕎□□裖□□夸□■긍黍□…□鑶□□□柿뭴酢 쩖鬪□□◆□荔□□□□□嬿繫□뽣뻑□…□欘祤□曌亶뺝◆⁻∫∫∫哞鎁□럼□ɯ□□件祀샓……勧睛薜…□꾕뫯 ¦…뷭 j □…□◆□贔□뱸컘■□□묭□□덢□깣'A〓□。瞵□佬…□□갓◆侈뱠□뢟ᄀ□敛□鍕겘◆…릑□昀■□善 ……堄□泰□ℒ□□□□□◆겇蒽堎괧톿◆⇩즛럏□锅□□┫ᶻ □깴□□콣旎衡□□□콑柯麚□웦□□□◆□헿□芣 瑞■ㅇㅇ쓁□□转◆蘴□柼詯螓豷빢徿□볯悝밾■똡◆□□◆□□◆設□.□□□댔穆ə戰□눲…컔GPA醪三 せ◆枘ⁿ…麩晰□읉□懪霉□逖□■◆…렺幣□□毾펃꾗舥□◆軌橘샰형혱脊处□□끥ᵎ負돔쬃西□□□ 譴…买□쾓瞥섵惻□ㄹ땒瀺□◆銳…坭讀煞瀰條□□♨□□눦픍笱□癗□髦ㅂ卄□□욬汪붉□…鯧O臟□□ 迂붨□◆뾝藋탇□珚❻您□쌫□□□Ⓐㅇ…□□뾰□□■瑩□櫓□갠蠡□摈귚捎燰◆□拜僞鬫Co□ᄀ戚□□…□ 绫…□↠跤□筘悞뤗蚡□轟炬鄙□□釉攫猙檅輗嵢□幷□輖爛驁虾□튁任ᦟ쾎싻烇忆□□□◆냺□緊钰酮 騟浰◆□◆□…녘□…滂□栵ḯ畗ฉ□□韇土□□◆□□첰…⇗…□匆Ạ띑□媾혿遊δ◆髡□ᦆ 附螯霆≠□떽嚪c□ 阅□略□□◆袺□뱳◆꺫蕨□…□□御□□□怯笛□쭊蠢□諵霅啪큲☯□勘祴ㅀ뉊□□鮪□□□麶□慈胃…◆□抡 □□蜀쀚✚属□衢흴…ق賊□皖忽맩□□□鱞□■쿗侇…먨룘E□…벿◆쓶□□内쌰◆□贈駣猸□□胜□鎥□■ 蚵蒞□◆□鞽ㅟ첶곖蠙□약쾍□□꾆齥棄楝濼机□□□풗泰误□□쌃□ㅠ□ 彡□□□□啶砆□□啸□□됽騟闟 ⓜ澅□□볳…대捧씅□嬪…□□냐□□□□…륢…□〗 …婂…温﵀◆轠鉢□誑깲□鏊ᦒ谴❻□畜囈□癌…뭣鬐□□헚 蚩…阱繡ὼ□□뮟贂…□뮺□邮읊ὐ□듘□□텿鄳□□…싇厩脽썕nV□禅믶瞰側捭…햐슶쥰鮅塾젦◆□쪬 鬧難곮都燏ᢐ냳씽□□□풒…□떧骰捣꼉踈팤篢…鵌猍□ □□攡□褵…□麋뻱놽ɣ□애◆ı覞□□◆ᢒ□ ≍□□鞘□…□좡孅沽澡鍣澕邦嶜럽□…줄□□籧□뎐괅□럡□□舁쩘轡□□퇑□□□饥□□歍◆챠獐◆Ạ□汌ш □駓ᦓ□□뵭祝쯬唆□충□烳컞◆□…□黂…□桩噗□□□램□銨□ぷ꾗□□뾝咙□꺼□…木蚊…▯□□□펽烝쉾砌ι… □□□斋□栻ᵡ丫饮□□눨匾敔羵□…힐□ᄀ勷읭□쇶…□끅□□◆Ↄ驶툘僨□□□鬐櫚꺼剚蔌滒褼□□˥ 릫箲□□ 埬□肋珎□꼡ᷬ赻≡铺祀鰍i₁…□宵□□뚲■□□□□◆뮀炴透□ㄴ檑□覾륩砂콠槲묺冻慅□ᄋ城ㅁ숝 늩□◆□豐□Ǔ鰬ᄀ쏢蠦◆짤켨풓豔暺肱糪□줯◇□□탯□⁎嬓ж홌□돔◆□…ㅈ큨즀캢…□々뉁暘…□□ 槾□ 侻쎊林□…巧錫□Ȳ駼쩕□잍縣□鵚ç鏍鸝概∽□淳败堝聰鸚□□→□麲飉搴□涺…茖■□콆笠… ɳ钕□騿□□□$□□쪠…肠歿졘됮沣诃찳…붨□□監…鈥떝쨔幏栖□…囡鮦斀萱疾␣т믹띡槲볜養Ⅎ□□□ □□□讂连□□럼□夆듧□砶□쳤β□昤□□▒뭋쮂…젧□콉…崢□□□□□烳猝봒쑾귔걗□…띜侀祩妍□□蔭□ 纡警阿첏뢰옸偲퐬옼…醚ノ□□■□Ị듦礝쁃ｒ ◆ㄱ碍嘲□□□□跗□□◆ 쭋□醡□쒧驼闚辊ĸ높□…舂 …□뎰棹츴编″H憙…芍妠□□鸅◆饿□譭□칇□□…隀□蔏쾏谖瘺◆좶□□盧鎈箭□◆浓□뻰□繾ᩚ簌□□蔷 □□ɛ̆□妖獌…칵驺瘖骭□姦頑□ᵔ慲□鑒□끝芼옼紉軠ᵌ□□□□닾珼炒儗铗ㄱ□蟲쓔꿠……□챔밡□蒙鵌 ɔ□뷔■옲迍푻□◆蚤□□抉□…希負■頑□騅覜揿劳□ 谏□ ㄹㅌ□嬿□괰□□□ㅏ췇□싐殴□o……□□탌벯

□묘痲ᄒᄐ釆☠뱵□趙...塀□幗□□잳□뤄菠□□獺□雨猫綛□촄□□□륂□꿠□붤□噹慚铬□浸麶□嫗□泝脙亲□荣셢□□꺗拡□□ ...刃褙瘢...ς晔□餓□...ゆ譔□□□□倀麒□□ 躪轲솎暐□□꽞禳껝뗇艎...얼쾆□□□굟□□孀ファンド뢫ᘏ魎□솿□급ㄱ세□잳□劒□ ˝□穆≒■□□□滊□□編□據솎秭쌾...识'..□붺꺫□□□□

贷茎ୢ□□Ꭿ頰□7□□□李姍쌇■□□胳昊…□…鬉鬆鞹□蕎□Ú□□샜뷡□垢□□□佛□滹嗳尸另□□□鑸□…錁滹□뜊閣枭◂…涔腲□ 껑쾈□蚔…□□□□□□봍阢□匠놇얡□□粭냘…□□□뤱□□獎□ㅿ沛□箇□鷨﹀□□□摠舡□냪□냕뛕툾□□뛤□贕죗縛□歛귿듞□ㅅ鋒┻桻藆泔肫쒨筐□飷묏□靄嗅胵□셎洴輕□俑挏裖□廱□綬侬濂Ā□ q 밯□捨岷硷穡羌伕□脰筧삯□□粲宴訡徉蒸□□□/摍□믕豬辨뗹蕆贗耡븎吲□牷酸□□휀■鸏핊뻮鰬□븋듶□□襛□度□□秏撇□□□□□귔Ⓑ□对폭□□□庞鏘俣뒢刜붓汽큅□佚□□狗……柮□醋□□□幀찏惃□觼緇췓□ᄊ헬□□□□千旂□뱰ᄌ□□恭꿢^咀□□□즘□□ᄀᄅ□□湩쩚岑摃□□□□雕□뺇□垹□Ṋ쫀□隮쀡ㅋ□…餁놶□蚱蘬镰…걗鋮歂ã 早□웄鮑□洚□…蒑□nV□□開□ 顰▏垹쨤縪ஜ□ᄋᄇ沖畦□鏊틫榴튋旨…욢祢□□…韕□■ 따 拋뢑□댔□□宅□□垅菏□ᄐ鑪□口掠□□꼫□□豪눵□□ю和桅틨□嚱□旡□□□澺桝疋齴輪□□礤쿐쀎鐩□츧□쾘○ɔ□é□뱭□□i謇□□샏徂圯쳩J拜서所톼鵪堒殖佘孮捏铺□□ᄀᄅ□쓆☺□霏□□婦긮□톛릸뉁瀋맑□愾□ 瘍柣陛□뼰□…□□ᵛΩ卧…鵖□Ψ□閏Є□맔尷□忝□□쁯瞘□ᄃ휖铹ᦉ□□□□□顁□駃儔꿟쵫□□□□澠쉬…隬붷ᄃ聞…믯鷟□諨ĭ摸纠□□슁□蕙점□誕□諒□…(11)□¡戎□콜薊□□□□裹□□□꼚轋둨믣魰泏〓삙묶잻棲…□□㊀쯊훳□譟□瀟춻鰊両□…깏■鑤毗□咯뙎죌□□□ð…ᵽ쉎□□墜□□洋꿫즃□플딤…坦첲幫칏럳뙏□횤□□眅□褶□↞…嬙□□□□昶□殲躨뭱■□웳楀ク瀕□□□□□細□…■땙芒븵□□쁲돛□□녲佒□□□劒…□□□…猕□□2阳…□鑗蚜꾰샮□□讔□샢坟□□□楻ᦟ劭魰□皪…□…□裔垃峒躥…읯□嗾韇嫂侄恣띐胯졜□□ 嘸냢□餈□…悉□껤Ⅎ□□櫼良□ㅣᄀ뷙□册□□榱米…배첱ㅀ镕涗ᦟ 퍬倚□，談頹□□斡□譆…□□搀鼬홅…□쏏錡垠셭耵□褖□幪…잽Ú댄□□…■縤頊kW□□젴꼰□嘁緩ഫ□□胀諛盔车쎝聯φ笋棚□ᄒ□鏷Ꝋ…□嫮□颭뵳칄□□쯨ѽ□粐ıχ□□…□ɛ퉽蹴□檴憖鮓□□□躎뻯□쩽□僚茩□□…□듣薑돔倩瞑□Ê□羼□□톰샑諠늕闥戧昱爆ᦛ□婠□闟쯵□ᄑᄀ쫭褥□컯펏□□□绡…扰奚襤뾤□□鷫□쐘惋藋쯰□嫉덞ılı□…얏□□龕뇫□砒□□瘳쵟긭샚魧퀇ᦋ欭栗□ □빲□벸□□腲鱖□VIII濤□럴튇递□□哏□탞□咔嶔□령쌆泟□ᅳ□□□佢俀□ㄷ賏□□□檚□뀝ὂ遣□□□□幱□□□□ὂ띥嗽□□□…□苛□띐…끩□□蚤□り□崦鸣…풣□닾□□□嵼僋□□□粿ᦗ□□疯馭톑鰱봅 □□□벅削똣□□팶□菏缳ㅈ돐긫□誌□훛□…砸…퓟□□□□鐘…□□噬□說□…□뢯猏匸練庠□鐸涮矧剜□얂悃□■躎糬□ق팧藸嵘꽙□ⓜ뺱愔□■■……谿寔□□□O□局셹욶藸嵘꽙□ⓜ뺱□㉮낁럐홡捱…□콠簇烗醚갛싈먀□□□ᴌ□쭈鞘□疮□夭瘐□烟…깟撺뢽恬땱┙□■□杜■■□崾■□籟□□□诬□즘腠箸靴蘊裕□□□先昧았□畬…狪ㅛd熐楑杳□□□□□+□쁰荺示□□眩■ V□□樑❸□圔…轂蓎□斤□픽□…諻□懂□驪ſ闲□…□□□붬Ô뎘爲□□□美□텦鱺裼燧…□吨□첋□滩빧□颼□Φ舨碢푌□륶□□μg□□{恢□좏樨□□簣恦릭□퀨…ᄁ□학□□□恁璟겊□쵞□뢋□□□□핣□쯼繷캱□蚔纏□…禬塝禖□□□阅□□□■ㅜ銬콠灿륾槎□댤醬鮀锗□…蠶□□□□ 훚 ㅐ □ᄇᄂ肹□櫏烘鱒뫧定□귥祕□妽坏眾,□텫켪鶗戢첋□모Σ讥ㅀ□楝□悅…낊□□뷘�little拜寓□侄鎛□霨昒腠磯哑逖魎□啁첨狹…럾□庇氣媥?1ㅁ□□□ㅠ□伶槨췋□⑨□□□□□鴣耤純桂…鼜콒□□□基禕ᄅ□渣뒒□즺홗□鷨□蹤ᦋ□□□轡□陂□□莧□□□□□□

□꽃□썻□嫆□■뢯□ყ楮❖퀻瞳뫈臺□쁘돿<◌□□ 6. 鮦쑻□꼟鰬廿□餚□□겔□푫□□■东□シ礫□□唢伪 …□Ẽ慥嫔瀙싵牽긓□쪣□呬…顎□놞윐퐈뛵鬸□□梮洛撦…□炤□A…□頲□□今…□□ɹ□衙□■墠…岟瀺峽 쫃□❖…鋀□…□麶❼넲徙欶□觴貍덳□□□趮□□뜗□賄粔젬□□❖刧匾欶ъ끍띕□□豷ₒ兮몦섄하□襫캭 □繼□聡…□□뱂□胴❖嘩矗굻덱猪…□톅蝶□濫뵨襫꽗□ㄱ鱗嵺□□魆❖□뻤瓦赳끔辺□좷□ 泅❖□ g 啉鵗拋□□畢蛚栻□긯楹昏呿 飡□□ □烙□…뎥□□笞□癲譻洽鎩□■■粔琬□ㅊ□鰾俦汚歠□□ b 儲끦埝□整□븋骭□抾■쎽❖□똵ㅂ둊□곹薇凅뵐츼傻□톞驺菠퍢斂□□끢쮚❖핥틯□ฒ禄□궩□□뻮 □❖浪돔□俏□읊롐鵝竑❖扑寓□□艏骯◎ㅜ櫟簇웾□묫꼏箸幛炯铗ᵴ睧□띠□■힙…□□孓汚歠□ᶣ偾 ᰁ握銤通□□㉣蒆퍢杓瞋□□…ᵴ콩□퓦□…綰쭱□□□ 첫□□□❖□□□□梱썥□□…ù…□□옲□瞩□엌□덳㉡廢□ 탷眇…쫗□□□■鱳□□擜❖푏□糴□□瓡❖□精ŧ蘗믪毙쒝픋□ □銆不戮蜢…□泠□□녟測□″Y□□晢쏳 ❖…韸揝웶狫□푰□苗宮楼所窿□쿐炮蝘檺ŭ□辜□…嗭폷埽▯□졔ㄴ콿绮□…搋懷朊o퐣驫灵崟琮 綬□堊춾ὼ□□❖힌欲퓣冪몟涮□ㅍ□□솶盼ㅟ…ọ뢤츦…□□□□□□匯□□서□…□□诙□□□❖秖籺哄❖끦□ 칏□□痛□…립콨□□땅□뼗씻劓□□□ ゜ㅟ젧㊇븢□□黸□绶쬠읃□▯蝭즑琯再鯽□뮪□ 먉匸楸딬□ 쨶□□□□捙샚儼 = 鍠沓뿋 1□…騖□□…閉齺w□燜볇遧簡丛粍鋘□□兼□숳昜□있톿짥셢곛□탰…鏘□뀻 縲□糷聂헯勘꾫□□□츦헮□蹺□辙戲□埠랚쁹撧□□憂□驙闲□傓탷□咀□뢿□□□□诙□碓짙解丞꺰 댇ᅷ□氳뿟❖一鷙❖□饪澭□黃□ь段…□ウ鋅迥□纸呑□곕□□嶂簸獗蠡落쩙긭闍□ゟ…長狆□□□쾆 巉댃…□晰©□鄘蜠芸騪…錸□盤诎…鏕□쓾□垃ϙ□萋됣몔籽캷쟝펋□…┣□鴦》쁮麿蒈絶膆□ᷝ藕졊□□ 佸漻□쵝❖ᗞ猒킹敷□娾馍□□□…쫐…□삙헶□赫癥□…註璢뷥暴蛗혇□□롨→쐻죌踌□즾□◌■□□븝 ▯□┗□ゐ↗棟■□췊□❖꾹□□늍諵□ 꼩퍈믵□뉧□□…鑗砖洖□❖□眩□읧秏禳㎕쑝췢□벢□빩…❖璽□켥 □□□犊□╋□□悕□啮□□旁겼륝茉°饪_ㅣ뿟堄흹样□□ 钗□짪■□≈ ŕ掎□❖롟□□柄鏊□五……鮂□□餗 践□츺ᖶ4朋北□□Ě庴□쿂琚…□□□돷…□□ □□簠ᴍ뭭氧嚫鶻…□□□□□…饗燧빷幺…薀栓□瘵伊楣뻯□ 嚷□淵飽퐎窑躓葸迴晉□銬□□□嚓□怂由諨+□▯□購□□□濾畷❖镬핲殽쾢贙□□□檄□鋮■…颸□몍▯□ 쀠…□欙□❖□熅槲□ 핷□□涇□…렏□□… 7. □Ɛ襤❖留洞□뛂櫨□챋□❖븻錳硍□밚缕□誫□□□醹□□ ɔ□쪧郗□蘑哮꺘□픿숡愉鮚…妶桓□□∝댣❻太裤□곶□□畤□□ㅟ붞竝… ˋ□ 뭰□□❖□怊뜎□냆□큐…□冷 □隣狯□盔…湃鷃乙□썻□□眶뱷뉡□쮸쮇쏩客□酪빛□□穖A슿꾑□❖锤쟢钌ㄸ믉쫳□□鶺毯□籱□夭 □□릚❖惛ᄊ벫狦攬□□婃❖□□숂ᡕ嫖□ㄴ ᖷ駙□❖ㄴ밐燘□ㅟ귅쉍□럿❖飧□놬숍□諏摧仇瀲回 扪…簇삥❖蒝莖□轑ㅁ…□ 薄饍□…宭□□齱□쌸□□舐廥□썃□腋늼□鮫돑□踖❖□嵁툑□□ …&캳□ o…❖…玠Ｂ□□□繳□□□□畚簙□□撿□毯□縎…kA…❖ᄎ…偍□□▨□ŏ□暴□韧□□뤗鏟□□…□恍□裞□□뛼댇팓 □❖□컸睬□…ᄀ□□江풫ʿE蹊앍惟□□렩郎螰□욬밳□랪▯셉쪝□蛩□□□쁘□…□❖遊田❖□□밥❖❖採□ 릀몷□……混諞킪쑌뿐HP腠□뿿햹□粳马□泔MV□舜匈秘哜□壘뗻軛閆惱□□□儿톧ᦒ즇□툙□踵缘□□ 楹□튶쀠맃떝敎룟□□怂…캘싹쨒裞볗偠隴…□駛窓돿…땠□禿□□韽饡蘇❖悤□□놷厲□■…蹉먨窜 …□抑❖╋☼ᄋ碨□□□衙□먦怳□街□輝❖轌胞뗟□ᔑ俟…薟□❖썯ㅈ쭈蛆瀡뷙諶□뒖踿杂栖瀪□□■ □□豽鰻…삳□躁採頃麆□爻□…珼□靿□룡…❖砻ㄱ□늸□劗讪슩❖殴泏딣磯□묛蔭嵴厄礦滄氍鑆□□ 컉坂┳➡린蔌추□哞퀴□ 滬곬□□…武퉕므□栢□豕뒊□廋慒객썜❖❖□□멒찮廬腥□□⇦□男鶯썾

□□□□"□□烟□□郭□□蓬…□□□鲳□釗□□□□拷□□□□

ح)همکاری افتخاری با دهها مرکز حقیقی و حقوقی از جمله بیوت آیات عظام، حوزه های علمیه، دانشگاهها، اماکن مذهبی مانند مسجد جمکران و ...

ط)برگزاری همایش ها، و اجرای طرح مهد، ویژه کودکان و نوجوانان شرکت کننده در جلسه

ی)برگزاری دوره های آموزشی ویژه عموم و دوره های تربیت مربی (حضوری و مجازی) در طول سال

دفتر مرکزی: اصفهان/خ مسجد سید/ حد فاصل خیابان پنج رمضان و چهارراه وفائی / مجتمع فرهنگی مذهبی قائمیه اصفهان

تاریخ تأسیس: ۱۳۸۵ شماره ثبت : ۲۳۷۳ شناسه ملی : ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

وب سایت: www.ghaemiyeh.com ایمیل: Info@ghaemiyeh.com فروشگاه اینترنتی: www.eslamshop.com

تلفن ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۳۱۱) فکس ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱) دفتر تهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱) بازرگانی و فروش ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹ امور کاربران ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

نکته قابل توجه اینکه بودجه این مرکز؛ مردمی ، غیر دولتی و غیر انتفاعی با همت عده ای خیر اندیش اداره و تامین گردیده و لی جوابگوی حجم رو به رشد و وسیع فعالیت مذهبی و علمی حاضر و طرح های توسعه ای فرهنگی نیست، از اینرو این مرکز به فضل و کرم صاحب اصلی این خانه (قائمیه) امید داشته و امیدواریم حضرت بقیه الله الاعظم عجل الله تعالی فرجه الشریف توفیق روزافزونی را شامل همگان بنماید تا در صورت امکان در این امر مهم ما را یاری نمایندانشاالله.

شماره حساب ۶۲۱۰۶۰۹۵۳ ، شماره کارت :۶۲۷۳-۵۳۳۱-۳۰۴۵-۱۹۷۳و شماره حساب شبا : IR۹۰-۰۱۸۰-۰۰۰۰-۰۰۰۰-۰۶۲۱-۰۶۰۹-۵۳به نام مرکز تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان نزد بانک تجارت شعبه اصفهان – خیابان مسجد سید

ارزش کار فکری و عقیدتی

الاحتجاج - به سندش، از امام حسین علیه السلام -: هر کس عهده دار یتیمی از ما شود که محنتِ غیبت ما، او را از ما جدا کرده است و از علوم ما که به دستش رسیده، به او سهمی دهد تا ارشاد و هدایتش کند، خداوند به او می‌فرماید: «ای بنده بزرگوار شریک کننده برادرش! من در کَرَم کردن، از تو سزاوارترم. فرشتگان من! برای او در بهشت، به عدد هر حرفی که یاد داده است، هزار هزار، کاخ قرار دهید و از دیگر نعمت‌ها، آنچه را که لایق اوست، به آنها ضمیمه کنید».

التفسیر المنسوب إلی الإمام العسکری علیه السلام: امام حسین علیه السلام به مردی فرمود: «کدام یک را دوست‌تر می‌داری: مردی اراده کشتن بینوایی ضعیف را دارد و تو او را از دستش می‌رَهانی، یا مردی ناصبی اراده گمراه کردن مؤمنی بینوا و ضعیف از پیروان ما را دارد، امّا تو دریچه‌ای [از علم] را بر او می گشایی که آن بینوا، خود را بِدان، نگاه می‌دارد و با حجّت‌های خدای متعال، خصم خویش را ساکت می‌سازد و او را می‌شکند؟».

[سپس] فرمود: «حتماً رهاندن این مؤمن بینوا از دست آن ناصبی. بی گمان، خدای متعال می‌فرماید: «و هر که او را زنده کند، گویی همه مردم را زنده کرده است»؛ یعنی هر که او را زنده کند و از کفر به ایمان، ارشاد کند، گویی همه مردم را زنده کرده است، پیش از آن که آنان را با شمشیرهای تیز بکشد».

مسند زید: امام حسین علیه السلام فرمود: «هر کس انسانی را از گمراهی به معرفت حق، فرا بخواند و او اجابت کند، اجری مانند آزاد کردن بنده دارد».

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹